baseera.net

حلي الشروح

على نونية فتح بن نوح

شرح القصيدة النونية في التوحيد

لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي النفوسي

من علماء القرن السابع الهجري

شرح وتعليق

راشد بن سالم بن راشد البوصافي

حلى الشروح

على نونية فتح بن نوح

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

نشر وتوزيع:
مكتبة خزائن الآثار
سلطنة عمان - بركاء
نقال: ٠٠٩٦٨٩٨١٧٧٧٨٩ - ٠٠٩٦٨٩٥٥١٠٠٢٥

الراعي الإعلامي:
موقع بصيرة الإلكتروني
موسوعة إلكترونية في العلوم الإسلامية
لسماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي
المفتي العام لسلطنة عُمان
للتواصل: www.baseera.net – info@baseera.net

حلي الشروح

على نونية فتح بن نوح

شرح القصيدة النونية في التوحيد

لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي النفوسي

من علماء القرن السابع الهجري

شرح وتعليق

راشد بن سالم بن راشد البوصافي

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى شــيخي وقدوتي الإمام الرباني أبي نصر الملوشائي ـ ناظم القصيدة النونية في التوحيد ـ.

إلى مَن خطها بيراعه الملهم، واتخذها سـبيلًا إلى الدعوة إلى الله تعالى ما بقيتْ وبقيَ قراؤها.

إلى مَن تحرَّكت همته غِيرةً على عقيدة الإسلام العظيم، فقدمها قربانًا لنيل الرضى من الله تعالى، وقربها نصحًا للأمة وهو يـرى أنها عملٌ في حق الأمة والإنسـانية ضئيل؛ ولكنها عند الله عملٌ عظيمٌ وجليلٌ، فحبًا مني لهذا الشيخ الجليل والعالم المربي وبِـرًا به، **أهدي هذا العمل المتواضع.**

إلى الأئمة العلماء السابقين الراسخين، أولياء الله تعالى الربانيين، إلى مَن كانت لهم يدُ السبق البيضاء التي خدمتْ هذه القصيدة شرحًا وتعليقًا، فحبًا لهم ومواصلة لجهدهم الذي بدؤوه حتى يكون صدقة جارية لهم وعلمًا نافعًا ينتفع به مَن بعدهم، **أهدي هذا العمل المتواضع.**

إلى مشايخي الفضلاء.. منارات العلم ومحاريب العبادة ومحابير الشريعة وحفظة الديـن، العالِمين العامليـن الموفين بديـن الله ربِّ العالمين، القمم الشامخة والأسس الباذخة، مشايخ العلم والتقى، ومصابيح الهدى في الدجى،

إلى مشـــايخ أهل البلاد المغربية (الجزائر ـ وليبيـــا ـ وتونس) من أهل الحق والاستقامة في الدين، العلماء الربانيين أولياء الله تعالى من خلقه، **أهدي هذا العمل المتواضع.**

إلى كلِّ إخواني طلاب العلم والشريعة، إلى كلّ من أضنى حياته وانكب دهره طالبًا ومتعلمًا ودارسًا ومتلقنًا وفاهمًا وحافظًا وضابطًا، يزاحمُ في طلب العلم كلَّ مزاحم، ولم يرضَ بالدون من المقاعد، **أهدي هذا العمل المتواضع.**

إلى مَن بزغ نور هذه القصيـــدة بينهم، فرعوها حـــق رعايتها، وخدموها تدوينًا وتدريسًا، وشـــرحًا وتعليقًا، حتى غدت من أهمِّ مناهج تدريس أصول الدين في البلاد المغربية، **أضع هذا العمل المتواضع بين أياديهم الكريمة.**

إلى مَن نُكِنُّ لهم خالص المحبة والإخاء، وأصيل المشاعر وصادق الوفاء، وجزيل الشـــكر وصالح الدعـــاء، إذ لا يزال أهلُ المشـــرق مـــن أهل الحق والاستقامة يكنون لأهلِ المغرب هذه المشاعر الجياشة إلى يومنا هذا وما بعده من أيام العمر..

وفي المغرب أشـــياخ لنا وأكابر ... أئمـــة ديـــن الله فيهـــم ســـرائر
بجربـــة الزهراء زهتهـــا المفاخر ... وأهل نفوســـا أخلصوا وتناصروا
لنصـــرة ديـــن الله هـــم خيرُ معشـــرِ

نواليهـــم فـــي الله حقًّـــا ونقتدي ... بهم في أمور الدين يومًا ونهتدي
فهم خلفـــاء الله من بعـــد أحمد ... على الأمر بالمعروف في كل مقصد
فما فيهمُ شـــكٌّ وطعنٌ لمـــن يزري

هداةٌ تقـــاةٌ ليس فـــي دينهم زللْ ... لقد زينوا القول الصحيح مع العملْ
وقد خالفوا في الله قول أولي الجدلْ ... بغيـــر مقال الحـــق كلهـــمُ كُمُلْ
عليهم ســـلامُ الله في الليـــل والفجرِ

هُمُ عدتي في النائبات وشـــدتي ومبلغ آمالـــي وســؤلي ومنيتي

بهم أهتدي فـــي كل أمر لبغيتي لأنهم في الناس مـــن خير أمتي

لأمرهمُ بالعرفِ والنهـــي عن النكر

هُمُ أسسوا النهج الإباضي وأحسنوا معالمـــه حتـــى عـــلا ثـــم بيّنوا

طريقته بالقـــول منهـــم وأعلنوا بصحة ما فيـــه وفي الكتب دونوا

صحائف حقٍ كالشموس وكالبدر[1]

❁ ❁ ❁

---

(١) هذه الأبيات للشيخ عبد الله بن عمر بن زياد البهلوي (كان حيًا حتى عام ٩٨٣هـ) في (تخميسة أصول المذهب) من جواب سماحة الشـــيخ الخليلي إلى أهل الحق والاستقامة في الجزائر (غير مطبوع ـ لدى الباحث نسخة ورقية منه). وانظر/ البطاشي، إتحاف الأعيان ج ٢ ص ٣٤٢.

شكرٌ وتقدير

إن من أوجب الواجبات أن يضرع المرء لمولاه العظيم بالشكر والحمد والثناء العاطر على ما أولاه من نعم، وأمدَّه من عونٍ ومعيةٍ، فلك الحمد يا الله على ما أوليتنيه من نعمٍ كثيرة، وما حبوتني به من فضلٍ عميم، وما وفقتني إليه وأرشدتني من عملٍ صالحٍ أرجو ذخره وثوابه عندك يا الله، فالحمد لك وحدك على أن وفقتني لهذا العمل.

وقد أبى سنُّ القلم إلا أن يَعْرفَ بِعَرْفِ الشكرِ والتقديرِ لمن كانت له اليد الطولى في خدمة هذا البحث، والإعانة على إتمامه وإخراجه، فأزجي بالغ الشكر والعرفان إلى صاحب اليد البيضاء أخي الصالح المصلح الأستاذ: **إبراهيم بن يوسف بازين** (غرداية ـ الجزائر)، الذي أمدني بمتن القصيدة كاملة (بنظام word) ليسهل عليَّ تنسيقها ولا أضطر إلى إعادة كتابتها، كما أمدني بشرح الشيخ العلامة عبد العزيز الثميني على هذه القصيدة، فقد قام الأستاذ إبراهيم مشكورًا بمخاطبة المعتني بكتابة شرح الشيخ الثميني في بلاد الجزائر نيابة عني، فوافق على إسعافنا بشرح الشيخ ليسهل عليَّ مطالعته والرجوع إليه فيما يعنُّ عليَّ فهمه من الألفاظ والمصطلحات المغربية، فجزى الله الجميع خير الجزاء.

وأختم سطور شكري وتقديري لمن أتاحوا لي ووفروا الوقت المناسب لكتابة البحث، وأمدوني بكل السبل التي أتاحت لي كتابة البحث في المنزل

بطريقة سليمة وهادئة، شكري لعائلتي المصونة (أهل بيتي)، على رعايتهم لي وتوفير الجو المناسب للبحث والمطالعة والكتابة، وشكرًا لهم على تشجيعهم لي على المثابرة وتحمل تبعات البحث ولا سيَّما في وقت ضيِّقٍ وأيامٍ معدودة، مع كثرة الارتباطات والأشغال، فشكرًا لهم.

وما كان شــكري وافيًا بنوالكم ولكنني حاولتُ في الجهد مذهبًا[1]

❁ ❁ ❁

(١) انظر/ الزمخشــري، جار الله أبو القاســم محمود بن عمرو بن أحمــد، (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشــاف عن حقائق غوامض التنزيل، رتبه وضبطه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة ـ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج١ ص١٨.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرعَ لنا دينًا قِيمًا، وبعثَ فينا رسولًا معلمًا، وجعلَ دينَ الإسلام لنا دينًا، ونصبَ الأدلةَ على توحيده يقينًا، وأنزلَ إلينا كتابًا نورًا مبينًا، فصَّل أحكامَه وبيَّنه تبيينًا، وجعله معجزًا بيانه، خالدًا تبيانه، ظاهرًا برهانه، قاهرًا سلطانه، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وعلى آله وصحابته المتقين وعلى كلِّ مَن سار على نهجهم إلى يوم الدين.. **أما بعد:** ـ

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق للابتلاء والعبادة وهو غنيٌ عنهم، وأراد لهم الشرف والفوز والسعادة، ومن أجلِ ذلك أرسل الرسل تترى وأنزل الكتب تتلى، ليكون العباد على بصيرة من أمرهم: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

ومن أجل ذلك كان اهتمام العلماء الأعلام ببيان أصول الدين ومسائل التوحيد للناس، نثرًا ونظمًا وشرحًا؛ لأن العقيدة الصحيحة هي الموجه الحقيقي لأفعال الإنسان المكلَّف، فمتى ما استقامت عقيدته ووافقت الكتاب والسنة استقام سلوكه؛ لأن العقيدة الصحيحة تربط بين الإنسان وعلاقته بخالقه الذي أوجده من العدم، وتربط مصيره بمسيره، فالمصير منوط

بالمسـير، فمَن سـار بخيرٍ وجد خيرًا، ومن سار بشرٍّ وجد شـرًّا عياذا بالله تعالى، كما تربط المرء بمبدئه ومعـاده، وبتعريفه أصل خلقته والمهمة التي خلق من أجلها.

لذلك عُنيَ الإسـلام ببناء الفكر العقدي الصحيح لدى الإنسـان بالأدلة والبراهين، واهتم ببناء المنظومة الفكرية للمسلم كي يسير على المنهج القويم الذي اختاره الله تعالى له، فيحقق بذلك العبودية الحقة لله ﷻ.

ولم يألُ الإباضية ـ أهلُ الحق والاسـتقامة ـ جهدًا في بيان هذا الجانب العقدي والاهتمام به غايـة الاهتمام، فحرروه ونثروه ونظموه وشـرحوه في مصنفاتهـم الكثيرة، ولا أدل على ذلـك من هذه القصيـدة التي نحن بصدد شـرحها، والتي تعتبر من القصائد والمنظومات العقدية المهمة في المذهب الإباضي، وهي التي تسمى (النونية في التوحيد)، لناظمها الإمام العلامة أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي الليبي الإباضي.

والتي اعتنى بشـرحها فيما بعد الأعلام الذين جاؤوا من بعد أبي نصر، كالإمام الجيطالي، والإمام الثميني وغيرهم من الأئمة الأعلام ﷺ، وهذا إن دلَّ على شـيءٍ فلا يدل إلا على أهميـة هذه القصيـدة، وإلا ما حازت على اهتمامهم وأفرغوا لشرحها أوقاتهم.

ولقد تطفلت على أبياتها شرحًا وتعليقًا، مع قلة بضاعتي، وضعف فهمي، وصغر جِرمي، وضآلـة في العلم حجمي، ولكن برًّا بهـذه القصيدة الميمونة وبناظمها، وبمن شـرحها وأجاد فأفاد، ونزولًا عند رغبة مشايخنا أهل وادي ميزاب من الجزائر ـ حفظهم الله تعالى ـ، لم يسعني إلا أن أمتثل مستعينًا بالله تعالى، ومتوكلًا عليـه وحده، فبـدأتُ ـ بحمد الله وتوفيقه ـ في شـرح هذه القصيدة المباركة، والله أسأله التوفيق والقبول.

- **منهجية البحث:**

المنهج التحليلي: وذلك بتتبع معاني الألفاظ وتحليل مدلولاتها اللغوية والعقدية.

- **محتويات البحث**: يتكون البحث إجمالًا من: مقدمة وفصلين وخاتمة، كما يأتي:

- **مقدمة.**

- **الفصل الأول: التعريف بالمنظومة وناظمها.**

  - **المبحث الأول**: التعريف بالقصيدة النونية.

  - **المبحث الثاني**: ترجمة مختصرة لأبي نصر فتح بن نوح الملوشـــائي النفوسي الليبي.

- **الفصل الثاني: شرح أبيات القصيدة:**

  - **المبحث الأول**: أبيات القصيدة.

  - **المبحث الثاني**: شرح أبيات القصيدة.

- **الخاتمة.**

- **المصادر والمراجع.**

- **الفهرسة.**

❁ ❁ ❁

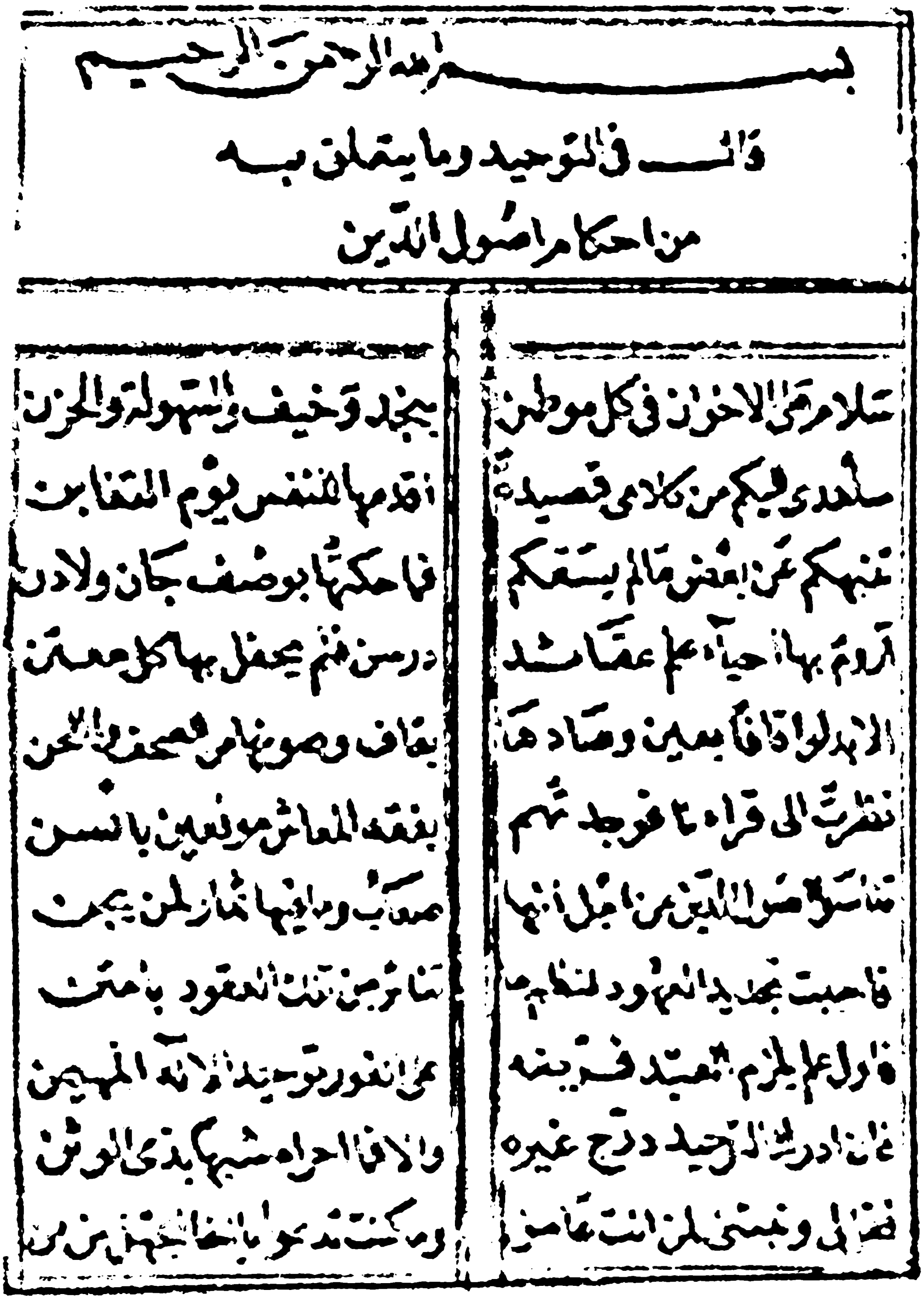

بسم الله الرحمن الرحيم

قال في التوحيد وما يتعلق به

من احكام اصول الدين

سلام على الاخوان في كل موطن ... بجد وخفيف والسهولة والحزن

سأهدي اليكم من كلامي قصيدة ... اقدمها للنفس يوم التغابن

تنبهكم عن بعض ما لم يسعكم ... فاحكمها بوصف جان ولا در

اروم بها احياء علم عقائد ... درس فمن يعمل بها كل معدن

الا اهلوا ادناك يعين وصادها ... بقاف وصونها عن الصحف واللحن

نظرت الى قراءنا فوجدتهم ... بفقه المعاش موقنين بانسن

تناسوا اصول الدين من اجل انها ... صعاب وما فيها ثمار لمن يجن

فاحببت تجديد العهود لنظمه ... تنازعن ثم العقود بامتن

فاول علم الزم العبد فرضه ... على النفوس توحيد الاله المهيمن

فان ادرك التوحيد درج غيره ... ولا فرق الاداء شبيها بذي الوثن

فصلي ونعتني لمن انت عامن ... ومن كنت تدعو يا اخا الجهل من من

(مقدمة القصيدة ـ المخطوط)

التعريف بالمنظومة وناظمها

المبحث الأول

التعريف بالقصيدة النونية

نونية أبي نصر الملوشائي في التوحيد، من أروع ما كُتب ونُظم في بيان عقيدة أهل الحق والاستقامة، فهي جزيلة الألفاظ، واضحة الدلالة، دقيقة المعاني، عميقة البلاغة، تصدع بالحق وتشع بالصدق، قريبة المأخذ وعذبة المشرب، مَن أخذ بها فقد هدي، ومن قال بها كفي؛ لأنَّ حججها الدامغة وبراهينها اللامعة، تصدر من مشكاة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

طُبعت قصائد أبي نصر طبعة حجرية بالمطبعة البارونية بالقاهرة سنة (١٣٠٤هـ/١٨٨٧م)، وقد شرحها ناظمها بنفسه[(١)]، كما اهتمَّ من جاء بعده من العلماء بشرح هذه القصائد؛ منهم[(٢)]:

---

(١) الثميني، ضياء الدين عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز الثميني الحفصي المصعبي (ت: ١٢٢٣هـ)، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، تقديم: مطهري الحاج محمّد بن الحاج سليمان بن بكير، مقدمة المقدم ص١ (مرقون.. لدى الباحث نسخة منه). وقد طبعت أيضًا قصائده مع قصائد كتاب «الدعائم» للعلّامة ابن النظر العُماني؛ لأنها تكملة له، كما قام الأستاذ عمر بن أحمد بازين، بطباعتها في كتاب مستقل مع حلّ بعض ألفاظها الصعبة عام ١٩٩٦م، كما أصدر الشاعر سليمان ذواق تحقيقًا لقصيدة «المخمسة في المواعظ والحكم» عام ٢٠١٥م.

(٢) انظر: مقدمة الشيخ مطهري الحاج محمد على كتاب النور للثميني ص١ (مرقون)، والشيباني، سليمان بن سعيد الشيباني، قصيدتا النونية والرائية.. نظم العلامة الشاعر الأديب أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي النفوسي، مكتبة خزائن الآثار ـ بركا، الطبعة الأولى: ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص١١ ـ ١٣.

١ ـ العلامة أبو طاهر إسماعيل الجيطالي (ت: ٧٥٠هـ)، مؤلف قواعد الإسلام وقناطر الخيرات، من علماء القرن الثامن الهجري، قام بشرح القصيدة النونية، ولا يزال شرحه مخطوطًا.

٢ ـ الشيخ قاسم بن وران الأجيمي، شرحها شرحًا مختصرًا جدًّا يكاد يُعد البعض منه من الألغاز.

٣ ـ الشيخ يوسف بن محمد المصعبي المليكي منشئًا الجربي دارًا ووفاة (ت: ١١٨٧هـ)، وضع حاشية نفيسة على شرح الشيخ قاسم، حلَّ من خلالها المشكلات، وأتم ما أخل به الشارح من معاني المتن وفقهه، فلهذا تعد شرحًا جديدًا للمتن وحاشية للشرح السابق.

٤ ـ الشيخ عمرو بن رمضان الجربي التلاتي (ت: ١١٨٧هـ)، من علماء جربة، شرح النونيَّة وسمَّاه: «اللآلئ الميمونيَّة على المنظومة النونيَّة».

٥ ـ ضياء الدين عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني المصعبي، مؤلف «كتاب النيل»، (ت: ١٢٢٣هـ)، من علماء وادي ميزاب بالجزائر، اختصر شرح عمر التلاتي لنونيَّة أبي نصر في العقيدة، وسماه «النور» وكذلك اختصر الرائية وسماه: «الأسرار النورانيَّة» وكلاهما مطبوعٌ طبعة حجرية.

وبعد دراستي لهذه القصيدة وقراءتي لها عدة مرات، خلصتُ إلى نتيجة لا تردد فيها؛ وهي أن هذه القصيدة من أفضل القصائد التي نظمتْ في هذا النوع من العلوم الشرعية، ومن أنفعها فائدة وأعظمها مائدة، وهي جديرة بالعناية والشرح والتعليق، وحرية بالتوضيح والدراسة والتدريس، فقد أغرمتُ بها كثيرًا؛ لأنها تبعث في نفسي روح التحدي وفضول اكتشاف معانيها المختفية وراء ظلال حروفها، فكلَّما قرأتها وجدتها تشحذ الهمة في النفس

للتعمق في معانيها، وكلَّما تعمقتُ في معانيها، وغصتُ وراء حرفية ألفاظها، أكتشفُ من المعاني ما لا يخطر ببال من قرأها قراءة سرد لا قراءة درس، وكلَّما وقفتُ على مكنونات ألفاظها الغامضة ومدلولاتها أطير فرحًا بهذا الإنجاز، وكلَّما حللتُ عويصة من عويصات ألفاظها ومعانيها البعيدة لأقربها إلى ذهن القارئ غمرتني نشوة من نشوات النجاح، وطربتُ بما لا يعلم حلو أنغامه في نفسي إلا الله الملك الوهاب، وكأن حالي حينها قول الشاعر:

سهري لتنقيح العلوم ألذّ لي ... من وصل غانية وطيب عناقي
وتمايلي طربًا لحلّ عويصة ... أشهى وأحلى من مدامة ساقي
وصرير أقلامي على أوراقها ... أحلى من الدوكاء والعشاق
وألذّ من نقر الفتاة لدفّها ... نقري لألقي الرّمل عن أوراقي
أأبيت سهران الدّجا وتبيته ... نومًا وتبغي بعد ذاك لحاقي(١)

ومما أثار همتي وهزَّ مشاعري وأذكى فضولي في شرح هذه القصيدة الماتعة الرائعة، التي تزيد الذكيَ ذكاءً والألمعيَ فطنةً، هو ما أجده في أبياتها من الألغاز اللفظية ما يخاطب بها عقول العقلاء وفطنتهم، كما في البيت الخامس من القصيدة الذي يقول فيه:

ألا بدلوا قافًا بعينٍ وصادها ... بقافٍ وصونوها عن الصَّحف واللحنِ

فهو يريد منا أن نجعلها «عقيدة» بَدَلَ «قصيدة»، وذلك بإبدال الحروف، وهذا يدل على ذكاءٍ نادرٍ فيه وعبقريةٍ فذة، وحسن تصرفٍ بديعٍ، وملكة في النظم والتعبير، فكان هذا البيت دافعًا لي للخوض في غمار هذه القصيدة،

---

(١) الأبيات منسوب إلى الزمخشري، انظر/ المقدم، محمد أحمد إسماعيل المقدم، علو الهمة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، تاريخ الطبعة: ١٤٣٤هـ/٢٠٠٣هـ، ص١٦٨، وقيل هي للإمام الشافعي في ديوانه.

مستعينًا بالله تعالى على أن يفتح لي فتوح العارفين وينشر عليَّ أثواب حكمته وفيوض علمه، إن ربي قريب مجيب.

وقد اشتغلتُ في القصيدة وهي (١٨٠بيتًا) من بحر الطويل، واجتهدتُ في قراءتها بتأنٍ تامٍّ من أجل تقسيمها إلى أبواب ليسهُل على القارئ قراءتها مبوَّبة، كلُّ بابٍ يحوي أبيات موضوع معيَّنٍ من موضوعات القصيدة، كما أنه ليسهُل على شُرَّاح القصيدة في دروسهم المسجدية تناول كلِّ بابٍ في درس واحدٍ أو درسين، كما يسهُل كذلك على الطلاب حفظها مبوَّبة ومجزأة، وعلى هذا النسق سيكون تقسيم القصيدة إلى (مقدمة، وثمانية عشر بابًا، وخاتمة)، فهي على النحو الآتي.

أقسام القصيدة النونية:

- المقدمة:

تحوي المقدمة (٨) أبيات، وتتضمن [التحية والسلام، والإهداء، والغاية من نظم القصيدة].

- أبواب القصيدة (١٨ بابًا):

تحوي القصيدة (١٨) بابًا، كل باب يتضمن موضوعًا أو أكثر، وتحت كل باب أبيات وهي على النحو الآتي:

الباب الأول: في التوحيد وخصاله: يحوي هذا الباب ثلاثة فصول تحت كل فصلٍ أبيات:

- في ذكر ما يجب على المكلف اعتقاده، وفيه (٣) أبيات.
- في ذكر ما يليق وما لا يليق بالله ﷻ، وفيه (١١) بيتًا.
- في ذكر الألفاظ الممتنع السؤال بها عن الله ﷻ، وفيه (٣) أبيات.

الباب الثاني: في ذكر صفات الله تعالى: ويحوي (٣) أبيات.

الباب الثالث: في الولاية والبراءة: ويحوي (٦) أبيات.

الباب الرابع: في الإيمان بالقضاء والقدر وخلق أفعال العباد: ويحوي (٤) أبيات.

الباب الخامس: في الفروض الموسعة والمضيقة: وفيه فصلان:

١ ـ فصل في ما لا يسع جهله طرفة عين: ويحوي بيتًا واحدًا.

٢ ـ فصل في ما يسع جهله بتقييد: ويحوي (٤) أبيات، وفيه ثلاثة أقسام:

ـ ما يسع جهله قبل حضوره ووروده.

ـ ما يسع جهله قبل دخول وقته.

ـ ما يسع جهله للأبد ما لم يقصده بذاته.

الباب السادس: في ذكر ما يجب على المكلف علمه من أحكام مقترفي الحرام: ويحوي (٢) بيتين.

الباب السابع: في ذكر الضلالة والهدى وأنواعهما والتوفيق والعون والخذلان: ويحوي (١٨) بيتًا.

الباب الثامن: في ذكر الوعد والوعيد: وفيه أربعة فصول، كالآتي:

ـ في ذكر أنه لا منزلة بين المنزلتين: ويحوي (١٠) أبيات.

ـ في ذكر إحباط العمل الصالح بإصرار على المعصية: ويحوي (٧) أبيات.

ـ في ذكر الكبائر وتعريفها وعقوبة مرتكبها: ويحوي (١٠) أبيات.

ـ في ذكر وجوب معرفة أنواع الكبائر: ويحوي (٨) أبيات.

الباب التاسع: في ذكر معرفة الملل الست: يحوي (٢) بيتين.

الباب العاشر: في ذكر الخوف والرجاء: ويحوي (٦) أبيات.

الباب الحادي عشر: في ذكر التقية: ويحوي (٥) أبيات.

الباب الثاني عشر: في ذكر قواعد الدين: ويحوي (٢) بيتين.

الباب الثالث عشر: في ذكر مغريات ومكائد إبليس وكيفية التخلص منها: ويحوي (٦) أبيات.

الباب الرابع عشر: في ذكر أنواع أعمال الإنسان والنجاة في علمها: ويحوي (٦) أبيات.

الباب الخامس عشر: في ذكر المراصد السبعة: ويحوي (٣) أبيات.

الباب السادس عشر: في ذكر الميزان والصراط وعذاب القبر وورود النار: ويحوي (٨) أبيات.

الباب السابع: في ذكر الثواب والعقاب: ويحوي (٥) أبيات.

الباب الثامن عشر: في ذكر النهي عن الغيبة والنميمة والحسد والكذب: ويحوي (١٣) بيتًا.

- الخاتمة: وفيها ذكر أخلاقيات الناظم واعترافه بفضل الله عليه: ويحوي (٢٦) بيتًا.

- مخطط القصيدة الهندسي.

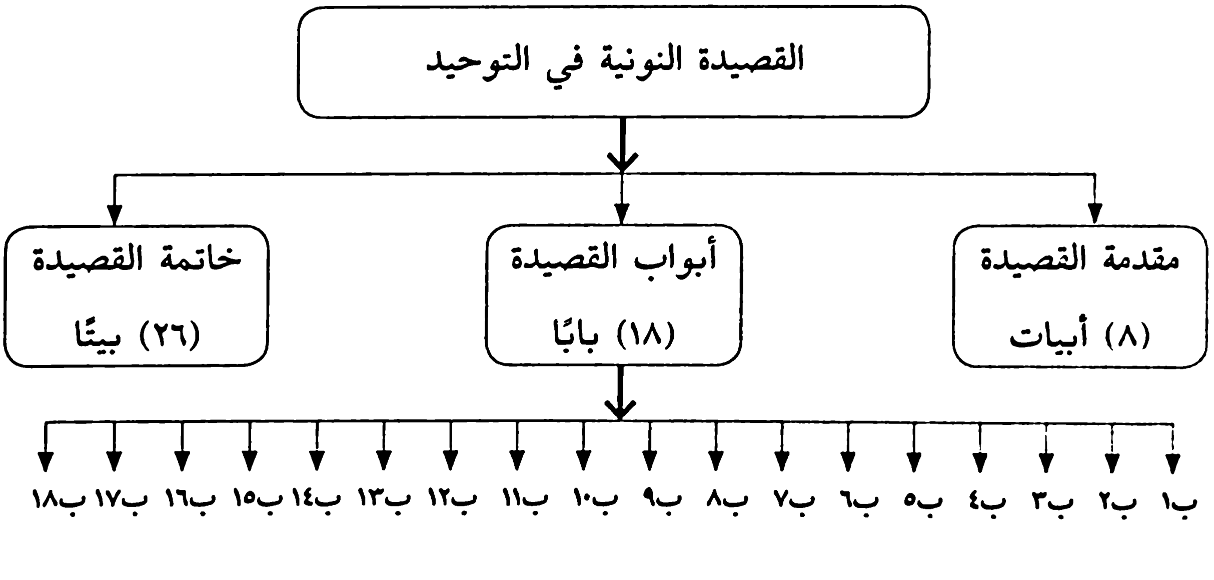

عملي في شرح القصيدة:

يتمثل عملي في هذا البحث في وضع شرحٍ مختصرٍ لأبيات هذه القصيدة، أسميته: «جليُّ الشروح على نونية فتح بن نوح»، مقتصرًا في شرحي على بيان معاني ألفاظها، مؤصلًا ذلك بالأدلة الشرعية، وأحيانًا أضع شرحًا عامًّا للبيت بعد شرحي لمفرداته وألفاظه، وأقوم بتخريج الآيات القرآنية التي أستشهد بها في الشرح بعزوها إلى السورة ورقم الآية، وكذا الأحاديث بعزوها إلى الكتاب والباب ورقم الحديث، وأحيانًا بيان الأحكام المتعلقة بها وبرجال أسانيدها عند الحاجة، وعزو الأبيات الشعرية والنصوص المنقولة في الاقتباس إلى قائليها، وأما التراجم والرواة فسأذكر الترجمة المختصرة لبعض الشخصيات غير المشهورة عند اللزوم طلبًا للاختصار.

كما أني أفصِّل أحيانًا فيما يحتاج إلى تفصيل ومزيد بيان للمسائل المتعلقة بالبيت المنظوم، بغيةً مني في تقديم شرحٍ وافٍ لأبيات هذه القصيدة المباركة، يسهل من خلاله فهم أبياتها بعد حفظها، وليكون عونًا في تدريسها للمبتدئين، والله تعالى الموفق لكل خيرٍ ونسأله تعالى الأجر والثواب[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) سأسلك في شرحي لهذه القصيدة ـ إن شاء الله تعالى ـ ما سلكته في شرحي لمنظومة «خلاصة المراقي» للشيخ العلامة الفقيه صالح لعلي اليزجني، وقد أسميتُ شرحي عليها بعنوان «بغية الراقي في شرح خلاصة المراقي».

المبحث الثاني

ترجمة مختصرة
لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي النفوسي الليبي[١]

الشيخ أبو نصر فتْح بن نوح الملوشائي، من علماء القرن السابع الهجري، عالِم فذّ، وشاعر أديب، أخذ العلم عن خاله العلامة أبي يحيى زكريا بن إبراهيم الباروني[٢].

أصله ونشأته:

ينتمي الشيخ أبو نصر إلى قرية تَمْلوشايت، بجبل نفوسة، بليبيا، وهي تقع على قمة جبل شامخ شرق طمزين وبالقرب من تندميرة، إذ إن مدخلهما واحد من جهة الجنوب، ويفصلها عن طمزين من الجهة الغربية واد عميق، كانت تملوشايت في فترة من الفترات مدينة من المدن العلمية في الجبل، قال عنها

---

(١) أخذتُ الترجمة من المرجع الآتي: الشيباني، قصيدتا النونية والرائية.. نظم العلامة الشاعر الأديب أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي النفوسي، ص ٥ ـ ١٧.

(٢) أبو يحيى زكريا بن إبراهيم بن زكريا الباروني (ق: ٧هـ/١٣م)، عاش في القرن السابع الهجري، ينتهي نسبه إلى أبي هارون موسى بن هارون، جد العائلة البارونية في جبل نفوسة بليبيا. أخذ العلم من أبي يوسف وجدليش الأمللي عن أبي سليمان داود بن هارون وعن أبي محمد بن محمد عن أبي سليمان داود». تولّى الحكم على جبل نفوسة وما يليه، باتّفاق أهل الرأي والعلم والمشيخة، وقام به أحسن قيام، رزقه الله ثروة طائلة كان ينفق منها على الأقسام الداخلية في مدرسته العامرة، التي تولّى بنفسه التدريس بها إلى جانب قيامه بمهام الحكم والفتوى، وهو ممن جاز عليه نسب الدين في نفوسة. انظر: الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، القسم الأول، ص١٩٩. وسير الشماخي، ص٥٤٦.

الشيخ علي يحيى معمر وهو يتحدث عن قرى جبل نفوسة في كتابه القيّم «الإباضية في موكب التاريخ» إنها كانت تنافس عاصمة الجبل «شروس» العظيمة في يوم من الأيام.

وقد أنجبت تملوشايت بالإضافة إلى الشيخ أبي نصر كثيرًا من العلماء ذكر المؤرخون مجموعة منهم، أشهرهم:

١ ـ الشيخ أبو هارون موسى بن هارون، جدُّ الأسرة البارونية المشهورة، ينسب له مسجد يقع على حافة الجبل، وقد تم تحديثه مؤخرًا مع إضافة مدرسة قرآنية بجواره، قال عنه أبو العباس الشماخي في سِيره: «ومنهم الشيخ السَّمِي العالم التَّقي أبو هارون التملوشايتي، كان صائم الدهر مع علمٍ كثيرٍ، وورعٍ قويٍّ، أخذ العلم عن الشيخ أمحمد خصيب بن إبراهيم التمَصْمَصي».

٢ ـ أبو محمد عطية الله الملوشائي، وصفه الشماخي بقوله: «كان برًّا تقيًّا، مشهورًا في الخير نقيًّا».

تعليمه:

تلقّى الشيخ أبو نصر تعليمه الأول في بلدته تملوشايت ثم انتقل إلى المدرسة التي كان يشرف عليها خاله أبو يحيى زكريا بن إبراهيم الباروني، وكان في دراسته وأخلاقه كما وصفه الشيخ علي يحيى معمر بأنه كان نعم التلميذ لنعم الأستاذ، وقد بلغ من العلم مبلغًا لا يصله إلا القليل من عباد الله المختارين: ثقافة واسعة، وخلقٌ رضي، وإيمان قوي، وشدة في دين الله، وقيام بالحق لا يقوم به إلا عدد ضئيل من أصحاب المبدأ والدين والضمير، وقد وصفه الشماخي في سيره بقوله: «عالم فائق وواعظ صادق».

عاصر من علماء زمانه أبا زكريا يحيى بن وجدليش الأمْلّي اليوجلاني، وهو أيضًا أحد تلاميذ أبي يحيى زكريا بن إبراهيم الباروني.

شعره:

رغم أن أبا نصر اشتغل بالتدريس وتربية الأجيال كغيره من العلماء، إلا أنه كان أيضًا من الشعراء المبدعين؛ فقد ترك مجموعة من القصائد تناول فيها كثيرًا من المواضيع التي تهم المسلم في حياته، اشتهر منها ما يلي:

١ ـ النونيّة في التوحيد وأصول الدين، في مائة وثمانين بيتًا، مطلعها:

سلام على الإخوان في كل موطن بنجد وحيف والسـهولة والحزن

سأهدي إليكم من كلامي قصيدة أُقدمهـا للنفـس يـوم التغابـن

٢ ـ الرائية في أحكام الصلاة، في مائة وواحد وأربعين بيتًا، مطلعها:

سما من سما بالعلم والجد والصبر وسهر الليالي والسُّـرَى والتهجر

وغودر بالتسويف في اليوم أو غدا أخو العجز والكسل البطيء عن الخير

٣ ـ الحائية في تحريض الطلبة على طلب العلم في مائة بيت، بدأها بقوله:

الحمـد لله علـى مـا أتـاح مـن نعـم أو نقـم قـد أزاح

أحـمـده حـقًـا وأشـكـره علـى الآلاء الظاهـرات الوجاح

٤ ـ اللامية في رثاء شيخه أبي يحيى، قال في بدايتها:

كيف البقـاء لطـرف زال ناظره حين اعترته بنات الدهر بالسملِ

زر ساحة السفح واسفح عندها حزنا دمعا يزيد على التسكاب والهطلِ

قبـر بجانبـه الغربـي أرقنـي من أجله بت أرعى النجم في التللِ

سـقيا لسـاكنه، رعيـا لقاطنـه سَحَّت عليه عيون المُزْنِ لم تَزَلِ

أعني الولي أبا يحيى الذي حَيِيَتْ صُـوَى العلوم بمحيـاه ولم يألِ

٥ ـ المخمسة في المواعظ والحِكم، قال في بدايتها:

أقول ولا أعني سوى ذي التذكر من أبناء جنسي والعفا عن الغير

ألا فاسمعون ثم عوا قول ذي حجر تملأ حقبًا باحتلاب الأشطر
وأربى على السبعين من العمر

طُبعت قصائد أبي نصر طبعة حجرية بالمطبعة البارونية بالقاهرة سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م، وقد اهتم من جاء بعده من العلماء بشرح هذه القصائد؛ منهم:

١ ـ العلامة أبو طاهر إسماعيل الجيطالي (توفي عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، مؤلف قواعد الإسلام وقناطر الخيرات، من علماء القرن الثامن الهجري، قام بشرح القصيدة النونية، ولا يزال شرحه مخطوطًا.

٢ ـ الشيخ عمرو بن رمضان الجربي التلاتي (توفي: عام ١١٨٧هـ/١٧٧٣م)، من علماء جربة، شرح النونيّة وسمّاها: «اللآلئ الميمونيّة على المنظومة النونيّة» وشرح أيضا الرائية وسماها «الأزهار الرياضية على المنظومة الرائية».

٣ ـ ضياء الدين عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني المصعبي، مؤلف كتاب النيل، (ولد: ١١٣٠هـ/١٧١٨م، وتوفي: السبت ١١ رجب ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م)، من علماء وادي ميزاب بالجزائر، اختصر شرح عمرو التلاتي لنونيّة أبي نصر في العقيدة، وسماه «النور» وكذلك اختصر الرائية وسماه: «الأسرار النورانيّة» وكلاهما مطبوعٌ طبعة حجرية.

٤ ـ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد المصعبي المليكي الجربي (توفي: ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م)، من مليكة بوادي ميزاب، تعلم بجربة وأقام بها. أخذ العلم عن أبيه يوسف بن محمد بجربة كما أخذ عن أبي العباس أحمد بن عمر بن رمضان التلاتي. وله تآليف كثيرة تدل على غزارة علمه وطول باعه، وله خط جميل، نسخ بيده كثيرا من الكتب، قام بشرح حائية أبي نصر في التحريض على طلب العلم، وقد اختصر الشرح الشيخ عاشور بن يوسف كسكاس الجربي العُماني في كتيب صغير طبعته مكتبة الاستقامة بمسقط سنة ٢٠٠٠م.

٥ ـ الشـيخ العلامة الفقيه القاضي عبدالله بن عمر بن زياد بن أحمد بن عمر بن راشد بن أبي بكر الشقصي البهلوي، من علماء عُمان في القرن العاشر الهجري، قام بشـرح القصيدة الرائية عام (٩٥٣هـ/١٥٤٥م)، ولا يزال الشـرح مخطوطًا فيما أعلم.

فقـهه:

لم يكن الشيخ أبو نصر شاعرًا فحسب بل كان فقيهًا عالمًا، وقاضيا ورعًا، ومن ذلك ما ذكره الشماخي[1] وغيره أنه إذا ترافع إليه الناس للخصومة جعل بينه وبينهم سـترًا من باب أو جدار أو غيره، حتى لا يغلبه الحياء فيميل مع أحدهما، وقد بلغت فتاويه كل مكان حتى وصلت إلى تونس الخضراء، وتُروى قصة طريفة تدل على عبقريته وسعة علمه، أنقلها كما ذكرها وعلّق عليها الشيخ علي يحيى معمر بأسلوبه الأدبي الرائع، قال:

«قيل: إن مزارعًا تونسـيًا يملك مخزنًا كبيرًا ملأه بمحصوله من الحبوب، وكان إلى جواره معمِّر مسـيحي يملك عـددًا من الخنازير السِّـمان، وغفل التونسـي فترك مخزنه مفتوحًا فدخلت إليه خنزيرة قذرة، وفي وسط الحبوب ولدت عددًا من الجراء، وسال منها على تلك الحبوب ما يسيل من الخنزيرة عند الولادة، وذهب الفلاح التونسي إلى المشهورين من علماء تونس يستفتيهم فيقلّبون له أكُفَّهم ويرجعون العلم إلى الله ورسـوله؛ إنّ هذه الحالة تقع لأول مرة، ولم تُدَّون في الكتب، وهكذا طاف الرجل على أصحاب العلم في تونس الخضراء فلم يجد من يتشـجع ويقول مثلًا «إن الأنجاس تزال بالغسل»؛ لأن الناس جميعًا يستقذرون الخنازير، ولو أفتى أحد الناس بهذا لاتهم في دينه من

(١) الشماخي، أبو العباس أحمد بن أبي عثمان بن سعيد بن عبد الواحد (ت: ٩٢٨هـ)، كتاب السير، دراسة وتحقيق: محمد حسن، المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩م، ج٢ ص٧٧٦.

العوام، وسمع به أحد الناس، فنصح المزارع أن يبعث بسؤاله إلى مدينة «تملوشايت» من جبل نفوسة بليبيا، وبعث الرجل، وبعد أسابيع جاءه الجواب، فقد كان في تملوشايت العالم الأديب الشاعر أبو نصر حاضرًا، فكتب إليه يقول: من مدينة تملوشايت إلى قرية تونس، وبعد الديباجة قال: ازرعوا الحبوب النجسة تنبت زرعًا طيبًا طاهرًا.

وهكذا عملت العبقرية على حفظ مال الرجل، والاستفادة منه، قد يحق لأبي نصر أو غيره من العلماء أن يفتوا بطهارة هذه الحبوب إذا غسلت وأزيل منها الأذى، ولكنهم يعرفون أن النفوس تستقذر الخنزير وما لمسه، وأنه لا يمكن أن تؤكل هذه الحبوب ولو كانت طاهرة وحلالا، ولكن زَرعُها شيء معقول وغير مستقذر، وبهذه المدارك الدقيقة، وفهم أسرار النفوس وأسرار الشريعة يتفاوت العلماء، فما كل من عرف شيئًا يقوى على حل المشاكل والفتوى للناس»[١].

لم يذكر المؤرخون تأريخ وفاته ولكن من المؤكد أنه عاش أكثر من ستين سنة كما صرَّح بنفسه في القصيدة النونية، حيث قال:

أراني على الستين عامًا ونيِّفًا   بمعركة الموتى كهدنٍ على دخنِ

بل عاش وجاوز السبعين أو ما يقرب من الخامسة والسبعين في العمر، كما صرَّح بذلك في بداية المخمسة:

وأربى على السبعين من العمر

هذا ما تيسر لي جمعه من معلومات عن الشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي، فرغم شهرة الشيخ أبي نصر وانتشار قصائده إلا أن المؤرخين لم

---

(١) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثانية، القسم الثاني (قسم ليبيا)، مكتبة وهبة، ج ٢ ص ١٨٨ ـ ١٩٠.

يوردوا معلومات كافية عن تفاصيل حياته، فأبو العباس الدرجيني لم يورده في طبقاته، والشماخي في سيره لم يذكر عنه إلا شيئًا يسيرًا في عدة أسطر، والذي طبع ديوانه لم يتطرق إلى سيرة حياته، ولم أجد فيما بين يدي من مصادر غير كتاب الشيخ علي يحيى معمر «الإباضية في موكب التاريخ» الذي تحدث فيه عن جانب من حياة الشيخ أبي نصر، حيث وصف مدينة تملوشايت، وتناول فيه بعض الأبيات من شعره بالدراسة والتحليل[١].

❁❁❁

(١) الشيباني، قصيدتا النونية والرائية.. نظم العلامة الشاعر الأديب أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي النفوسي، ص١٦ ـ ١٧.

الفصل الثاني

شرح أبيات القصيدة

المبحث الأول

أبيات القصيدة

١ - سَلَامٌ عَلَى الإِخْوَانِ فِي كُلِّ مَوْطِنِ ... بِنَجْدٍ وَخَيْفٍ وَالسُّهُولَةِ وَالْحَزْنِ
٢ - سَأُهْدِي إِلَيْكُمْ مِّنْ كَلَامِي قَصِيدَةً ... أُقَدِّمُهَا لِلنَّفْسِ يَوْمَ التَّغَابُنِ
٣ - تُنَبِّهُكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا لَمْ يَسَعْكُمُ ... فَمَا حُكْتُهَا بِوَصْفِ جَامٍ وَلَا دَنِّ
٤ - أَرُومُ بِهَا إِحْيَاءَ عِلْمِ عَقَائِدٍ ... دَرَسْنَ فَلَمْ يَحْفَلْ بِهَا كُلُّ مُعْتَنِ
٥ - أَلَا بَدِّلُوا قَافًا بِعَينٍ وَصَادَهَا ... بِقَافٍ وَصُونُوهَا مِنَ الصَّحْفِ وَاللَّحْنِ
٦ - نَظَرْتُ إِلَى قُرَّائِنَا فَوَجَدْتُهُمْ ... بِفِقْهِ الْمَعَاشِ مُولَعِينَ بِأَلْسُنِ
٧ - تَنَاسَوْا أُصُولَ الدِّينِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا ... صِعَابٌ وَمَا فِيهَا ثِمَارٌ لِمَنْ يَجْنِ
٨ - فَأَحْبَبْتُ تَجْدِيدَ العُهُودِ لِنَظْمِ مَا ... تَنَاثَرَ مِنْ تِلْكَ العُقُودِ بِأَمْتَنِ
٩ - فَأَوَّلُ عِلْمٍ يَلْزَمُ العَبْدَ فَرْضُهُ ... عَلَى الفَوْرِ تَوْحِيدُ الإِلَهِ الْمُهَيْمِنِ
١٠ - فَإِنْ أَدْرَكَ التَّوْحِيدَ دَرَّجَ غَيْرَهُ ... وَإِلَّا فَمَا أَحْرَاهُ شِبْهًا بِذِي الوَثْنِ
١١ - فَقُلْ لِي وَنَبِّئْنِي لِمَنْ أَنْتَ عَامِلٌ ... وَمَا كُنْتَ تَدْعُو يَا أَخَا الْجَهْلِ مَنْ مَنِ
١٢ - أَقُولُ بِأَنَّ اللهَ حَقٌّ حَقِيقَةً ... وَقَدْ كَانَ لَا كَيْنُونَةً مِنْ مُكَوِّنِ
١٣ - كَمَا كَانَ قَبْلَ الْخَلْقِ قَدْ كَانَ بَعْدَهُ ... وَقَدْ سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنًا بِلَا كُنِ
١٤ - بِكُلِّ مَكَانٍ كَانَ لَا كَوْنَ جَوْهَرٍ ... وَلَا كَوْنَ تِحْلَالٍ تَعَالَى عَنِ الكَنِّ
١٥ - وَلَيْسَ كَكَوْنِ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ وَالِجًا ... وَلَكِنَّهُ بِالْعِلْمِ وَالْحِفْظِ وَالصَّوْنِ
١٦ - تَقَدَّسَ عَنْ حَدٍّ وَشِبْهٍ وَصُورَةٍ ... وَجَلَّ عَنِ التَّكْيِيفِ وَالْحَيْنِ وَالأَيْنِ

١٧ - دَنَا وَنَـأَى، مَعْنَى يَرَانَـا وَلَا يُرَى   فَمَـا ذَاتُهُ تُحْـوَى بِعَيْـنٍ وَلَا أُذْنِ

١٨ - وَكُلُّ الذِي أَضحَى عَلَى البَالِ سَانِحًا   فَذَلِكَ غَيْرُ اللهِ، فَانْـفِ عَنِ الذِّهْنِ

١٩ - عَلَى العَرْشِ وَالْخَلْقِ اسْتَوَى فَاسْتِوَاؤُهُ   بِنَقْـضٍ وَإِبْـرَامٍ، وَإِتْقَـانِ مُتْقِنِ

٢٠ - وَلَيْـسَ كَمَعْقُولِ اسْـتِوَاءِ أَمِيرِهِمْ   عَلَـى سُـرُرٍ مَعْهُـودَةٍ لِلتَمَكُّـنِ

٢١ - لَهُ الْمَثَـلُ الأَعْلَى وَلَيْـسَ كَمِثْلِهِ   مِثَالٌ وَلَا شَيْءٌ يُشَـابِهُ فِي الْكَوْنِ

٢٢ - فَهَذَا اعْتِقَادِي فِـي إِلَهِي وَخَالِقِي   مَمَاتِـي وَمَحْيَـايَ بِإِيمَـانِ مُوقِنِ

٢٣ - فَتِسْـعُ سُـؤَالَاتٍ عَـنِ اللهِ فَانْفِهَا   سَأَجْمَعُهَا فِي البَيْتِ نَظْمًا عَلَى ضِمْنِ

٢٤ - فَهَلْ، مَا، مَنْ، أَيُّ، كَيْفَ، أَيْنَ، مَتَى، لِمْ   وَتَاسِـعُهَا كَـمْ فَاحْتَـرِزْ وَتَفَطَّنِ

٢٥ - لِكُلِّ سُـؤَالٍ صِيغَـةٌ غَيْـرُ أُخْتِهَا   وَلَيْسَ مُـرَادِي بِالإِطَالَـةِ فِي الْفَنِّ

٢٦ - وَأَمَّا صِفَاتُ اللهِ لَيْسَتْ كَوَصْفِنَا   وَلَـكِـنَّـهَـا ذَاتِـيَّـةٌ بِـالـتَـيَـقُّـنِ

٢٧ - وَأَسْـمَاؤُهُ هُوِيَّـةٌ، لَيْـسَ غَيْـرَهُ   وَذَاتُ الْمُسَـمَّى غَيْرُ تَسْـمِيَةٍ مَنِ

٢٨ - فَوَصْفِي ذِكْـرِي لِلصِّفَاتِ بِمقوْلِي   وَتَسْـمِيَتِي ذِكْرِي لِلإِسْـمِ الْمُبَيَّنِ

٢٩ - وَمِمَّا يَلِي التَّوْحِيدَ فِي الضَّيْقِ فَرْضُهُ   بَرَاءُ مُسِـيءٍ مـع وَلَايَةُ مُحْسِـنِ

٣٠ - فَمَـنْ لَـمْ يُـوَالِ أَوْ يُعَـادِ فَإِنَّـهُ   مِنَ الدِّينِ صِفْرُ الكَفِّ وَاهِيَ التَدَيُّنِ

٣١ - كَذَلِكَ إِنْ وَالَى وَعَـادَى جَمِيعَهُمْ   أَوْ أَمْسَكَ فَهْوَ مُشْـرِكٌ غَيْرُ مُؤْمِنِ

٣٢ - فَإِنْ قِيـلَ مَا مَعْنَى الوَلَايَـةِ قُلْ لَهُ   دُعَاؤُكَ بِالْغُفْرَانِ وَالْحُبُّ بِالضِّمْنِ

٣٣ - إِذَا رَضِيَـتْ أُذْنٌ وَعَيْـنٌ بِمَا رَأَتْ   وَوَافَـقَ فِي دِيـنِ الإِلَـهِ الْمُهَيْمِنِ

٣٤ - فَمَا جَازَ فِي ضِـدِّ الوَلَايَةِ حُكْمُهُ   أَجْزْنَاهُ فِي حُكْمِ العَـدَاوَةِ وَاللَّعْنِ

٣٥ - وَقَدْ أَلْزَمُوا الإِيمَـانَ بِالقَدَرِ الذِي   أَتَى مِنْهُ خَيْرًا كَانَ أَوْ سُخْنَةَ الْعَيْنِ

٣٦ - وَكُلُّ قَضَـاءٍ مِـنْ مَلِيـكٍ مُقَـدَّرٌ   فَسُبْحَانَ مَنْ يُجْرِي الْمِيَاهَ مِنَ الْمُزْنِ

٣٧ - فَأَفْعَالُنَـا خَلْـقٌ مِـنَ اللهِ كُلُّهَـا   وَمِنَّـا اكْتِسَـابٌ بِالتَّحَـرُّكِ لِلْبَدْنِ

٣٨ ـ فَكُلٌّ لِعِلْمِ اللهِ فِيهِ مُيَسَّرٌ وَلَمْ يَعْدُهُ خَلْقُ سَرِيٍّ أَوْ الدَّنِي
٣٩ ـ وَمَا لَمْ يَسَعْكُمْ طَرْفَةَ العَيْنِ جَهْلُهُ فَهْوَ جُمْلَةُ التَّوْحِيدِ فِي كُلِّ أَزْمُنِ
٤٠ ـ وَأَمَّا الَّذِي عَلَى التَّرَاخِي فَأَوْجُهٌ ثَلَاثٌ فَوَجْهٌ لِلْوُرُودِ الْمُلَقَّنِ
٤١ ـ وَوَجْهٌ إِلَى الأَوْقَاتِ فِي الْفَرْضِ لَازِمٌ وَوَجْهٌ عَلَى الآبَادِ مَا لَمْ يَكُنْ عُنِي
٤٢ ـ إِذَا وَرَدَ التَّفْسِيرُ لَمْ تُغْنِ جُمْلَةٌ وَإِنْ حَانَتِ الأَوْقَاتُ فَاعْمَلْ وَلَا تَنِ
٤٣ ـ وَإِنْ وَقَعَتْ بَلْوَى الْحَرَامِ فَلَمْ يَسَعْ مُقَارَفَةَ الْمَحْظُورِ صَرِّحْ وَلَا تَكُنِ
٤٤ ـ وَمَا لَمْ يَسَعْ مِنَ الْحَرَامِ ثَلَاثَةٌ مُحِلٌّ، مُصِرٌّ، رَاجِعُ الْعِلْمِ ذُو الأَفْنِ
٤٥ ـ فَهَذَا اقْتِرَافٌ مِنَ أُولَئِكَ فَاعْلَمُوا وَعَضُّوا عَلَى الأَدْيَانِ مِنْكُمْ بِأَمْتَنِ
٤٦ ـ فَيَا سَائِلًا عَنِ الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى سَأَلْتَ عَنِ الْبَحْرِ الْخِضَمِّ الْمُجَنْجَنِ
٤٧ ـ سَأُنْبِئُ عَنْ بَعْضِ التَّصَارِيفِ فِيهِمَا لِمَنْ يَفْهَمُ الْمَعْنَى وَإِيَّاهُمُ أَعْنِ
٤٨ ـ فَشُغْلُهُمْ بِالْكُفْرِ مَانِعُهُمْ هُدًى وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا جَمْعَ شَيْئَيْنِ ضِدَّيْنِ
٤٩ ـ أَضَلُّوا بِإِحْدَاثِ الضَّلَالَةِ مِنْهُمُ وَضَلُّوا بِأَفْعَالِ التَّحَرُّكِ وَالسَّكْنِ
٥٠ ـ أَضَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ يَعْنِي دَعَاهُمُ وَوَسْوَسَ فِي اسْتِدْعَائِهِ بِالتَّزَيُّنِ
٥١ ـ وَلَنْ يَقْدِرَ الْمَدْحُورُ إِلَّا عَلَى الذِي ذَكَرْتُ مِنَ الإِغْرَاءِ بِالشَّيْنِ وَالزَّيْنِ
٥٢ ـ فَلَوْ كَانَ مَأْذُونًا لَهُ فِي اقْتِهَارِنَا إِذَنْ قَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ
٥٣ ـ بِحَمْدِ إِلَهِي لَيْسَ هُوَ بِمَالِكٍ لِخَنْقٍ وَلَا شَنْقٍ بِقَسْرِ التَّسَلْطُنِ
٥٤ ـ وَأَمَّا الْهُدَى هَدْيُ بَيَانٍ وَعِصْمَةٍ هُدَى عِصْمَةٍ لِلْمُؤْمِنِ الْمُتَيَقِّنِ
٥٥ ـ وَأَمَّا هُدَاهُ لِلْبَيَانِ كَقَوْلِهِ ثَمُودُ هَدَيْنَاهُمْ، فَسِيقُوا إِلَى الْحَيْنِ
٥٦ ـ بِإِيمَانِهِمْ يَهْدِيهِمُ اللهُ لِلْهُدَى وَبِالنَّقْضِ لِلْمِيثَاقِ ضَلَّ ذَوُو الْخَوْنِ
٥٧ ـ فَكَسْبُهُمْ لِلرُّشْدِ شَاغِلُ قَصْدِهِمْ إِلَى الْغَيِّ، هَذَا وَاضِحُ بِالتَّعَنُّوْنِ
٥٨ ـ سَأَلْتَ عَنِ التَّوْفِيقِ وَالْعَوْنِ، مَا هُمَا تَفَهَّمْ صَرِيحَ الْحَقِّ، لَا تَرْضَ بِالْغَبْنِ

٥٩ ـ هُمَـا لِلْمُطِيعِيـنَ البَـدَاءَةُ مِنْهُـمُ كَمَا أَنَّ تَرْكَ الْعَوْنِ خِـذْلَانُ مُفْتِنِ
٦٠ ـ فَلَا يُسْأَلُ الرَّحْمَانُ عَنْ عِلْمِهِ بِهِمْ وَهُمْ يُسْأَلُونَ الْحَقَّ فِي كُلِّ مَوْطِنِ
٦١ ـ فَمَا نَفَعَ الْعِلْـمُ الْقَدِيـمُ لِعُذْرِهِمْ وَمَا ضَرَّهُـمْ وَالْحُكْمُ للهِ ذِي الإِذْنِ
٦٢ ـ أَحَبَّ عِبَـادًا لَمْ تَضِرْهُـمْ ذُنُوبُهُمْ وَأَبْغَضَ قَوْمًا عِنْدَنَا هُمْ ذُوو حُسْنِ
٦٣ ـ فَلِلَّـهِ حُكْـمٌ بَالِـغٌ فِـي عِبَـادِهِ بِسَـابِقِ عِلْمٍ فِي السَّـعَادَةِ وَالْهَوْنِ
٦٤ ـ فَجُلُّ الْمَنَاهِـي وَالفُـرُوضِ تَعَبُّدٌ وَلَيْسَ تُرَاعَى عِلَّةُ الْقُبْحِ وَالْحُسْـنِ
٦٥ ـ فَهَذَا الـذِي قَدْ حَـارَ فِيـهِ لَبِيبُنَا وَحَادَ عَنِ الغَـرَّاءِ ذو النَّوْكِ وَالأَفْنِ
٦٦ ـ وَلَيْـسَ لِعَبْـدٍ أَنْ يَقُـولَ بِمَا لِمَ وَلَكِنَّهُ يَمْضِي عَلَـى أَمْرِ ذِي الْمَنِّ
٦٧ ـ فَمِنْ هَا هُنَا الْمَلْعُونُ إِبْلِيسُ قَدْ غَوَى وَقَـالَ قِيَاسًـا أَنَـا خَيْـرٌ وَإِنَّنِـي
٦٨ ـ لَقَدْ حَارَ فِي أَهْلِ البَحِيرَةِ خَاطِرِي بَنَوْا ثُمَّ شَـادُوا زُخْرُفَـاتِ التَّدَوُّنِ
٦٩ ـ فَيَا قُرْبَ مَا انْهَـارَ البِنَاءُ بِوَصْفِهِمْ وَتَسْـهِيلِهِمْ سُبُلَ الشَّـرِيعَةِ بِالظَّنِّ
٧٠ ـ لَقَدْ أَبْطَلُوا التَّكْلِيفَ وَانْحَلَّ عَقْدُهُمْ مِنَ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَاسْتَرَاحُوا إِلَى الأَوْنِ
٧١ ـ لَقَدْ هَدَمُـوا قَوَاعِدَ الشَّـرْعِ جُلَّهَا وَقَالُوا فَـوَارُ الْفَمِّ يَغني عَنِ الرُّكْنِ
٧٢ ـ فَيَـا لَيْتَ مَا فَاهَـتْ بِـهِ لَهَوَاتُهُمْ صَحِيحٌ لَكُنَّا أَسْعَدَ النَّاسِ بِالأَمْنِ
٧٣ ـ وَلَكِنَّمَا الْمَغْـرُورُ يَرْنُو سَـرَابَهُمْ فَيَحْسِـبُهُ مَـاءً فَوَافَـاهُ لَـمْ يُغْنِ
٧٤ ـ وَلَا تَكْمُـلُ الطَّاعَـاتُ إِلَّا لِتَارِكٍ جَمِيعَ الْمَعَاصِي بِالدَّلِيلِ الْمُبَرْهَنِ
٧٥ ـ فَإِنْ قِيلَ مَـا هَذَا الدَّلِيـلُ فَقُلْ لَهُ أَرَى صَدَقَاتِ السِّـرِّ تَبْطُلُ بِالْمَنِّ
٧٦ ـ وَلَنْ يَجْمَعَ اللهُ الضَّلَالَـةَ وَالْهُدَى بِجِسْمٍ مُحَالٌ جَمْعُ شَيْئَيْنِ ضِدَّيْنِ
٧٧ ـ أَيُجْمَـعُ إِيمَـانٌ وَكُفْـرٌ وَطَاعَـةٌ وَمَعْصِيَـةٌ هَـذَا خِـلَافُ التَّكَوُّنِ
٧٨ ـ إِذَا حَـلَّ شَـيْءٌ زَالَ بِالْعَقْلِ ضِدُّهُ فَقِسْ وَاعْرِفِ الأَشْيَاءَ بِالْحَقِّ وَالْوَزْنِ
٧٩ ـ فَأَوْفُـوا بِعَهْدِ اللهِ يُـوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِلَّا كَـذَابٌ دِيـنُ كُلِّ مُلَـوِّنِ

٨٠ - فيا أَيُّهَــا الْمُكْرِي الْكِــرَاءُ مُوَصِّلٌ   فَجِــدَّ وَبَلِّغْ وَاسْــأَلِ اللهَ في الْعَوْنِ

٨١ - نَدِيــنُ بِتَحْرِيــمِ الْكَبَائِــرِ كُلِّهَــا   كَبَائِرَ شِــرْكٍ أَوْ نِفَــاقٍ عَلَى بَوْنِ

٨٢ - وَدِنَّــا بِإِنْفَــاذِ الوَعِيــدِ وَحُكْمِــهِ   وَتَخْلِيدِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ وَالْهَوْنِ

٨٣ - فَحَدُّ الكَبِيرِ الْحَدُّ فِي عَاجِلِ الدُّنَا   وَسُــوءُ عَذَابِ النَّارِ يَا شَرَّ مَسْكَنِ

٨٤ - وَمَا لَــمْ يَجِي فِيــهِ الوَعِيــدُ فَإِنَّهُ   يُقَاسُ إِلَــى الْمَنْصُوصِ فِيهِ الْمُبَيَّنِ

٨٥ - ثَلاثَــةُ أَسْــمَاءٍ مَعَــانٍ تَجَــاوَرَتْ   كَبِيــرٌ وَكُفْــرٌ وَالعِقَــابُ بِمَقْــرَنِ

٨٦ - فَمَنْ مَــاتَ مِنْ أَهْــلِ الكَبَائِرِ آبِيًا   مُصِرًّا فَمَا أَقْصَاهُ عَــنْ جَنَّةِ الْعَدْنِ

٨٧ - وَمَــنْ يَتَّكِلْ عَلَــى الشَّــفَاعَةِ آمِنًا   بِلَا عَمَلٍ أَخْسِر بِهِ فِي ذَوِي الْمَيْنِ

٨٨ - وَمَنْ ظَــنَّ بِالإِيمَــانِ يُنْجِيهِ رَاجِيًا   وَلَمْ يُوفِ بِالأَعْمَالِ خَابَ بِذَا الظَّنِّ

٨٩ - وَمَــنْ مَاتَ مِــنْ غَيْرِ الوَفَــاءِ فَإِنَّهُ   يُكَبْكَبُ فِي ذَاتِ السَّعِيرِ عَلَى الذِّقْنِ

٩٠ - وَمَنْ لَــمْ يَدِنْ بِذَا فَلَا دِيــنَ عِنْدَهُ   أَبَــى اللهُ إِلَّا ذَا فَــاسِ أَوْ أَحْسِــنِ

٩١ - أَلَا فَرْزُ مَــا بَيْنَ الكَبَائِــرِ وَاجِبٌ   عَلَى النَّاسِ فَاحْفَظْ مَا أَقُولُ وَدَوِّنِ

٩٢ - فَمَنْ كَذَّبَ الرَّحْمَنَ فِي الوَحْيِ مُشْرِكٌ   وَنَافَــقَ كَــذَّابٌ عَلَيْــهِ فَبَيِّــنِ

٩٣ - فَشِــرْكُ مُسَــاوَاةٍ وَشِــرْكُ جُحُودِهِ   وَخُلْــفُ نِفَــاقٌ أَوْ خِيَانَــةُ خَائِنِ

٩٤ - وَنَاكِــرُ غَيْــرِ اللهِ أَشْــرَكَ بِالــذِي   يُحَاوِلُ مِنْ هَدْمِ الصِّفَاتِ التِي يبنِ

٩٥ - وَمَنْ صَادَمَ الْمَنْصُوصَ بِالرَّدِّ مُشْرِكٌ   وَمَنْ أَخْطَأَ التَّأْوِيلَ نَافَــقَ بِالْمَيْنِ

٩٦ - وَمَــنْ رَدَّ حَرْفًــا أَوْ رَسُــولًا فَإِنَّهُ   بِرَدِّ جَمِيــعِ الْمُرْسَــلِينَ كَفِرْعَوْنِ

٩٧ - أَلَا كُلُّ شَــيْءٍ ذَاهِبٌ مِنْــهُ بَعْضُهُ   فَفِــي بَعْضِــهِ مُسْــتَمْتَعٌ لِلْمُرَقِّــنِ

٩٨ - سِــوَى الدِّينِ مَهْمَا زَالَ مِنْــهُ أَقَلُّهُ   مَضَى كُلُّهُ وَالبَعْضُ مِنْ ذَاكَ لَا يُغْنِ

٩٩ - وَقَدْ شَدَّدُوا فِي جَاهِلِ الْمِلَلِ الأُولَى   وأَحْكَامِهَا وَالْجَهْــلُ مُجْتَمَعُ الأَفْنِ

١٠٠ - وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي سُورَةِ الْحَجِّ سِتُّهَا   وَأَحْكَامُهَا مَشْــرُوحَةٌ فِــي الْمُدَوَّنِ

١٠١ـ فَحُكْمُ الرَّجَا وَالْخَوْفِ فَرْضٌ مُضَيَّقٌ وَيَجْتَمِعَا فِي الْقَلْبِ كَاثْنَيْنِ فِي الْقَرْنِ

١٠٢ـ هُمَـا مِلْـكُ أَدَاءِ الْفَرَائِـضِ كُلِّهَا فَإِنْ عُدِمَا فِي الْفَرْضِ أُحْبِطَ بِالْوَهْنِ

١٠٣ـ يَخَـافُ بِـأَنْ لَا يَقْبَلَ اللهُ سَـعْيَهُ وَيَرْجُو عَلَى الطَّاعَاتِ أَجْرًا بِلَا مَنِّ

١٠٤ـ فَكَفُّكَ عَنْ كَسْبِ الذُّنُوبِ فَرِيضَةٌ صَغِيـرٍ كَبِيـرٍ مُسْتَسَـرٍّ وَمُعْلَـنِ

١٠٥ـ وَأَوْكَدُ مِنْـهُ أَنْ تَلِي الذَّنْـبَ تَوْبَةٌ نَصُـوحٌ بِقَلْبِ نَـادِمٍ مُتَمَسْـكِنِ

١٠٦ـ فَسِـرٌّ بِسِـرٍّ وَالعَلَائِـنُ مِثْلُهَـا كَذَلِكَ قَالَ الْمَاهِرُ الكَاشِفُ الغَيْنِ

١٠٧ـ وَقَالُوا تُقَاةُ الْمَوْتِ فِي الْقَوْلِ جَائِزٌ وَفِي الفِعْلِ مَحْظُورٌ وَلَيْسَ بِمُمْكِنِ

١٠٨ـ عَلَى أَنَّهُ فِي القَوْلِ بِالشَّرْطِ حُكْمُهُ طُمَأْنِينَةُ الإِيمَانِ فِي القَلْبِ بِالسَّكْنِ

١٠٩ـ تَعَاهَـدْ لِمَكْنُونِ الصُّدُورِ سَـرَائِرًا سَتُسْـأَلُ عَـنْ مَطْوِيِّهَـا بِالتَّعَنْعُنِ

١١٠ـ فَمَا اسْطَعْتَهُ وَاسْطَعْتَ مِنْ ذَاكَ ضِدَّهُ فَإِنَّـكَ مَأْخُـوذٌ بِـهِ فَتَحَصَّـنِ

١١١ـ فَهَذَا عَلَى الإِيجَازِ فَـرْقٌ وَفَيْصَلٌ عَلَى مُضْمَرَاتِ الصَّدْرِ خُذْ ذا وَلا تَنِ

١١٢ـ وَلَا يُعْبَـدُ الرَّحْمَـنُ إِلَّا بِأَرْبَـعٍ دَعَائِمِ صِدْقٍ ضَـعْ قَوَاعِدَهَا وَابْنِ

١١٣ـ عُلُـومٌ وَأَعْمَـالٌ وَوَرَعٌ وَنِيَّـةٌ فَمَا اخْتَـلَّ مِنْهَا فَالثَّلَاثَـةُ لَا تُغْنِ

١١٤ـ فِخَـاخُ عَزَازِيـلَ اللَّعِيـنِ ثَلَاثَـةٌ دِمَـاءٌ وَأَمْوَالٌ وَفَـرْجٌ لِمَـنْ يَزْنِ

١١٥ـ تَعَفَّفْ عَنِ الأَمْوَالِ مَا اسْطَعْتَ جَاهِدًا لِقَبْضٍ وَبَسْـطٍ أَوْ لِظَهْرٍ وَفِي بَطْنِ

١١٦ـ وَنَقِّ يَدَيْكَ البَتَّ عَنْ سَـفْكِ قَطْرَةٍ مِنَ الـدَّمِ لَا تَلْقَاهُ مُنْغَلِـقَ الرَّهْنِ

١١٧ـ وَطَهِّرْ مِنَ الْفَحْشَـاءِ ثَـوْبَ دِيَانَةٍ تَسَـرْبَلْتَهُ وَالْبَـسْ دُرُوعَ التَحَصُّنِ

١١٨ـ فَهَذِي سِـهَامٌ قَاتِلَاتٌ لِذِي الوَرَى لَجَا مَـنْ نَجَا لَأَمْنِهَا، سَـعِيدًا عَلَى

١١٩ـ حَذَارِ حَـذَارِ مِـنْ مَظَالِـمِ خَلْقِهِ تَقُدُّ بِرَغْمٍ مِنْ أَدِيـمِ الذِي يَجْنِي

١٢٠ـ نَجَـاةُ امْـرِئٍ مَقْرُونَـةٌ بِثَلَاثَـةٍ حَـلَالٌ حَـرَامٌ شُـبْهَةٌ لَـمْ تيقن

١٢١ـ فَنَاهِيكَ عَبْـدًا أَمَّهَـا وَاعْتَنَى بِهَا وَلَازَمَهَـا مَـدَى الْحَيَـاةِ بِدَيْـدَنِ

١٢٢ ـ خُذِ الْحِلَّ وَاتْرُكْ مَا الْحَرَامُ سَبِيلُهُ ... وَقِفْ دُونَ أَدْنَى شُبْهَةٍ لَمْ تُيَقَّنِ

١٢٣ ـ وَأَمَّا حَرَامُ اللهِ لَيْسَ يُحِلُّهُ ... تَدَاوُلُ أَيْدٍ بِالتَّمَلُّكِ وَالْقَنِّ

١٢٤ ـ وَلَيْسَ يُرَاعَى فِيهِ غَيْرُ بَيَانِهِ ... وَلَوْ طَارَ فِي الآفَاقِ شَطْنًا عَلَى شَطْنِ

١٢٥ ـ فَمَنْ حَادَ عَنْ هَذَا تُبَدَّلُ دَالُهُ ... بِنُونٍ فَأَضْحَى هَاوِيًا هُوَّةَ الْحَيْنِ

١٢٦ ـ وَمِمَّا شَجَانِي ذِكْرُ سَبْعِ مَرَاصِدٍ ... لِسَبْعِ سُؤَالَاتٍ فَيَا رَبِّ نَجِّنِي

١٢٧ ـ فَذَلِكَ أَدْهَى مَا يَمُرُّ عَلَى الْفَتَى ... إِذَا قِيلَ يَا عَبْدِي تَقَدَّمْ وَلَا تَنِ

١٢٨ ـ فَمَنْ مِنْ مُجِدِّنَا يَجِيءُ بِوَاحِدٍ ... فَدَعْ سَبْعَةً مَن مَنْ وَمَنْ مَنْ وَمَنْ مَنْ مَنِ

١٢٩ ـ فَأَمَّا مَوَازِينُ الْقِيَامَةِ عَدْلُهُ ... لَقَدْ صَرَّحَ الْقُرْآنُ بِالْحَقِّ وَالْوَزْنِ

١٣٠ ـ فَوَزْنُ أَفَاعِيلِ الْعِبَادِ تَمَيُّزٌ ... لِيَنْظُرَ فِي عُقْبَى مُسِيءٍ وَمُحْسِنِ

١٣١ ـ وَلَيْسَ بِمِيزَانِ الْعَمُودِ وَكِفَّةٍ ... بَلِ الْوَزْنُ لِلنِّيَّاتِ مِنْ كُلِّ دَيِّنِ

١٣٢ ـ فَأَمَّا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ فَدِينُهُ ... صِرَاطُ طَرِيقٍ وَاضِحٍ عَنْ تَبَيُّنِ

١٣٣ ـ فَهَذَا طَرِيقٌ بَانَ مِنْ دَارِ مُسْلِمٍ ... إِلَى دَارِ خُلْدٍ مُسْتَقَرُّ ذَوِي الأَمْنِ

١٣٤ ـ تُحَرِّكُهُ مَمْشَاهُ سَعْيٌ سُكُونُهُ ... سَيُؤْجَرُ فِي تِلْكَ الْمَسَاعِي بِمَا يَعْنِ

١٣٥ ـ وَأَمَّا عَذَابُ الْقَبْرِ ثَبْتٌ جَابِرٌ ... وَضَعَّفَهُ بَعْضُ الأَئِمَّةِ بِالْوَهْنِ

١٣٦ ـ وَأَمَّا وُرُودُ النَّاسِ لِلنَّارِ إِنَّهُ ... وُرُودُ يَقِينِ الْعِلْمِ وَاللَّمْحِ بِالْعَيْنِ

١٣٧ ـ وَلَيْسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ يَجْتَمِعَا مَعًا ... بِبِنْيَةِ عَبْدٍ مُكْرَمٍ أَوْ مُهَوَّنِ

١٣٨ ـ فَأَحْكَامُ تِلْكَ الدَّارِ لَيْسَتْ كَهَذِهِ ... وَمَنْ دَخَلَ النِّيرَانَ أُخْزِيَ فِي السِّجْنِ

١٣٩ ـ فَيَا عَامِلَ الطَّاعَاتِ بِالْعَزْمِ قَاصِدًا ... ثَوَابًا بِدَارِ الْخُلْدِ بُشْرَاكَ فَلْتَهْنِ

١٤٠ ـ وَيَا كَادِحًا فِي السَّعْيِ يَطْمَعُ رَاغِبًا ... مَحَامِدَ هَذَا الْخَلْقِ حَسْبُكَ بِالأَيْنِ

١٤١ ـ وَيَا طَالِبَ الثِّنْتَيْنِ أَخْسِرْ بِسَعْيِهِ ... فَلَا مِنْ شَرِيكٍ لِلإِلَهِ الْمُهَيْمِنِ

١٤٢ ـ وَمِمَّا يُزِيلُ الْفَرْضَ وَالنَّفْلَ غِيبَةٌ ... لِكُلِّ أَخِي بَرٍّ بِغَيْبَةٍ أَوْ عَيْنِ

١٤٣- فَفَاكِهَــةُ القُــرَّاءِ فَاحْــذَرْ شَــهِيَّةٌ تُذِيبُ أُجُــورَ القَــارِئِ الْمُتَهَكْمِنِ
١٤٤- لَقَدْ حَرُمَتْ فِي الأَرْبَعِ الكُتْبِ كُلِّهَا وَأَكَّدَهَــا الرَّحْمَــنُ فِي قَوْلِــهِ لَن
١٤٥- فَمَــا مَرَّ يَــوْمٌ لَــمْ نُسَــوِّدْ بَيَاضَهُ بِغِيبَةِ مَنْ لَمْ يَأْذَنِ الشَّــرْعُ بِالطَّعْنِ
١٤٦- وَأَمَّــا النَّمِيمَــاتُ القَوَاطِــعُ إِنَّهَــا لَكَالنَّبْلِ فِي الأَهْــدَافِ دَرِّعْ وَجَنِّنِ
١٤٧- تُقَطِّــعُ أَعْنَــاقَ الرِّجَــالِ ظُبَاتُهَــا كَشُــعْلَةِ نَارٍ أُوقِدَتْ فِــي الْمُجَرَّنِ
١٤٨- فَحَسْــبُكَ يَــا حَسَّــادُ نِعْمَــةَ رَبِّهِ عَلَى عَبْدِهِ نَــارُ الْجَحِيــمِ بِأَقْمَنِ
١٤٩- رَضِيتَ بِأَنْ تَنسَــلَّ مِنكَ مَحَاسِنٌ وَتَبْقَى بِغَيْرِ الدِّينِ بِالوَغْرِ وَالضِّغْنِ
١٥٠- يَبِيتُ ذَوُو النَّعْمَاءِ فِي فَضْلِ رَبِّهِمْ وَحَاسِدُهُمْ فِي الْغَمِّ لِلرُّبْعِ وَالثُّمْنِ
١٥١- فَحَشْــوُ فَمِ الكَذَّابِ أَخْشَنُ كَكُتَةٍ لِتَدْنِيسِــهِ عِطْــرَ الْمُــرُوءَةِ بِالنَّتْنِ
١٥٢- عَلَــى أَنَّ عُقْبَــاهُ الوَعِيــدُ وَأَنَّــهُ كَلِصٍّ وَلِصُّ العَقْلِ أَدْهَى شُوَيْطِنِ
١٥٣- فَهَــذِي خِــلَالٌ مُحْقَــرَاتٌ غَوائِلٌ وَقَــدْ يَزْدَرِيهَا كُلُّنَا لَــمْ يَقُلْ قِطْنِ
١٥٤- فَهَــذَا الذِي قُلْنَــاهُ فِي دِيــنِ رَبِّنَا عَلَى ذَاكَ نَحْيَــى فَادْخُلُوهُ بِلَا إِذْنِ
١٥٥- إِلَى اللهِ أَدْعُو لَيْــسَ عِنْدِي تَخَالُجٌ وَلَا مِرْيَةٌ فِي الدِّينِ فَارْضَ أَوِ احْزَنِ
١٥٦- رَضِيتُ بِــهِ رَبًّــا وَأَحْمَــدَ عَبْدَهُ رَسُــولًا وَبِالإِسْــلَامِ دِينًــا لِدَيِّنِ
١٥٧- وَبِالْكَعْبَــةِ البَيْــتِ الْمُحَــرَّمِ قِبْلَةً وَبِالْمُحْكَــمِ الشَّــافِي إِمَامًــا فَبَيِّنِ
١٥٨- وَبِالدَّعْوَةِ الغَرَّاءَ كَالشَّــمْسِ نِحْلَةً أَئِمَّتُنَــا زُهْــرٌ كِــرَامُ التَّدَيُّــنِ
١٥٩- سُــبِقْنَا إِلَى شَــرْحِ العُلُومِ وَنَظْمِهَا كَفَانَا الأُولَى مَا أَلَّفُــوا كُلَّ مَا فَنِّ
١٦٠- خَلِيلَــيَّ جِــدًّا فَالْعُلُــومُ كَثِيــرَةٌ وَهَذَا غُرَابُ المَــوْتِ يَنْعَقُ بِالبَيْنِ
١٦١- رَواحِلُ هَذَا الْعُمْرِ حَسْــرَى طَلَائِحٌ وَلَمْ نَقْضِ أَوْطَارَ الشَّــبِيبَةِ بِالضَّنِّ
١٦٢- وَلَمْ نَأْلُ جُهْدًا فِي احْتِطَابٍ يَؤُدُنَا إِلَى اللهِ نَشْكُو مَا بِنَا مِنْ طَخَى الرَّيْنِ
١٦٣- وَأَكْثَــرُ مَــا أَشْــكُوهُ سَــيْرُ زَمَانِنَا عَلَى القَهْقَرَى دِينًا وَدُنْيَا عَلَى هَوْنِ

١٦٤ - فَفِي كُلِّ عَـامٍ فِي الرَّذَالَةِ سَـعْيُنَا بَلَى كُلَّ يَوْمٍ فِي الـوَرَاءِ وَلَا نَثْنِ
١٦٥ - أُرَانِـي عَلَى السِـتِّينَ عَامًـا وَنَيِّفًا بِمَعْرَكَةِ الْمَوْتَى كَهُذْنٍ عَلَى دَخْنِ
١٦٦ - حَقِيقٌ عَلَى مَنْ حَازَهَا طَيُّ فُرْشِـهِ بِجِـدٍ وَكَـدٍّ يَسْـتَعِدُّ لِمُمْكِـنِ
١٦٧ - مُنَـايَ مِنَ الدُّنْيَـا قُوَيتٌ وَسُـتْرَةٌ وَخِدْمَةُ عِلْمٍ يَا لَهَا شَـرَفُ الخِدْنِ
١٦٨ - تَمَـامُ الْمُنَا فِيهَـا بِصُحْبَـةِ طَاعَةٍ عَلَى سَدَكِ الأَوْطَانِ بِالأَمْنِ وَاليُمْنِ
١٦٩ - وَمَـا ضَرَّنِي مَا فَاتَنِي مِـنْ نَعِيمِهَا إِذَا نَعِمَتْ عَيْنِي غَـدًا وَعُفِي عَنِّي
١٧٠ - حَلَبْـتُ زَمَانِـي أَشْـطُرًا فَوَجَدْتُهُ سَـرَابًا بِقَاعٍ مَا خَلَا الْعَمَلَ السُّنِ
١٧١ - سَـفَائِنُهُ مَشْـحُونَةٌ بِعَلَائِـقٍ تَعُـوقُ عَنِ الْمَأْمُـولِ فِيـهِ وَتَنْثَنِ
١٧٢ - فَلَوْ كُنْـتُ ذَا حَزْمٍ لَمَهَّـدْتُ هُوَّةً أَسِـيرُ إِلَيْهَا عَنِ قَلِيـلٍ بِهَا دَفْنِي.
١٧٣ - سَـأُنْعَى وَتَبْكِينِي بَوَاكٍ لِشَـجْوِهَا يَقُلْنَ أَبُو نَصْـرٍ قَضَى أَجَلَ الدَّيْنِ
١٧٤ - فَيَـا فَرْحَتِـي إِنْ جِئْـتُ للهِ بِالتِي تَسُرُّ وَيَا حُزْنِي إِذَا حَاقَ بِي حَيْنِ
١٧٥ - فَلَـمْ يَبْـقَ إِلَّا أَنْ يُسَـامِحَ رَبُّنَـا بِعَفْـوٍ وَإِلَّا فَهْـيَ قَاصِمَـةُ الْمَتْنِ
١٧٦ - خُذُوهَا وَخُطُّوهَا وَلَا تَـزْدَرُوا بِهَا وَلَا تَلْحَظُوا فِيهَا بِطَـرْفِ التَهَجُّنِ
١٧٧ - وَأُنْشِـدُكُمْ بِـاللهِ أَنْ تَتَصَفَّحُـوا عَنِ الفَلَتَاتِ الصَّادِرَاتِ عَنِ اللُّكْنِ
١٧٨ - فَيَـا رَبِّ عَفْوًا عَـنْ عُبَيْـدِكَ إِنَّهُ تَكَلَّـفَ شِـعْرًا بِالـرَّوِيِّ الْمُنَوَّنِ
١٧٩ - وَآخِـرُ قَوْلِـي الْحَمْـدُ للهِ وَحْدَهُ وَأَسْـتَغْفِرُ الرَّحْمَنَ مِـنْ خَطَأٍ مِنِّي
١٨٠ - وَمِنِّـي سَـلَامُ اللهِ مَـا ذَرَّ شَـارِقٌ عَلَى أَحْمَدِ الْهَادِي إِلَى خَيْرِ مَوْطِنِ

❁❁❁

المبحث الثاني

شرح أبيات القصيدة

قال الناظم:

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ الناظم بالبسملة نثرًا ولفظًا، والابتداء بالبسملة هو الذي سلكه جماعة كبيرة من أهل العلم في بداية تأليفهم، وذلك اقتداء بالكتاب العزيز فإنه مبدوءٌ بالبسملة، واقتداء بالسنة الفعلية الثابتة عن رسول الله ﷺ[١]، والابتداء بالبسملة ابتداء حقيقي أو أصلي[٢].

شرح مقدمة القصيدة وفيها فصلان:

افتتح الناظم رحمه الله قصيدتــه بمقدمةٍ خُلقيةٍ لطيفةٍ، تحــوي (٨) أبيات، ابتدأها بالتحية الإسلامية، وثنّاها بإهداء القصيدة لإخوانه المسلمين، وثلّثها بذكر الدوافع التي دفعته لنظم قصيدته النونية هذه، وبيان الغاية منها والحث على تعلم مضمونها، وبهذه المقدمة نبدأ ـ إن شاء الله تعالى ـ شرحنا المختصر على هذه القصيدة.

---

(١) ذكرتُ ثبوت ذلك بالسـنة الفعلية، وأما ما روي من حديث قولي فـي ذلك فلم يثبت عن رسول الله ﷺ، فهو حديث ضعيف، فمن حيث الإسناد فيه ضعفاء لا يحتج بروايتهم، ومن حيث المتن ففيه علتان: أولهما الاضطراب الشديد في متنه، وثانيهما فيه نكارة شديدة. انظر/ البوصافي، راشد بن سالم بن راشد، بغية الراقي في شـرح خلاصة المراقي، مكتبة خزائن الآثار، الراعي الإعلامي (موقع بصيرة الالكتروني)، الطبعة الأولى: ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص ٣٧.

(٢) **الابتداء الأصلي أو الحقيقي:** هو الذي لا يسـبقه شـيء فهو ابتداءٌ عامٌ لما بعده، كالابتداء بالبسملة، بينما الابتداء بالحمدلة ابتداءٌ إضافي، **والابتداء الإضافي:** هو ابتداءٌ لما بعده ولكنه مسبوق بشيء قبله.

الفصل الأول

في التحية والسلام والإهداء

قال الناظم:

١- سَلَامٌ عَلَى الإِخْوَانِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ بِنَجْدٍ وَخَيْفٍ وَالسُّهُولَةِ وَالْحَزْنِ

افتتح الناظم قصيدته في أول أبياتها بإلقاء التحية الإسلامية؛ وهذا من سعة علمه ودماثة خلقه وحسن سجاياه، فقال: (سَلَامٌ): والسلام هي التحية التي شرعها الله تعالى للمسلمين فيما بينهم، وهي من حقوقهم لبعضهم البعض، وهي تحيتهم يوم يلقون ربهم: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤]، أي يوم يدخلون الجنة في يومهم الذي وعدهم ربهم بلقائهم، لقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

وقد جاء بالسلام منكرًا، أي جاء نكرة (سَلَامٌ): ليدل على تجدده واستمرار الدعاء به، وإلقاؤه التحية الإسلامية (بالسلام) امتثالًا واقتداءً بالله تعالى في سلامه على أنبيائه المرسلين، حيث يقول: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١]، واقتداء بنبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام حيث حيى ضيوفه بالسلام ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [هود: ٦٩]، وقد حثَّ النبي ﷺ على تبادل التحية والسلام فقال: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1].

وأصل (السلام): هو إعلان السلامة والسِّلم، وعلى هذا تحمل بعض السياقات الشرعية، ثم أصبح شعارًا للإسلام والمسلمين وتحيةً فيما بينهم.

---

(١) رواه مسلم، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها، رقم الحديث: ٥٤.

وقوله: (عَلَى الإِخْوَانِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ): (على) حرف جرٍّ يُتعدى به بعد كلمة (السلام)، فنقول (السلام عليكم)، أي حلَّ عليكم السلام أي السِّلْمُ والسلامة، قوله (الإخوان): جمع أخٍ؛ وهو في سياق تحية الإسلام كلُّ أخٍ لك في الدين؛ وذلك لأن الله تعالى جعل المؤمنين إخوة حينما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وأخوةُ الدين والتقوى أقوى وأوثق من أخوة النسب؛ لأنها هي الباقية يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤]، وقول الناظم: (فِي كُلِّ مَوْطِنٍ): دليلٌ على أنه ما أراد أخوة النسب بل أخوة الدين، في كل مكان وكل موطن كانوا فيه، فإن قربوا أو بعدوا فهم إخوة في الله تعالى ووالدهم دين الإسلام، كما يقول الشاعر:

إن ضيم مطرف الوصال فإننا ... نغدو ونصبح في وصال تالدِ
وإن يختلف ماءُ الغمام فماؤنا ... عذبٌ تصبب من غمام واحدِ
أو يختلف نسبٌ يؤلف بيننا ... دينٌ أقمناه مقام الوالدِ[1]

ويقول آخر:

إذا كان أصلي من ترابٍ فكلها ... بلادي وكلُّ العالمين أقاربي[2]

وقوله: (بِنَجْدٍ وَخَيْفٍ وَالسُّهُولَةِ وَالْحَزْنِ): (النجد): وهو ما ارتفع من الأرض، (والخَيْف): ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، وكلُّ هبوطٍ وارتفاعٍ في سفح جبل، (والسهولة): أي كل مكانٍ ذي سهولة، أي كلّ ما سهُل من الأرض، (والحَزن): ما غلظ من الأرض، والمراد شمول السلام لكلّ أخٍ في الدين في أي موضع كان، في مرتفعٍ ومنخفضٍ وسهلٍ وصعبٍ[3].

---

(١) أصل الأبيات منسوب إلى أبي تمام، (بتصرف قليل في بعض الكلمات).
(٢) قيل البيت لأمية بن أبي الصلت الأندلسي، وقيل لأبي العرب الصقلي والله أعلم.
(٣) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

فبما أن الأخوة هنا هي أخوة الدين، فأخوة الدين توجب التناصح والتواد والتهادي، وهذا ما استشعرَه الناظم فقام بالواجب الذي عليه تجاه إخوته من نصحٍ وإرشادٍ وتوجيهٍ، وأهدى إليهم ذلك في قالبٍ أدبيٍّ فريدٍ من نوعه.

قال الناظم:

٢ - سَأُهْدِي إِلَيْكُمْ مِّنْ كَلَامِي قَصِيدَةً أُقَدِّمُهَا لِلنَّفْسِ يَوْمَ التَّغَابُنِ

قوله: (سَأُهْدِي): حرف السين هنا يفيد المهلة الزمانية، أو الوعد المستقبلي القريب بالهدية، بخلاف (سوف) فهو للوعد المستقبلي البعيد، (أُهْدِي إِلَيْكُمْ): من الهدية والإهداء أي أعطيكم وأملككم الشيء المهدى إليكم.

وقوله: (مِّنْ كَلَامِي قَصِيدَةً): (الكلام): هو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها[1]، ويتكون الكلام من كلمات، (قَصِيدَةً): نظمٌ مخصوصُ على قافيةٍ واحدة مخصوصة، أو هي ألفاظٌ مخصوصةٌ دالةٌ على معانٍ مخصوصةٍ موزونة بوزن مخصوصٍ على رويٍّ مخصوصٍ[2]، و(قصيدة) على وزن فعيلة بمعنى مفعولة، وسميتْ القصيدة قصيدةً؛ لأنها مقصودة بالذات لناظمها بالبناء الخاص، وفي هذا الشطر من هذا البيت وثيقة من الناظم تؤكد نسبة المنظومة إليه، مما لم يجعل مجالًا للشكِّ فيها، وفي نسبتها إليه.

وقوله: (أُقَدِّمُهَا لِلنَّفْسِ): (أُقَدِّمُهَا): أي أجعلها مقدمة وسببًا لحصول الثواب للنفس يوم القيامة؛ لأن كلَّ ما يعمله الإنسان من عملٍ صالحٍ يعود إلى نفسه بالثواب الجزيل، فالعمل الصالح قربان للنفس لنيل الثواب في الآخرة،

---

(١) ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة العشرون: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج١ ص١٤.

(٢) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

وقوله: (يَوْمَ التَّغَابُنِ): أي يوم القيامة، وسمي بهذا الاسم؛ لأن المؤمنين يغبنون الكافرين بأخذ منازلهم في الجنة، والكافرين يأخذون منازل المؤمنين في النار، وأصل التغابن يكون في التجارة، واستعير ليوم القيامة لما يحدث فيه من الظفر بالأجور لبعض الخلق دون بعض، وفي هذا الشطر بيان رغبة الناظم في ثواب الله تعالى يوم القيامة من تقديمه هذه القصيدة هدية لإخوانه في الدين، ناصحًا لهم في أبياتها، قائمًا بواجب الأخوة لهم، ممتثلًا لأمر النبي ﷺ حينما قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١).

قال الناظم:

٣- تُنَبِّهُكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا لَمَ يَسَعْكُمُ ... فَمَا حُكْتُهَا بوَصْفِ جَامٍ وَلَا دَنِّ

قوله: (تُنَبِّهُكُمْ): (التنبيه): مصدر نبَّهَ، وهو لفتُ النظر والعقل والاهتمام إلى الشيء، أي إثارة الذهن ولفتُ النظر والاهتمام، (عَنْ بَعْضِ مَا لَمَ يَسَعْكُمُ): أي إن هذه القصيدة تنبِّهكم أيها الإخوان، وتلفت أنظاركم وتثير أذهانكم إلى بعض ما ذهلتم عنه، ولم تتنبهوا له، واشتغلتم عنه ولم تهتموا به، وهو مما لا يسعكم ترك علمه، من العقائد والأحكام، ومعرفة الكبائر والصغائر؛ فإنَّ جهل ذلك والذهولَ والاشتغالَ عنه لا يحسن بكم ولا يليق بمقامكم.

وفي إسناد التنبيه إلى القصيدة لا إليه - مع أنه الأصل - فيه إظهارٌ للخُلق الرفيع الذي يتحلى به هذا الإمام الرضي رضي الله عنه تجاه إخوانه، فلم يعدمهم العلم

(١) رواه مسلم، باب: بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث: ٥٥.

بما لا يسعهم ترك علمه، وإنما هو مجرد تنبيه لا تعليم، لما يعلمه من وجود حقيقته في نفوسهم، وإنما طغى على الاشتغال به وظهوره طلبهم المعاش والاشتغال به والمخالطة الدائمة لأسبابه، مما جعله يخشى عليهم ترك علم ما لا يسع جهله بالكلية شيئًا فشيئًا، فكان هذا هو المؤرق له والدافع لتحريك يراعه الملهم بتسطير هذه القصيدة، مع الحذر الشديد في كيفية توصيل المعلومة التي يريد تنبيههم عليها، فأحسن ذلك وأجاد.

وقوله: (فَمَا حُكْتُهَا): (الحياكة): مصدر حاكَ، والأصل أنها حرفة نسيج الثياب، واستعارها الناظم في التعبير عن نسيجه لهذه القصيدة بدقةٍ متناهية، لأهميتها وأهمية مضمونها ومحتواها، فقد حاكها كما يحيك النسَّاج الثياب بدقة متناهية مع تشابك خيوطها لتعطي ثوبًا متكاملَ البناء، فهو يقول بأنه لم يحِكها تلك الحياكة الدقيقة في ذكر كؤوس الخمور والغواني كما يفعل النُدام في شعرهم وتغنيهم بالخمر والمجون، بل حاكها لبيان عقائد الدين وأصوله، فحريٌّ انتباهكم لها واهتمامكم بها.

وقوله: (بِوَصْفِ جَامٍ وَلَا دَنِّ): (الجامُّ): هو الكأس بالفارسية[1]، ويطلق غالبًا على الكأس الذي يُشرب فيه الخمر، و(الدَّن): وعاء يوضع فيه الخمر وهو الخرس من الطين، وجمعه (دنان)، وهي الحِباب أو الخروس التي تصنع من الطين المحروق، وتحفظ فيها الخمور والخل.

وفي البيت حثٌّ من الناظم لإخوانه على الاهتمام بالقصيدة وعدم تهميشها، وذلك بإثارة الحفيظة من ذكره أنه لم ينسجها في ذكر الخمر وكؤوسها ودنانها

(١) التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م، ج١ ص٥٨٩.

حتى تعافوها، بل في ذكر ما يلزمكم معرفته وعلمه شرعًا وما لا يسعكم ترك علمه، فكان هذا دافعًا لكم للوقوف على القصيدة ودراسة ما فيها، وفي ذلك عتابٌ ضمنيٌّ لو أنهم عزفوا عنها، وهم ومَن جاء بعدهم ـ بحمد الله ـ لم يعزفوا عنها بل رعوها حق رعايتها، واعتنوا بشرحها وتدريسها وبيان عظم مكانتها، وجلالة قدرها، فحصلت له ثمرة التنبيه الذي تفضل به والحمد لله رب العالمين.

قال الناظم:

٤ ـ أَرُومُ بِهَا إِحْيَاءَ عِلْمَ عَقَائِدٍ دَرَسْنَ فَلَمْ يَحْفَلْ بِهَا كُلُّ مُعْتَنِ

قوله: (أَرُومُ بِهَا): أي أقصدُ وأطلبُ بها، فهو من رام يروم رومًا فمصدره الروم، بخلاف رام أي فارق مكانه، فهو رام يريم رومًا، (إِحْيَاءَ عِلْمَ عَقَائِدٍ): (الإحياء) ضد الإماتة، وهو بعث الأجساد بعد ما صارتْ رميمًا منسيًا، فاستعار الناظم هذه الكلمة لما لها من المعنى العميق الذي يريد أن يوصلنا إليه من مدى تناسي الإخوان لهذه العقائد والأصول، وعدم اشتغالهم بها حتى صارتْ كالأجساد البالية بعد الموت، فَنَظَمَ هذه القصيدة ليحييَ بها ما ماتْ ونُسيَ من العقائد والأصول.

وقوله: (عِلْمَ عَقَائِدٍ): هو العلم الذي يبحث في العلم بالله تعالى وآياته، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، وكذلك العلم بالنبوات، وكل ما يتعلق بأمور الآخرة من بعث وجنة ونار ووعد ووعيد... إلى غير ذلك، (العقائد): جمع عقيدة، والعقيدة ما انعقد في القلب ورسخ فيه.

وعلم العقيدة الإسلامية من أشرف العلوم وأجلها؛ لأن موضوعها أصول الديانات، وفيها معرفة الاعتقادات، وهي عبادة محلها العقل، فإذا اعتقدها الإنسان على الوجه الذي ينبغي نار عقله، واتضح له الحق، وصار من المؤمنين الكاملين في الإيمان[1].

---

(١) السالمي، أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم (توفي: ١٣٣٢هـ)، مشارق أنوار العقول، تعليق: =

وقوله: (دَرَسْـــنَ فَلَمْ يَحْفَلْ بِهَا كُلُّ مُعْتَنٍ): (الدرس): من الاندراس وهو الاندثار والتلاشـــي والمحو، (فَلَـــمْ يَحْفَلْ): الاحتفال هنـــا بمعنى: الاهتمام والاحتفاء، فلم يحفل دليل عدم الاهتمام والاكتراث، أي لم يهتم ولم يكترث بعلم العقائد التي اندرســـت، (كُلُّ مُعْتَنٍ): أي كل من له عناية، أو كل مَن مِن شأنه العناية بهذا العلم، فاعتنى بغيره مما لم يندرس فأعان على اندراس علم العقيدة بين الإخوان، فلا بدَّ أن يبقى لهذا الدين مـــن يحفظه ويجليه، ويبقى للعقيدة مَن يُحيي ما اندرس منها، ويزيح الغشاوة عنها، اللهم وفقنا للعمل بما شـــرعته لنا على لســـان نبيك الأمين ﷺ، واجعلنا لما اندرس من السنن من المحيين السابقين العاملين.

قال الناظم:

٥ ـ أَلَا بَدِّلُـــوا قَافًـــا بِعيـــنٍ وَصَادَهَا بِقَافٍ وَصُونُوهَا مِنَ الصَّحْفِ وَاللَّحْنِ

قوله: (أَلَا بَدِّلُوا قَافًا بِعينٍ وَصَادَهَا بِقَافٍ): هنا طلبٌ من الناظم لإخوانه أن يبدلوا قافَ (قصيدة) بحـــرف العين، ويبدلوا صادَ (قصيـــدة) بحرف القاف، فتكون (عقيدة) بدلًا من (قصيدة).

والإبدالُ والاستبدالُ والتبديلُ جَعْلُ الشـــيءِ مكانَ آخَر، و«بَدَّلَ» يتعدَّى لمفعولٍ واحدٍ بنفسِه، وإلى آخر بالباءِ، والمجرورُ بها هو المتروكُ والمنصوبُ هو الموجودُ كقولِ أبي النجم:

وبُدِّلَـــتْ والدهـــرُ ذو تَبَـــدُّلِ هَيْفًـــا دَبُـــورًا بالصَّبا والشَّـــمْأَلِ

فالمقطوعُ عنها الصَّبا والحاصلُ لها الهَيْفُ، قالَه أبو البقاء[1].

= سماحة الشـــيخ أحمد بن حمد الخليلي، مكتبة الإمام نور الدين السالمي ـ السيب، الحيل الجنوبية، بدون ذكر الطبعة، ص٥٨٣.

(١) الســـمين الحلبي، أبو العباس، شـــهاب الدين، أحمد بن يوســـف بن عبد الدائم المعروف =

- **فائدة لغوية:**

الأصلُ أن المستبدل أي (المرفوع) المزال، هو الذي يتصل بالباء، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]. فهم استبدلوا الخير بما هو أدنى، فكان (الحاصل) ما هو أدنى، (والمرفوع) ما هو خير، ولهذا وبَّخهم الله تعالى.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]، (فالحاصل) هو الكفر، والمستبدل (المرفوع) هو الإيمان.

وكما في قوله تعالى أيضًا: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، (فالحاصل) هو الخبيث، والمستبدل (المرفوع) هو الطيب.

وهكذا في قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦]، (فالحاصل) هو جنتان ذواتا أكل، والمستبدل (المرفوع) هو جنتاهم.

وقوله: (وَصُونُوهَا مِنَ الصَّحْفِ وَاللَّحْنِ): (الصون): الحفظ والوقاية، (الصَّحف): هو التصحيف وهو تغيير مواضع حروف الكلمة، فتتولد كلمة جديدة بعيدة المعنى، أو إبدال الحروف بمتشابهاتها، كإبدال السين شينًا والعكس، (واللَّحن): هو الخطأ في أداء الكلمة أو حروفها، ويراد به هنا اللحن في الإعراب، كنصب المرفوع الذي من حقه الرفع، أو رفع المنصوب الذي منه حقه النصب، وبالتالي يتغير المعنى المراد من الكلام، فالناظم ينبّه الإخوان

= بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج١ ص٣٧٩.

إلى مزيد الاعتناء بالقصيدة وضبطها، لما فيها من الحساسـية الكبيرة التي لو تغيرت بعض كلماتها لأدت إلى ما لا تُحمد عقباه من الاعتقاد.

وأقول: هـذا البيت هو الذي سـلبني عقلي، وشـحذ همتي، وشـغفني بالقصيدة حبًا، فأغرمني بغرامها فقرأتها عدة مراتٍ بلا مِلال، وأغراني بأبياتها فشمرت لها شارحًا، ولمكنوناتها مستخرجًا.

* * *

الفصل الثاني
في ذكر الغاية من نظم القصيدة

قال الناظم:

٦- نَظَـرْتُ إِلَـى قُرَّائِنَـا فَوَجَدْتُهُـمْ   بِفِقْـهِ الْمَعَـاشِ مُولَعِينَ بِأَلْسُـنِ

قوله: (نَظَـرْتُ إِلَى قُرَّائِنَـا): النظر هنا بالبصيرة لا بالبصـر، وهو التفكر والتأمل، أي تفكرتُ وتأملتُ في حال قرائنا، (القرَّاء): كثيرو القراءة، ويريد بهم المشـتغلين بطلب العلم من أهل المذهب، بقراءة كتبه والبحث عن مسائله، (فوجدتهم): ألفيتهم ورأيتُ إقبالهم واهتمامهم، (بِفِقْهِ الْمَعَاشِ): بمعرفة ما لهم وما عليهـم فيما يخص معيشـتهم، مـن قراءة المسـائل المتعلقـة بأحكام المطعومات من بيعٍ وشراءٍ، والمسائل المتعلقة بالنكاح والطلاق وجميع أمور المعاش؛ لأنها عاجلة الثمار، مشـاهدة المعالم، سـهلة التناول، فلهذا كانوا متعمقين فيها، وقد أولوها جلَّ اهتمامهم، وهذا ما جعل الناظم يصفهم بصفة الولع في قوله: (مُولَعِينَ بِأَلْسُنِ): أي مغرمين؛ إذ الولع: درجة عالية من التعلق بالشيء، والمولع شديد التعلق، يقال: ولع الشـخص بكذا، إذا عَلِق به تعلقًا شديدًا، والولع بالمسائل الفقهية المتعلقة بالمعاش يكون بالقراءة فيها باللسان أو المناقشـة فيها والتدارس بين الأقران، فالعضو المسـؤول والمتحرك في تحقيق هذا الولع هو اللسان لا غيره، فلهذا قال الناظم بأنهم (مُولَعِينَ بِأَلْسُنِ)، أي ولعهم في الخوض في هذه المسائل بألسنتهم، ومراده كثرة اشتغال ألسنتهم في مجالسـهم واجتماعاتهم بالحديث عن مسـائل البيع والشـراء والنكاح والطلاق والأكل والشرب، ولا يتحدثون عن مسائل الدين وأصوله من توحيد وتنزيه وتقديس لله تعالى وباقي الإيمانيات، حتى غدت هذه العلوم مهمشـة الطلب، بعيدة التناول في المجالـس، وفي هذا البيت توبيخٌ وإنكارٌ شـديدٌ مغلَّف بلطفٍ وحِنكة أدبية.

قال الناظم:

٧ ـ تَنَاسَوْا أُصُولَ الدِّينِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا صِعَابٌ وَمَا فِيهَا ثِمَـارٌ لِمَنْ يَجْنِ

قوله: (تَنَاسَوْا أُصُولَ الدِّينِ): (التناسي): هو النسيان المتعمد غير المطبق، أي تعمُّد ترك ذكر الأمر لعدم الرغبة في ذكره، (أُصُولَ الدِّينِ): (الأصل): وهو ما ابتنى عليه غيره كما اختاره الإمام السالمي في «المشارق»[1]، (الدين): هو وضعٌ إلهيٌّ سائقٌ لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خيرٌ لهم بالذات[2]، ويراد بالأصول هنا مسائل أصول الدين؛ لأن هذه المنظومة وضعت لبيانها[3].

وقوله: (مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا صِعَابٌ): هذا بيان العلة الأولى التي دفعتهم إلى التناسي والاشتغال عن مسائل أصول الدين (العقيدة والتوحيد) وعدم الحديث فيها، من أجل أنها أي مسائل العقيدة صعاب، (صِعَابٌ): جمع صعبة، وهي عسير التناول، ويريد أنهم يتعللون بتناسي مسائل أصول الدين وعدم خوضهم فيها إلى أنها صعبة التناول، فهي غير سهلةٍ من حيث التناول والفهم والحفظ والإتقان.

وقوله: (وَمَا فِيهَا ثِمَارٌ لِمَنْ يَجْنِ): وفي هذا بيان العلة الثانية التي دفعتهم إلى تناسي مسائل الدين وعدم الاهتمام بمدارستها وذكرها في مجالسهم، أنها

---

(١) السالمي، مشارق أنوار العقول، ص٢٦.

(٢) السالمي، أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي (ت: ١٣٣٢هـ)، بهجة الأنوار.. الشرح المختصر لمنظومة أنوار العقول، تحقيق: اللجنة العلمية بموقع بصيرة، تقديم: سلطان بن مبارك الشيباني، مكتبة خزائن الآثار ـ سلطنة عُمان، (موقع بصيرة)، الطبعة الأولى: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص٥٢ (بتصرف).

(٣) البوصافي، راشد بن سالم بن راشد (الباحث)، نفائس المنقول في شرح أنوار العقول، ص٢٦ (مرقون ـ ما زال في طور الإعداد).

ما فيها ثمارٌ عاجلة تجنى وترتجى منها، بخلاف مسائل المعاش ففيها ثمار عاجلة وفائدة واستفادة ظاهرة، وكون أن ثمرات مسائل الدين اليانعة غمتْ عليهم، توهموا عدم وجودها بالكلية، فتركوا الخوض في هذه المسائل ومدارستها لعدم الفائدة المرجوة الظاهرة منها.

فبعد هذا التشخيص الدقيق لأهم الأسباب كان لزامًا على العالم الرباني الذي ينظر بنور الله تعالى في هذه القضايا، أن يصحح هذه النظرة السلبية لإخوانه، ويعيدهم إلى حضيرة حلق التوحيد ومسائل أصول الدين، وذلك بأمرين قام بهما الناظم ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ:

أولهما: تصحيح هذه الفكرة وتغيير هذه النظرة بتذكيرهم بماضي السلف الصالح ومدى اهتمامهم بمسائل التوحيد.

وثانيهما: سبك مسائل أصول الدين في قالب نظمي شعري سلس وسهل التناول والحفظ، فجزاه الله عنا وعنهم خير الجزاء.

لهذا قال الناظم مبينًا الغرض من نظمه:

٨ـ فَأَحْبَبْتُ تَجْدِيدَ العُهُودِ لِنَظْمِ مَا ... تَنَاثَرَ مِنْ تِلْكَ العُقُودِ بِأَمْتُنِ

قوله: (**فَأَحْبَبْتُ تَجْدِيدَ العُهُودِ**): (**الحبُّ**): هو انفعالٌ عاطفيٌ وشعورٌ فسيولوجيٌ يدلُ على ميلان النفس وانجذاب القلب نحو الشيء، (**فأحببتُ**) أي رغبت ومالت نفسي، (**تَجْدِيدَ العُهُودِ**): (**التجديد**): هو إعادة الشيء مرة ثانية ليكون جديدًا، أي إعادة تلك العهود الماضية مرة ثانية، (**العُهُودِ**): جمع عهد، وهو الزمان.

فيريد الناظم إعادة ذلك الزمان السابق الذي كان الناس فيه يتدارسون مسائل أصول الدين، كما كان الصحابة في عهد رسول الله ﷺ في حلقات العلم

عزين، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم إلى المسجد فوجد أصحابه عزين يتذاكرون فنون العلم، فأول حلقة وقف عليها وجدهم يقرؤون القرآن فجلس إليهم فقال: «بهذا أرسلني ربي». ثم قام إلى الثانية فوجدهم يتكلّمون في الحلال والحرام، فجلس إليهم ولم يقل شيئًا، ثم قام إلى الثالثة فوجدهم يذكرون توحيد الله عز وجل ونفي الأشباه والأمثال عنه، فجلس إليهم كثيرًا، ثم قال: «بهذا أمرني ربي»[١].

فالناظم يريد ويرغب في تجديد تلك العهود والأزمنة اللاحقة بالأزمنة والعهود السالفة، وذلك لتَحيى حلقات مسائل التوحيد وأصول الدين، ويكثر مدارستها والاعتناء بها.

وذهب الإمام الثميني رحمه الله في شرحه (النور) على هذه القصيدة، إلى أن (العهود) المذكورة في البيت: هي العقائد المعهودة المعلومة للعلماء والطلبة[٢]، وجعل (العهود) بمعنى (المعهود).

ولكني أعدتُ النظر في كلامه هذا فوجدته بعيدًا عمّا يناسب مراد الناظم من إعادة مجالس حلقات أصول الدين، فأثبتُ أن (العهود) في البيت: هي الأزمان السابقة التي يرغب الناظم في إعادتها وإحيائها، ويؤيد هذا الرأي المختار أن الناظم رحمه الله قد ذكر رغبته في إحياء العقائد التي اندرست بالإهمال وعدم المدارسة، فلا يُحسن أن يعيد هذا الأمر مرة ثانية، فلهذا ترجح لديَّ ما ذهبتُ إليه، من غير قصدٍ مني مخالفة سيدي الإمام الثميني رحمه الله في شرحه، ولكن هذا ما رزقني الله تعالى به من الفهم والنظر، والله تعالى الموفق.

---

(١) مسند الربيع بن حبيب، باب: باب في العلم وطلبه وفضله، رقم الحديث: ٢٨.

(٢) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

وقوله: (لِنَظْمِ مَا تَنَاثَرَ مِنْ تِلْكَ العُقُودِ بِأَمْتُنِ): حرف اللام للسببية في مقام حرف الباء، فالأصل بنظم، (والنظم): لفُّ الشـيء إلى الشـيء، يقال: نظمتُ اللؤلؤ في السـلك، إذا ضممـتُ بعضه إلـى بعض، وفـي الاصطلاح: وزن مخصوص على قافية مخصوصة[1]، (ما تناثر): علـى وزن تَفَاعَل، من الانتثار: وهو التبعثر والتشتت، (من تلك العقود): إشارة إلى مسائل الدين المنسية، فقد شـبَّه نسـيانها بتناثرها، لجامع عدم الانتفاع بها والوقـوف عليها مجموعة، والإشارة إلى العقائد باسم الإشـارة (تلك) من أجل العهد الذهني العائد إلى المقصود بالذات الذي سبق ذكره من الأبيات السابقة، وهو مسائل أصول الدين المنسية، (العقود): جمع عِقد، وهو السلك الحاوي للآلئ والجواهر، ويراد بها هنا مسائل الاعتقاد، المشار إليها سابقًا بأصول الدين، وقوله: (بأمتن): أي على شكل متنٍ منظومٍ يستوعب جميع مسائل أصول الدين أو أغلبها.

فيريد الناظـم أن يعيد تجديـد تلك الأزمنـة التي كانت حلقـات العلم والتوحيد تقام فيها، ويتدارس فيها توحيد الله وصفاته وأسماؤه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، وذلك بأن ينظم ما تناثر وبعثره النسـيان والتناسي من مسائل الاعتقاد في متن منظومٍ، سـهلِ المأخَذ قريب المتناوَل، سلس الحفظ، سريع الإتقان، وقد وفقه الله تعالى إلى هذا النظم المرجو، والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

---

(١) السـالمي، بهجة الأنوار، ص٥٣/ الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

الباب الأول

في التوحيد وخصاله

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

ذكر ما يجب على المكلف اعتقاده

قال الناظم:

٩- فَــأَوَّلُ عِلْــمٍ يَلْــزَمُ العَبْــدَ فَرْضُهُ ... عَلَى الفَوْرِ تَوْحِيــدُ الإِلَهِ الْمُهَيْمِنِ

قوله: (فَــأَوَّلُ عِلْمٍ يَلْزَمُ العَبْــدَ فَرْضُهُ): أي أول ما يجــب علم فرضه من الواجبات الشــرعية، و(العلم): هو معرفة المرء ما يجب له وعليه من الحقوق والواجبات بدليل شرعي، و(الفرض): هو الواجب المتحتم على المرء بنص الكتاب العزيز والسنة المطهرة، و(العبد): الإنسان المكلَّف، و(المكلَّف): هو الشخص البالغ العاقل الصحيح، وأما العاقل البالغ غير الصحيح فلا يسقط عنه كل التكليف، وإنما تختلف أحكام تكليفه من حيث طريقة الأداء، فيكلَّف بقدر ما يستطيع، والله تعالى أعلم[1].

و(التكليــف): هو إلــزام العبد ماله وما عليــه فعلًا واعتقــادًا[2]، وأصل التكليف كل ما فيه مشقة على النفس، ولتحقق التكليف على المكلَّف لا بدَّ

---

(١) البوصافي، بغية الراقي في شرح خلاصة المراقي، ص٥٨.

(٢) السالمي، أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم (ت: ١٣٣٢هـ)، طلعة الشمس شرح شمس الأصول، تحقيق عمر حسن القيّام، مكتبة الإمام السالمي، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ج٢ ص٣٦١.

من وجود الأهلية فيه، وأهلية التكليف تنقسم إلى قسمين: أهلية وجوب، وأهلية أداء.

ويشترط لتحقق أهلية التكليف شرطين اثنين وهما: صحة البدن وقوة العقل، ونصب لهما الشارع علامات للتعرف على حصولهما، فصحة البدن تعرف بقوته وتحمله التكاليف الشرعية، وقوة العقل شيءٌ خفيٌ تُعرف بالبلوغ.

والبلوغ شيءٌ خفيٌ يُعرف بعلاماته التي نصبت شرعًا للدلالة عليه، وهي معروفةٌ مشهورة في كتب الفقه، كنبات الشعر في الأماكن المخصوصة، وخروج الماء الدافق، والحيض وتكعب الثديين بالنسبة للمرأة، وبناءً على ما سبق فإن الأهلية حسب حالة الشخص المخاطب ثلاثة أنواع: كامل الأهلية، وناقص الأهلية، وفاقد الأهلية[١]، (يلزم): أي اللزوم الشرعي أي يجب.

وقوله: (عَلَى الفَوْرِ تَوْحِيدُ الإِلَهِ الْمُهَيْمِنِ): (على الفور): أي يجب فورًا لا على التراخي والإمهال، بل يجب في تلك اللحظة ولا يصح فيه التأخير والتسويف، (تَوْحِيدُ الإِلَهِ الْمُهَيْمِنِ): (التوحيد): هو إثبات الوحدانية لله تعالى والإقرار له بالربوبية[٢]، أي أن الله تعالى هو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا يشاركه أحدٌ في ذلك كله ولا في بعضه.

(الإله): هو الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له في الألوهية، فهو الواحد المستحق للعبادة لا سواه، (المهيمن): هو القائم على الوجود، المسيطر على كل ذرة فيه، فالهيمنة السيطرة والغلبة والقهر.

وفي البيت إشارة إلى اعتقاد جملة التوحيد، فاعتقادها واجب فوري بعد قيام الحجة بها، وجملة التوحيد يجب اعتقادها بمجرد التكليف، وهو أن يعتقد

---

(١) البوصافي، بغية الراقي في شرح خلاصة المراقي، ص ٥٧.

(٢) السالمي، بهجة الأنوار، ص ١٢٠.

الإنسان العاقل أن له موجدًا أوجده، وخالقًا خلقه، وصانعًا صنعه، وأن خالقه وصانعه حكيمٌ وقديرٌ وخبيرٌ ومريدٌ وفعّالٌ لما يريد، وأنه عليمٌ بكل شيء، كل ذلك من خلال عقله الذي يدله على ذلك، وبالنظر في نفسه وفي هذا الكون، فلا يمكن أن يكون صنعه الدقيق لا يدله ـ إن تأمل وتفكر ـ على خالقه وصانعه وصفات هذا الصانع الخبير.

ومن هنا نقول: إن جملة التوحيد هي كغيرها من الواجبات والتكاليف الشرعية لا يجب علمها إلا بعد قيام الحجة بها وبكيفية أدائها، إلا أنها متى ما وجبت وقامت الحجة بها بالبراهين العقلية والأدلة النقلية فيجب اعتقادها، ولا يجوز جهلها، ويحرم الشكُّ فيها، ولا ينفس في السؤال عنها، بل يجب اعتقادها فورًا، وفي هذه النقطة تفترق الجملة عن باقي التكاليف الشرعية، فإنها ـ أي باقي التكاليف الشرعية ـ ينفس في السؤال عنها؛ وذلك لأن ما تحتويه الجملة من مضمون إنما تقوم حجته بدلالة العقول، فعندما تقوم الحجة النقلية المعروفة في طرق قيام الحجة الشرعية بالشيء، تكون هذه الحجة النقلية موافقة لحجة مقتضيات العقول، فمن هنا يجب اعتقاد جملة التوحيد على الفور ولا يجوز تأخير اعتقادها طرفة عين بعد قيام الحجة بها والله تعالى أعلم.

(التوحيد): قلنا هو إثبات الوحدانية لله تعالى والإقرار له بالربوبية، وهذا يستلزم أمرين اثنين:

١ ـ إثبات الوحدانية لله في ذاته وصفاته وأفعاله، ومعناه أنه تعالى واحدٌ في ذاته لا يُشبِهُهُ أحدٌ ولا يُشبِهُ أحدًا، فذاته لا تشبه ذوات مخلوقاته ولا ذوات مخلوقاته تشبه ذاته، وواحدٌ في صفاته فلا يشبهه أحدٌ في صفة من صفاته ولا يشابه أحدًا في صفة من صفاته، فصفاته لا تشابه صفات مخلوقاته ولا صفات مخلوقاته تشابه صفاته تعالى، وواحد في أفعاله فلا يشاركه أحد في أفعاله، ولا يماثل فعله فعل أحد من مخلوقاته.

٢ ـ إثبات الوحدانية في العبادة: فهو الواحد المستحق للعبادة، فلا يُتوجه بالعبادة إلى سواه، ولا يشترك معه غيره فيها.

نتيجة هذا الاستلزام:

١ ـ مَن شبَّه الله تعالى في ذاته أو صفاته أو في أفعاله بشيء من صفات خلقه، لم يوحده توحيد الألوهية الصحيح.

٢ ـ مَن توجَّه بالعبادة إلى غيره تعالى رأسًا، أو مَن شارك معه غيره في العبادة، لم يوحده توحيد العبودية الصحيح.

- **كما يجب على المكلف أن يعلم أن المهلكات يوم القيامة نوعان:**

١ ـ مهلكات عقدية: (تتعلق بالتوحيد والتنزيه ونفي التشبيه عن الله تعالى).

٢ ـ مهلكات عملية: (تتعلق بامتثال التكاليف الشرعية، وهو امتثال الأمر بالفعل، وامتثال النهي بالترك).

قال الناظم:

١٠ ـ فَإِنْ أَدْرَكَ التَّوْحِيدَ دَرَّجَ غَيْرَهُ وَإِلَّا فَمَا أَحْرَاهُ شِبْهًا بِذِي الوَثْن

قوله: (**فَإِنْ أَدْرَكَ التَّوْحِيدَ دَرَّجَ غَيْرَهُ**): (الإدراك): هنا بمعنى العلم بالشيء، فمن أدرك التوحيد أي علمه وتيقنه، وأدى ما يجب عليه من موجبات التوحيد الخالص لله تعالى، (درَّج غيره): أي تدرَّج إلى معرفة غيره من التكاليف الشرعية، من نحو المأمورات القولية والعملية، والمنهيات القولية والعملية.

وقوله: (**وَإِلَّا فَمَا أَحْرَاهُ شِبْهًا بِذِي الوَثْن**): (إلَّا): حرف يراد به التعقيب والاستدراك، أي إن لم يدرك العبد المكلَّف التوحيد، ولم يؤدِّ موجباته عليه، ولم يتدرج في علم غيره من التكاليف الشرعية؛ فإنه حريٌّ به التشبه بعبدة

الأصنام والأوثان، (الشـبيه): هو المشـارِكُ لغيره ولو في صفـة واحدة من صفاته[١]، (الوثن): هو الصنم من الحجارة، ولهذا قال الناظم: (فَمَا أَحْرَاهُ شِبْهًا بِذِي الوَثْنِ): أي مَن الذي يكون أحرى منه وأولى في التشبه بعبدة الأوثان إن لم يكن هو؟ أو بمعنًـى آخر وهو: أنه يكـون حريًا بوصفه وتشـبيهه بعبدة الأوثان، إن لم يدرك التوحيد الخالص كلَّه، ولم يُثنِّ بالقيام بما يجب عليه من التكاليف الشرعية الأخرى، وفي البيت تضمن معنى التوبيخ لمن ترك إدراك التوحيد ومعرفة موجباته والدينونة به لله تعالى.

قال الناظم:

١١- فَقُلْ لِـي وَنَبِّئْنِي لِمَـنْ أَنْتَ عَامِلٌ وَمَا كُنْتَ تَدْعُو يَا أَخَا الْجَهْلِ مَنْ مَنِ

قوله: (فَقُلْ لِي وَنَبِّئْنِي لِمَنْ أَنْتَ عَامِلٌ): (فَقُلْ): فعل أمرٍ من القول، أي اذكر لي بالقول، (وَنَبِّئْنِي): فعل أمرٍ من الإنباء وهو الإخبار، والنبأ هو الخبر، أي قل لي وأخبرني أيها المكلَّف إن لم تدرك علم التوحيد الخالص، وتتدرج منه إلى معرفة باقي التكاليف الشرعية، لتقوم بحق الله تعالى الواجب عليك، (لِمَنْ أَنْتَ عَامِلٌ): أي لمن تتوجـه بالعبادة والعمل، أخبرني عـن معبودك الذي تقصده وتتوجه إليه وتعمل له، إن لم تدرك التوحيد الخالص لله تعالى وحده.

وقوله: (وَمَا كُنْتَ تَدْعُو يَا أَخَا الْجَهْلِ مَنْ مَنِ): (وما) أي الذي كنت تدعو، (تدعو): الدعاء هو التوجُّـه إليه بالطلب، أي من الذي كنـت تتوجه بالعبادة والدعاء إليه، (يا أخا الجهـل): الياء حرف نداء، (أخـا الجهل): أي صاحب الجهل، شبه الجهل والجاهل برابطة الأخوة لتلازمهما معًا وعدم افتراقهما عن بعضهما، (مَنْ مَنِ): أي مَنْ ذا الذي تعبده وتتوجَّه إليه بالعبادة والدعاء، أي قلْ لي: مَنْ هو مَنْ هو؟!

---

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص١٢٢.

وفي هذا البيت توبيخٌ للمكلَّــف الجاهل بتوحيد ربه تبارك وتعالى، وذمٌ لجهله وتخبطه في التوجُّه بالعبادة والدعاء إلى سواه، وهذا التوبيخ تمهيد منه لما يأتي من ذكر المقصود من هذه القصيدة وهو بيت القصيد كما يقال.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني
ذكر ما يليق وما لا يليق بالله ﷻ من الصفات

قال الناظم:

١٢ ـ أَقُـولُ بِـأَنَّ اللهَ حَـقٌّ حَقِيقَـةً وَقَـدْ كَانَ لَا كَيْنُونَـةً مِـنْ مُكَوِّنِ

قوله: (أَقُولُ بِأَنَّ اللهَ حَقٌّ حَقِيقَةً): **(أَقُـولُ)**: من القول الجازم المبني على دليلٍ قاطع، أي أقول يقينًا وأقرُّ إقرارًا وأجزم بأن الله خالقنا حقٌّ وجوده حقيقة، **(اللهُ)**: علمٌ على ذات واجب الوجود المستحق لجميع المحامد بذاته(١).

قولهم: (علم على الذات): استُشـكِل من حيـث: أن وضع العلم على شيء فرع إدراك ذلك الشيء، فلا بدَّ وأن يكون الواضعُ عَلِمَ حقيقة الشيء وأدرك حقيقة ذاته، والله تعالى لا مدرك لحقيقـة ذاته إلا هو، فمَن ينصب لذاته علمًا؟!(٢).

الجواب/ إما أن يكون الواضع لهذا العلم على ذات الله تعالى هو الله تعالى نفسه، فلا إشـكال حينئذٍ فهو العالم بحقيقة ذاته، وإما أن يكون الواضع لهذا العلم هم المخلوقون، وذلك بما أدركوه من آثار صفاته ﷻ.

---

(١) أطفيش، أمحمد بن يوسف بن عيسى اليزجني الجزائري (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، هيميان الزاد إلى دار المعاد، وزارة التراث القومي والثقافة ـ سـلطنة عُمـان، الطبعة: ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ج١ ص٥٥ /السالمي، بهجة الأنوار، ص٤٣ /السالمي، مشارق أنوار العقول، ص١٨ /الخليلي، أحمد بن حمد بن سليمان، جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج١ ص٢٠٠ /السيابي، أبو يحيى خلفان بن جُميّل بن مهيّل السـمائلي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، جلاء العمى شـرح ميمية الدما، صححه وعلق عليه: عز الدين التنوخي، وزارة التراث والثقافة: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٣.

(٢) أطفيش، هيميان الزاد، ج١ ص٥٦ /السالمي، مشارق أنوار العقول، ص١٨ ـ ١٩ (بتصرف).

وقد حكى الكمال ابن الهمام الحنفي الإجماع على أن الواضع لاسم (الله) هو الله تعالى لا غيره[1]، وإن اختلفوا في غير هذا الاسم الكريم.

قولهم: (واجب الوجود): أي وجوده تعالى واجب ضروري، فهو موجد الوجود، وإثبات وجود الوجود إثبات وجوب وجود موجد الوجود ﷻ؛ لأن وجود الوجود دليلٌ على وجود موجده.

واستُشكِل من حيث: أن قولهم (واجب الوجود) وما بعده من ألفاظ التعريف السابق، يشعر بالتكميل للذات، والذات العلية لا نقص بها حتى يلزم تكميلها[2].

الجواب/ بأن هذه الألفاظ وردت على سبيل التخصيص للذات لا التكميل.

وقولهم: (المستحق لجميع المحامد لذاته): أي أن الله تعالى مستحق للحمد؛ لأنه متصفٌ بموجباتِ المحامد الذاتية والفعلية في ذاته تعالى.

(اللهُ) علمٌ خاص لرب العالمين، أي اختص الله تعالى به لكونه عَلَمًا على ذاته العلية، فَصَرَفَ جميع خلقه عن التسمي به فلم تحدِّث أحدًا نفسُهُ ـ وإن كان من أعتى العتاه ـ، أن يتسمى به أو يسمي به غيره، قال الله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

[اللهُ] عند كثير من أهل العلم أنه هو الاسم الأعظم، والأصح أنه مشتق، وأصله الإله، حذفت الهمزة تخفيفًا، واجتمع عندنا حرفان مثلان، وهما اللَّامان، الأولى ساكنة، والثانية متحركة؛ فوجب الإدغام، فقيل: الله، ثم فُخِّمتِ اللَّام بعد الفتح والضم تعظيمًا لله ﷻ فقيل: الله، قال ابن الجزري:

---

(١) أطفيش، هيميان الزاد، ج١ ص٥٦ /السالمي، مشارق أنوار العقول، ص١٨ ـ ١٩.

(٢) السالمي، مشارق أنوار العقول، ص١٨ (بتصرف).

وَفَخِّـمِ الَّـلَامَ مِـنِ اسْـمِ اللهِ عَنْ فَتْـحٍ أوْ ضَـمٍّ كَعَبْـدُ اللهِ[١]

[عَن فتحٍ أو ضمٍّ] أي بعد فتح أو ضـمٍّ؛ لأن حرف (عن) يأتي في القرآن الكريم بمعنى (بعد) كما في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]، أي طبقًا بعد طبـق، فقوله (بعد فتحٍ) نحو: رأيت عبـدَ الله، وقوله (بعد ضمٍّ) نحو: جاء عبدُ الله.

أما (بعد الكسـر) فترقق اللّام وهذا مذهب الجمهور، أنَّ اللّام تفخم بعد الضم والفتح، وترقق بعد الكسر، وقيل: ترقق مطلقًا، وقيل: تفخم مطلقًا[٢].

ومن أغرب ما قيل أن هذا الاسـم الكريم ليس بعربي الأصل، وهو رأي لا يُلتفت إليه، ولعل مَن قال به حيَّره اختلاف العلماء فيه، هل هو مشتق أو غير مشتق؟ وما هو أصل اشتقاقه، فلم يسـتطع أن يخلص من ذلك إلا إلى القول بأنه أعجمي الأصل[٣].

وقوله: (وَقَـدْ كَانَ لَا كَيْنُونَةً مِـنْ مُكَـوِّنِ): أي أن الله تعالى كان، أي موجود ووجوده قديم لم يسـبقه عدم، (لَا كَيْنُونَةً مِنْ مُكَوِّنِ): أي وجوده وكينونته بلا موجـدٍ ولا إيجاد، فلا موجدَ له ولا مُكـوِّنَ له ﷻ، بل هو موجدُ الكون ومَن فيه ومُكوِّنُهم، وموجد كينونتهم في الكون من بعد عدم تكونهم، ومن هنا نقول:

---

(١) ابن الجزري، شـمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، منظومـة المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه (الجزرية)، دار المغني للنشـر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ١٣.

(٢) الحازمي، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي)، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٩ (بتصرف).

(٣) الخليلي، جواهر التفسير، ج١ ص ٢٠٥.

• **إن وجـود الله تعالى يختلف عن وجـود غيره من الموجـودات (وهي مخلوقاته) من عدة جوانب[(١)]:**

- **وجود الله تعالى ضروري واجب، بينما وجود المخلوقات غير ضروري ولا واجب.**
- **وجود الله تعالى بـلا موجدٍ ولا إيجـاد، بينما وجـود المخلوقات بموجدٍ وإيجاد.**
- **وجود الله تعالى لم يسبقه عدم ولا يعقبه فناء، بينما وجود المخلوقات سبقه عدم ويعقبه فناء.**
- **وجود الله تعالى أزلي بلا بداية، بينما وجود المخلوقات حادثٌ له بداية.**
- **وجود الله تعالى سرمدي بلا نهاية، بينما وجود المخلوقات منقطع له نهاية.**

قال الناظم:

١٣ـ كَمَا كَانَ قَبْلَ الْخَلْقِ قَدْ كَانَ بَعْدَهُ وَقَدْ سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنًا بِلَا كُنِ

قوله: (**كَمَا كَانَ قَبْلَ الْخَلْقِ قَدْ كَانَ بَعْدَهُ**): أي أن الله تعالى قبل الخلق، فهو الأول فليس قبله شيء؛ لأنه خالق الخلق كله، كما أخبر عن نفسه بقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، ولأن مقتضيات العقول السليمة توجب أن يكون الخالق قبل الخلق، والصانع قبل الصنعة، والموجد قبل الموجود، والناظم يريد تقرير هذا الإثبات العقلي ليقول لنا بعده (**قَدْ كَانَ بَعْدَهُ**): أي أن الله كما (أي مثلما) ثبت أنه قبل الخلق لأنه موجدهم وخالق كل شيء؛ فإنه عقلًا كذلك بعد الخلق، فوجوده سرمدي باقٍ بلا نهاية كما قررنا

(١) البوصافي، بغية الراقي في شرح خلاصة المراقي، ص٥٩ ـ ٦٠.

ذلك سابقًا، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، أي ذاته تعالى، وهذا إلزام عقليٌ لا خلاف فيه عند المسلمين جميعًا.

وقوله: (وَقَدْ سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنًا بِلَا كُنِ): وبعدما تقرر نقلًا وعقلًا أنه خالق كل شيء وقبل كل شيء، فهو ﷻ خالق الزمان والمكان، ولهذا قال الناظم (وَقَدْ سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنًا بِلَا كُنِ)، أي سبق الأزمان في وجوده، فوجوده بلا إيجاد ولا كن، ووجودها بـ(كن)، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وهذا في جانب الزمان ومنه يتبين أن الله تعالى لا تجري عليه الأزمنة والأوقات، فلا يقال إن الله تعالى يجري عليه الليل والنهار، أو يكون عنده ليل ونهار، فيؤثران عليه وعلى أفعاله، ومن هنا لا نقول إن الله تعالى يتحين حلول الليل لينزل بذاته ليغفر لعباده، فهذا باطل قطعًا؛ لأن القول به يتضمن جريان الليل والنهار عليه تعالى، وأثرهما على تصرفاته وأفعاله، وهذا باطلٌ وتعالى الله عن ذلك، فهو الفعَّال لما يريد متى ما أراد.

وبعدما أخبرنا الناظم رحمه الله عن الزمان وأن الله تعالى خالقه وسابقٌ عليه عقلًا ونقلًا، يأتي بعد ذلك ليخبرنا عن المكان أيضًا؛ لأن الزمان والمكان متلازمان والتأثر بهما من صفات الحوادث المخلوقة.

قال الناظم:

١٤- بِكُلِّ مَكَانٍ كَانَ لَا كَوْنَ جَوْهَرٍ ... وَلَا كَوْنَ تِحْلَالٍ تَعَالَى عَنِ الكَنِّ

قوله: (بِكُلِّ مَكَانٍ كَانَ لَا كَوْنَ جَوْهَرٍ): (الجوهر): هو الجسم المتحيز، أي أن الله تعالى كان، أي موجودٌ حاضرٌ في كلِّ مكانٍ لا حلول جسمٍ مكوَّن متحيزٍ، فالله تعالى كانَ ولا مكان وهو ما يزال على ما كان قبل خلق الزمان والمكان، ووجود الله تعالى وحضوره في كل مكان وجود بعلمه وقدرته

لا بذاته، تعالى عن ذلك؛ لأنه لا يحويه مــكان ولا يجري عليه زمان، وهو بكل شيء محيط، والمحيط بكل شيء لا يُحاط به، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النساء: ١٢٦]، فوجود الله تعالى في كل مكان وجود بعلمه وقدرته وهيمنته، قال الله تعالــى: ﴿هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فبيَّن تعالــى أنه معهم أين ما كانوا محيطٌ بهم بعلمــه، ودليل ذلك ختام الآية بقولــه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾، وهكذا جميع الآيــات والأدلة تحمل على هذا المعنــى تنزيهًا لله تعالى من الحلول في المكان بذاته، وهذا ما سيذكره الناظم في الأبيات القادمة إن شاء الله تعالى.

وقوله: (وَلَا كَوْنَ تِحْلَالٍ تَعَالَى عَنِ الكَــنِّ): أي أن كون الله تعالى في كلِّ مكانٍ موجودًا لا كون حلــول، (التحلالُ): أي الحلول فــي المكان والنزول والمكوث فيه، كما يقال (في الحل والترحال)، (تَعَالَى عَنِ الكَنِّ): أي تنزه الله تعالى عن (الكَنِّ): بالفتح أي الســتر، وهو ما يقتضيه الوجود الجســمي في غيره، والوجود الجوهري والحلولي في المكان، تعالى وتنزَّه وتقدس عن أن يحيط به المكان فيحويه.

وهذان البيتان من القصيدة حُقَّ لهمــا أن يكتبا بماء الذهب، وهما يدلان على عقيدة تنزيهية لله تعالى، ففيهمــا أن الله موجودٌ ووجوده لا في مكان ولا زمان؛ لأنهما حادثان وهو تعالى قبل حدوثهما، ويستحيل تغير ذاته عما كان عليه تعالى، كما أن خلقه لهما بقوله للشيء (كن)، ووجوده تعالى لا بـ(كن)؛ إذ لم يسبق وجوده عدمٌ.

وســئل شــيخنا الصالح صالح بن علي الحارثي كما فــي أجوبته «عين المصالح» عن معنى قوله (كن) في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن

نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠]، وكيف يكون الخطاب متوجهًا لسامعٍ أو أمر لموجود قبل وجوده؟

فأجاب ﷺ بقوله: «... وهو عندي يُراد به كون الشيء وإيجاده؛ أي (كن) كما أردناك كائنًا بقدرتنا وإرادتنا، ولا قولَ هناك ولا خطاب على الحقيقة؛ وإنما الأمر للتسخير لا للتكليف، ويمكن أن يكون هناك خطاب حقيقي على عادة الملوك، بوحي من الله على ما يشاء كيف يشاء...»[1].

ولله درُّ شيخنا العلامة خلفان بن جميّل السيابي رَحِمَهُ اللهُ حيث يقول في هذا المعنى:

وجودك قبل القبل والبعد بعده فمن ثَمَّ فيه ينطوي البعد والقبلُ
وكنتَ ولا كونٌ لأنك أولٌ وما تم سبقٌ أو لحوقٌ له يتلو
وكونتَ كل الكائنات بـ(كن) وما هنالك لفظٌ أو حروفٌ ولا شكلُ
وما غيرُك الباقي لأنك آخرٌ ويفنى جميع الخلق والجزء والكلُّ[2]

والإمام الملوشائي رَحِمَهُ اللهُ أثبت في البيتين وجود الله تعالى، ونزّهه من أن يكون وجوده في كلّ مكان كوجود الجسم والجوهر، من الحلول والحدوث في المكان والزمان، بعد ذلك بيّن لنا هذا المعنى بدقةٍ متناهيةٍ، ليتضحَ لنا المعنى وينتفي عنا اللبس.

---

(١) الحارثي، صالح بن علي بن ناصر (توفي: ١٣١٤هـ)، عين المصالح من أجوبة الشيخ الصالح، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ٨٣.

(٢) السيابي، أبو يحيى خلفان بن جُميّل بن مهيّل السمائلي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، بهجة المجالس (قصيدة القطرة الغيثية والوسيلة الإلهية)، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عُمان، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

قال الناظم:

١٥ - وَلَيْسَ كَكَوْنِ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ وَالِجَا وَلَكِنَّـــهُ بِالْعِلْمِ وَالْحِفْـــظِ وَالصَّوْنِ

قوله: (وَلَيْسَ كَكَوْنِ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ وَالِجَا): أي كون الله تعالى ووجوده ليس ككون الأشياء ووجودها وحلولها في بعضها، فوجود الله تعالى في الأشياء كالأرض والسماء وفي أين ما كنا وأين ما سنكون فيه إنما هو بعلمه وقدرته، ووجودُ المخلوقات في بعضها وجودُ حلولٍ وولوجٍ، مثال ذلك: وجود زيدٍ في المنزل، أي ولوجه وحلوله فيه.

وقوله: (وَلَكِنَّـــهُ بِالْعِلْمِ وَالْحِفْظِ وَالصَّوْنِ): وهذا تفسيرٌ تأكيديٌّ على المعنى الذي يريد الناظم إيصاله إلينا، وهو أن وجود الله تعالى إنما هو بعلمه وحفظه وصونه، فهو معنا بعلمه محيط بنا وبكل شيء بحفظه، يشملنا برعايته وعنايته، ويحفنا بمعيته، وكلُّ هذه المعاني قررها المولى ﷻ في كتابه حيث يقول عن علمه: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، ويقول عن علمه وحفظه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فقد فسر بعض العلماء الكرسيَ بالعلم، أي وسع علمه السماوات والأرض، ولا يثقله ولا يفوته حفظهما، ويقول: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، وقال عن معيته وصيانته لعباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ويقول أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ويقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢].

قال الناظم:

١٦ - تَقَــدَّسَ عَنْ حَــدٍّ وَشِــبْهٍ وَصُورَةٍ وَجَلَّ عَنِ التَّكْيِيفِ وَالْحَيْنِ وَالأَيْنِ

قوله: (تَقَدَّسَ عَنْ حَدٍّ وَشِــبْهٍ وَصُورَةٍ): (تَقَدَّسَ): أي تنزّه، وهو البعدُ عما لا يليق به[1]، (عَنْ حَدٍّ): أي تنزه عن أن تكون له حدود ومحدودية ينتهي إليها

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص٤٨ (بتصرف).

في ذاته وصفاته وكمالاته، أو تنزه عن أن يحدَّه المكان؛ لأن المحدودية في المكان من صفات الحوادث المخلوقة، فلا يجوز أن يقال إن الله تعالى في مكان بذاته كما أسلفنا ذكر ذلك بالتفصيل.

تأويل حديث أن الله في السماء:

فنقول: إن القول بأن الله تعالى في السماء باطلٌ لا يصح، لأمور متعددة منها:

١ ـ قول الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦]، أي من أمره في السماء، وذهب بعض العلماء إلى القول إن المقصود هو جبريل عليه السلام الموكل بخسف الأرض، أي أأمنتم جبريل أن يأتيه الأمر من ربه فيخسف بكم الأرض؛ فإن الملائكة في السماء كما دلَّتْ على ذلك الأدلة الشرعية.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، أخبر الله تعالى أنه عند النفخ في الصور سيصعق من في السماء، فهل الله تعالى يصعق؟!.

٣ ـ السماء مخلوقة من خلوقات الله تعالى فلا يجوز ولا يحسن أن يقال: إن الله تعالى استقر عليها بعدما خلقها.

٤ ـ والقول بأن الله (في) السماء، لا يصح لأن (في) حرف جرٍّ يفيد الظرفية، أي أن السماء تتظرفه وتحويه وتحيط به، وهو فيها وداخلها، وهذه الإحاطة تستلزم الجهات الست، فيكون له يمينٌ ويسارٌ وفوقٌ وتحتٌ وأمامٌ وخلفٌ.

٥ ـ الملائكة هم الذين في السماء وهي مشحونة بهم، كما دلَّتْ على ذلك الأحاديث الصحيحة الثابتة عنه ﷺ.

٦ ـ أخرج الترمذي في «سننه» حديث رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء، وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله»[١]، فلا يجوز أن يقال: إن الله في السماء مزاحمٌ الملائكة فيها.

٧ ـ وأخرج الترمذي في «سننه» حديث رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٢]، أي أهل السماء، وقد فسرتها رواية أبي داود في «سننه»: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء»[٣]، أي يرحمكم أهل السماء، وهم الملائكة، فلا يجوز أن يقال لله إنه أهل السماء.

٨ ـ وحديث الجارية: جاء بألفاظ متعددة وفي بعضها قال لها: «أين الله»»، فقالت: «في السماء»، وهذه الرواية فيها خلاف بين العلماء، منهم من صححها مع التأويل كالنووي في «شرح صحيح مسلم»، فالسؤال بأينَ يأتي عن المكان والمكانة، فيستحيل أن يسألها رسول الله ﷺ عن مكان الله تعالى وهو خالق المكان والزمان، فالسؤال إذًا كان عن «المكانة»، فقالت: «في السماء» أي رفيع القدر جدًا، فالعرب تُعبِّر عن رفيع القدر بأنه في السماء.

ومنهم من لم يحتج بهذا الحديث في إثبات صفة العلو الحسي لله تعالى وبأنه في السماء؛ لأنه معارض للحديث المتواتر عنه ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام،

---

(١) رواه الترمذي، باب: في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً»، رقم الحديث: ٢٣١٢.

(٢) رواه الترمذي، باب: ما جاء في رحمة المسلمين، رقم الحديث: ١٩٢٤.

(٣) رواه أبو داود، باب: في الرحمة، رقم الحديث: ٤٩٤١.

وحسابهم على الله»[١]، فبيَّن طريقة دخول الإسلام بالنطق بالشهادتين وبالتالي الحكم على المرء بالإيمان من عدمه.

وهذا الذي أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» في بعض طرق حديث الجارية وهو الذي يتناسب مع الأصول الشرعية، فقال لها رسول الله ﷺ: «أتشهدين أن لا إله إلا الله؟» قالت: نعم. قال: «أتشهدين أن محمدًا رسول الله» قالت: نعم. قال: «أتوقنين بالبعث بعد الموت؟» قالت: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «أعتقها»[٢].

٩ ـ وحديث نزول الرب تبارك وتعالى في الثلث الأخير من الليل كما في الصحيحين: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[٣]، أي ينزل أمر ربنا تبارك وتعالى، أو ينزل ملكٌ بأمر الله تعالى.

قال ابن حجر في «فتح الباري»: «والحاصل أنه تأوله بوجهين إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه...»[٤].

---

(١) رواه البخاري، باب: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، رقم الحديث: ٢٥/ رواه مسلم، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم الحديث: ٢٢.

(٢) رواه مالك، باب: ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة، رقم الحديث: ٩.

(٣) رواه البخاري، باب: الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم الحديث: ١١٤٥/ رواه مسلم، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، رقم الحديث: ٧٥٨.

(٤) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (المتوفي: ٨٥٢)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبدالله بن باز، المكتبة السلفية، بدون ذكر الطبعة، ج ٣ ص ٣٠.

وقوله: (وَشِبْهٍ وَصُورَةٍ): (الشبه): أي الشبيه هو المشارك لغيره ولو في صفةٍ واحدةٍ من صفاته[1]، فالله تعالى لا يُشــبهه أحدٌ في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله، كما أنه تعالى لا يُشــبه أحدًا في ذلك كله، قال تعالى عن ذاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فهو تعالى الواحد المتفرد بكل شيء، فلا يكافؤه أحدٌ كما قال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، (وَصُورَةٍ): أي تنزه الله أن يوصف بأن له صورةً وشكلًا؛ إذ لا يحيط بعلم حقيقة ذاته غيره تعالى، فلا يقال إنه ذو صورةٍ معينةٍ وشكلٍ معيَّن، ولا أنه يأتي يوم القيامة بصورتين كما زعم غيرنا.

وقوله: (وَجَلَّ عَنِ التَّكْيِيفِ وَالْحَيْنِ وَالأَيْـنِ): (وَجَلَّ): أي وعظُمَ وتعالى وارتفع حتى صار عظيم القــدر والمكانة، (عَنِ التَّكْيِيــفِ): تنزه وارتفع عن التكيف والكيفية، أي عن التصوُّر بصورةٍ وهيئةٍ مخصوصتين، يكيِّفهما عقل الإنسان، فيكون مدرَكًا له بالعقل والتخيل، (وَالْحَيْنِ): وتنزَّه أيضًا عن الحَيْن وهو الزمان، أي الحــدوث في الزمان؛ (وَالأَيْنِ): وتنــزَّه ربنا تعالى أيضًا عن المكان، أي الحلول في المكان، والتعبير بـ(الأين): لأن أين يســأل بها عن المكان، نحو: أين فلان؟ أي أين مكانه الآن.

ففي البيت تنزيه مطلقٌ للخالق العظيم تبارك وتعالى من المحدودية في الذات والصفات والأفعال؛ لأنها توجب القصور والنقصان والبداية والنهاية، وكلُّ ذلك من صفــات الحوادث، وفيه تنزيه عن الشــبيه والصورة والهيئة والكيفية والحدوث في الزمان والحلول في المــكان، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

---

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص١٢٢.

قال الناظم:

١٧ـ دَنَا وَنَأَى معنًى، يَرَانَا وَلَا يُرَى فَمَا ذَاتُهُ تُحْوَى بِعَيْنٍ وَلَا أُذْنِ

قوله: (دَنَا وَنَأَى مَعْنًى): (دَنَا) من الدنو وهو القرب، أي قَرُبَ، أي هو قريب من خلقه بغير التصاق بشيء منهم، (وَنَأَى): أي بَعُدَ، أي بعد من خلقه بغير انفصال عن شيء منهم، (مَعْنًى): أي دنا ونأى من خلقه معنًى لا اتصالًا ومماسة، ومعناه أنه دنا من خلقه بعلمه وحفظه لهم وتدبير جميع أمورهم، ونأى عن أن ينالوه بنقص أو صفة نقص، أو نأى عن كلّ ما لا يليق به، أو أنه دنا من أوليائه بتوفيقهم للطاعة، ونأى عن أعدائه بعدم توفيقهم لها[1]، ولما كان سبحانه قريبًا من عباده كما أخبرنا بذلك بقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، كان هذا القرب يقتضي عدم المماسة، وخشية تسلل هذا الفهم في قربه أن إدراك ذاته ممكن أو حاصل، نفى الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ذاته الرؤية في نفس البيت مباشرة.

فقوله: (يَرَانَا وَلَا يُرَى): أي أن الله تعالى يرانا ولا يخفى عنه شيءٌ من المبصَرات؛ لأن ذاته تعالى تنفعل لها المبصَرات تكشفًا، فلا تخفى عليه، فهو بكلّ شيء بصير، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، (وَلَا يُرَى): فالله تعالى لا يُرى؛ لأن ذاته تعالى ليست كذوات المخلوقات، فهو يَرى ولا يُرى ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأعراف: ١٠٣].

وقوله: (فَمَا ذَاتُهُ تُحْوَى بِعَيْنٍ وَلَا أُذْنِ): (ذاته): أي ذات الله تعالى لا تدرك بعينٍ باصرةٍ ولا أذنٍ سامعةٍ، فكما أنه نفى إدراك الأبصار، فمن الاقتران أن لا تدركه جميع الحواس الأخرى.

---

(١) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

أدلة نفي رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة[١]:

فعدم رؤية البـــاري ﷻ في الدنيا والآخرة هو الحـــق الذي عليه الإباضية قاطبة، وهو الذي دلتْ عليه الآيات القرآنية القطعية الصريحة، ولا يجوز القول برؤية الله تعالى؛ لأن في ذلك من تشـــبيه الله بخلقــه ما لا يخفى، والله تعالى يقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشـورى: ١١]، وقد حررتُ في شرح الأدلة التي استدل بها القائلون بعدم رؤية الله تعالى بعض النقاط، فقلتُ في «بغية الراقي»[٢]:

وبما أنه تقرر عقلًا ونقلًا أن الله تعالى لا يشبه مخلوقاته في ذاته وصفاته، فإن إثبات إدراك الأبصار له كما تدرك المخلوقات، تشـبيه لذاته بذواتها من حيث إمكانية الرؤية، فهو تشـبيهٌ صريحٌ، والله تعالى نفى عن نفسه كل ذلك بقوله تعالى بنصٍّ صريـــحٍ لا يقبل الجدل والتـــردد: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشـورى: ١١]. وإدراك الأبصار للأشـــياء يتطلب أمورًا كثيرة لا بدَّ منها لتتحقق الرؤية فمن ذلك:

١ ـ أن يكون المرئي ذا جرمٍ كثيف.

٢ ـ أن يكون على بُعدٍ مناســـب من الباصرة، فليـــس بالقريب جدًا ولا بالبعيد جدًا.

٣ ـ أن يكون بألوان تستطيع الباصرة إدراكها.

٤ ـ أن يكون مضيئًا بنفسه أو مُضاءً من غيره.

---

(١) اقتصرتُ في بحثي هذا على ذكر أدلة القائلين بعدم الرؤية؛ لأن هذا البحث لشرح قولهم هذا، وليس بحثًا لبحث هذه القضية وأدلة الفِرق فيها، ومن شـاء الوقوف على أدلة هذه القضية فعليه بمراجعة كتاب «الحق الدامغ» و«برهان الحق» ج ٤ وكلاهما لشيخنا العلامة الخليلي.

(٢) البوصافي، بغية الراقي في شرح خلاصة المراقي، ص ٦٤ ـ ٧١ (بتصرف وزيادة تفصيل).

٥ ـ أن يتحيَّز في مكان وجهة من الجهات.

٦ ـ أن تكون هذه الجهة أمام الباصرة لا خلفها.

إلى غير ذلك من الشروط الواجب توفرها لتتحقق رؤية الشيء، وكل هذه الشروط يُنزَّه الله تعالى عنها، إذ لا تليق به ﷻ، فمن وصفه بصفات خلقه بهم قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدَّه، ومن حدَّه فقد عدَّه، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

ومن الأدلة التي استدل بها القائلون بعدم رؤية الباري ﷻ، قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وبقوله تعالى لنبيه موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وبحديث رسول الله ﷺ: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[(١)]، وبحديث أبي ذر: «سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه»[(٢)]، ونستطيع إجمال الفوائد العلمية من خلال هذه النصوص في هذه النقاط الآتية:

١ ـ دخول (لا النافية) على الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾، يفيد الاستمرار والدوام، فلا تدركه الأبصار على الدوام في الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) رواه البخاري، باب: تفسير ومن دونهما جنتان برقم (٤٨٧٨)، رواه مسلم، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم برقم (١٨٠).

(٢) رواه مسلم، باب: في قوله ﷺ نور أنى أراه برقم (١٧٨).

٢ ـ جاء النفي في هذه الآية بـ(لا النافية) ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾، ولم يأتِ بحرف (لن) كما في آية: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، علمًا بأن حرف (لن) أقوى في النفي والتأبيد من حرف (لا)، فلماذا لم يأتِ التعبير في الآية الأولى؟!

والجواب: لأن آية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، سيقت مساق الإخبار والتمدُّح وليست للتبكيت والزجر، أما آية: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، فقد جاءت في مساق الردِّ والتبكيت والزجر لقوم موسى عليه السلام الذين طلبوا منه أن يروا الله تعالى جهرة بقولهم له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، فأخبرنا الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٣ ـ كلمة (الإدراك): في اللغة تعني اللحاق، فأدركتَه بيدك إذا لمسته، وأدركتَ حياته إن لحقته حيًا ولو يومًا واحدًا، وأدركته ببصرك إذا رأيته وشاهدته، وقد ذكر الله تعالى قول قوم موسى عليه السلام له: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، أي إنّا لملحوقون، وقول الله تعالى في أهل النار: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ٣٨]، أي تلاحقوا.

٤ ـ (الأبصار): جمع بصر، وهو جمع معرَّف بـ(أل)، وأل يُراد بها الاستغراق ونفي لعموم السلب، أو يُراد بها بيان الجنس، فلا يدركه كل ما كان من جنس الأبصار، أي بصر كان، كما يقول الإمام السالمي في «شمس الأصول»:

وإن أتى ذو اللام وهو محتمل   للجنس والعهد، فللجنس حمل[1]

---

(١) السالمي، أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي (ت: ١٣٣٢هـ)، منظومة شمس الأصول، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع ـ السيب، سلطنة عُمان، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، (باب العام) ص ١٣.

٥ ـ في الآية الكريمة ثلاثة مقاطع: المقطع الأول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، والمقطع الثاني: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، والمقطع الثالث: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، فلو أتينا للنظر في أصل هذه الآية لوجدنا أنها سيقتْ لبيان المقطع الأول والإخبار عنه، وليست لبيان المقطع الثاني؛ لأنه لا خلاف فيه؛ لأن الله تعالى على كل شيء قدير، فهو يدرك الأبصار ويدرك كل شيء، ولهذا أخبرنا متمدحًا بأن الأبصار لا تدركه.

٦ ـ وبما أننا أثبتنا أن الآية جاءت لتأكيد المقطع الأول وهو: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، فما الفائدة والحكمة من ذكر نظيره المقطع الثاني: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ مع أنه لا خلاف فيه ولا ريب؟!

والجواب: ذلك ما يسمى في علم البيان بالمقابلة، أتى بالمقطع الثاني ليقابل به المقطع الأول لبيان تأكيده، فكما أنه يدرك الأبصار بنسبة ١٠٠٪، فالأبصار لا تدركه بنسبة ١٠٠٪، وأسلوب المقابلة في القرآن الكريم بين الفريقين المختلفين كثيرٌ جدًّا، ويُراد به تأكيد كل واحدٍ من الفريقين بالآخر.

٧ ـ وما يدل على أن الآية سيقتْ لبيان المقطع الأول منها ما جاء في المقطع الثالث من التذييل بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، واللطيف من اللطافة والخفاء، والخبير العالم بحقيقة خلقه وقدراتهم، فلو كانت الآية سيقت لبيان المقطع الثاني مثلًا وهو قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، لختمها بما يناسب ذلك مما يدل على القدرة والبصر كما هو معلوم من أسلوب القرآن الكريم، مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠]، أو بمثل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

٨ ـ إن هذه الآية الشريفة: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، جاءت خبرية، فهي من الأخبار التي أخبرنا الله

تعالى بها عن نفســه، فلا يصح قطعًا تغيُّر الأخبار عن حقيقتها فتكون خلافَ ما أخبرنا الله تعالى به، فمخالفة الخبرِ الحقيقةَ يسمى كذبًا عياذًا بالله، وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

٩ ـ إن هذه الآية الشــريفة: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعـام: ١٠٣]، جاءت في ســياق التمدُّح فلا يجوز تبدُّل ما الله تعالى متمدحٌ بــه، وإلا لزم زوال ما أوجب المدح إلــى ما يُوجب ضده وهو الذم، تعالى الله عن ذلك.

١٠ ـ وأما في الآية الكريمة: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعـراف: ١٤٣]، فدخــول (لن) النافيــة على الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، يفيد الاســتمرار والدوام والتأبيد، فلن تراني أبدًا على الدوام في الدنيا وفــي الآخرة؛ لأن (لن) تأبد فعلها، ولا دليلَ في السياق القرآني الســابق يدل على أن هذا النفي ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ في الدنيا فقط دون الآخرة، أو يُراد به النفي في الدنيا فقط.

١١ ـ عدم الرؤية متعلقة بخصائص ذات الله تعالى وصفاته، فهو أخبرنا عن ذاته بأنها لا تدركها الأبصار فقال: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعـام: ١٠٣]، أي أن عدم الرؤية وامتناعها متعلق بذاته تعالى، وعليه فلا يجوز أن يقال بأنه لا يرى في الدنيا لقوله ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، ولكنه يُرى في الآخرة، كلا فإن الله تعالى لا تتغير صفاته وذاته من مكان إلى مكان، ولا من زمان إلى زمان، فهو لا تجري عليه الأزمنة ولا تغيــره الأمكنة، فلا يقال بأنه لا يُرى في الدنيا ولكن يُرى في الآخرة، تعالى الله عن ذلك التغير علوًا كبيرًا.

١٢ ـ في هذه الآية الكريمة علّق المولى تبارك وتعالى رؤيته باستقرار الجبل عندما يأتيه أمر الله تعالى، فقال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾، ولكن الجبل لم يستقر وأنى له الاستقرار بل اندكّ دكًا دكًا كما أخبرنا الله تعالى بذلك: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾، وما عُلّق بمستحيل فهو مستحيل مثله، وكأن الرسالة الربانية إلى موسى عليه السلام التي أراد الله تعالى أن يوصلها إليه أنك لن تراني، بعدم بقاء الجبل على حاله، فانتفت الرؤية لعدم بقاء المعلّق عليه، ولا دليل أن هذا النفي يراد به في الدنيا فقط دون الآخرة، ومن زعم التخصيص من هذا العموم فعليه الدليل إن وجده!!.

يقول الإمام المحقق سعيد بن خلفان الخليلي في ذلك:

مثال (تجلى) ربُنا مثل قوله ... تعالى: وجاء الرب مع ملك السما

ومثل: أتاهم حيث لا يحسبونه ... لحرب نضير من يهودٍ لهم عمى

بمعنى: أتاهم بأسه وكذلكم ... تجلّى عليه أمره فتهدّما

وليس تجليه يفيد انكشافه ... بذات له جلّ الإله وكرّما[1]

١٣ ـ أما الحديث: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[2]، يدل على أن المانع من رؤية القوم ربهم تبارك وتعالى هو رداء الكبرياء على وجهه تعالى (أي صفة الكبرياء)، وهذه الصفة صفة ذاتية

---

(١) الخليلي، سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي (ت: ١٢٨٧هـ)، أجوبة المحقق الخليلي، تقديم سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، تحقيق المجموعة، مكتبة الجيل الواعد، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج١ ص١٦٥.

(٢) رواه البخاري، باب: تفسير ومن دونهما جنتان برقم (٤٨٧٨)، رواه مسلم، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم برقم (١٨٠).

لا يصح أن يتخلى عنها المولى ﷻ، فإن الله تعالى لا يتخلى عن صفاته الذاتية، وإثبات رؤيتهم له إثبات تخليه عن المانع لهم من رؤيته سابقًا، وهذا محال، فهل يقال بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ الجبار المتكبر مالك الملك والملكوت، والقهر والجبروت يتخلى عن كبريائه العظيم، فيكون حينئذٍ بلا كبرياء؟ فإن إثبات الرؤية والقول بجوازها وحدوثها إثباتٌ لزوال ذلك الكبرياء المانع لها سابقًا، فلو جازتْ الرؤية يكون الله تعالى حينها بلا كبرياء، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

١٤ ـ وما استدلوا به من أحاديث لإثبات الرؤية يقضي أنهم يرونه في الجنة، وهذا يقتضي أن الله تعالى في الجنة؛ لأن (في) ظرفية وهذا باطل؛ لأن الله تعالى لا يحيط به المكان.

١٥ ـ أما الآية الكريمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، فلا دليل فيها على رؤية الله تعالى؛ لأن النظر لا يستلزم الرؤية، فالنظر إلى الشيء لا يستلزم رؤيته، فأقول: نظرتُ الهلالَ فلم أره.

١٦ ـ النظر يأتي على معانٍ متعددة في اللغة والمعنى الصحيح المقصود منه يحدده سياقُ الكلام الوارد فيه، فيأتي النظر بمعنى الرؤية وبمعنى الانتظار ولو تعدى بـ(إلى)، ولا معنى لقصر ما إذا تعدى النظر بـ(إلى) فلا يكون إلا بمعنى الرؤية، فإن ذلك يردُّه القرآن نفسه كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]، فهل يقال بأن الذين يشترون بعهد الله ثمنًا قليلًا لا يراهم الله يوم القيامة.

١٧ ـ فإن قيل ـ فرارًا من إلزام الآية السابقة الدالة على تعدي النظر بـ(إلى) ـ: إن القول بأن النظر المتعدى بـ(إلى) لا يكون إلا بمعنى الرؤية متى ما لم تأتِ قرينة تصرف هذه القاعدة.

فنقول: إن الآية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، التي استدللتم بها على الرؤية مليئة بالقرائن التي تمنع القول بأن النظر هنا بمعنى الرؤية، من هذه القرائن ما يأتي في النقاط الآتية.

١٨ ـ في هذه الآية الكريمة إسناد النظر إلى الوجوه، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، وهذا من البلاغة القرآنية إذ إن الوجوه ليست هي الجارحة المسؤولة عن النظر، وإنما هي الجارحة التي تظهر عليها علامات السعادة والشقاوة، وخير دليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ويقول ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦ ـ ٢٧]، وكما في قول تعالى أيضًا: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]، وكما في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ويقول ﷻ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، فجارحة الوجه هي التي تظهر عليها علامات السرور والنعيم، وكذا علامات الشقاء والنقمة.

١٩ ـ إن هذه الآية الكريمة جاءت في سياق وصف يوم القيامة وبالتحديد يوم المحشر، وذلك بدليل سياقها: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٥]، فلو كانت ناظرة بمعنى الرؤية فلا تكون إلا في ذلك اليوم؛ لأنه عَبَّرَ عن ذلك بقوله (يومئذٍ) وهم لم يتفقوا على تحقق الرؤية في المحشر، أضف إلى أن هذه الآية جاءت بأسلوب المقابلة

بين نوعين من الوجــوه، فهذه نضِرةٌ فرحةٌ منتظرةٌ رحمــة ربها، وتلك وجوه باسرةٌ عابسةٌ تظن أنه ســيأتيها ما يقصم فقار الظهر من العذاب، فهي مشفقة منتظرة وقوعه عليها، أضف إلــى أن التعبير بالوجوه في هــذه الآية يراد به الجارحة المعروفة التــي تظهر عليها تقاســيم وتعابير النفوس والمشــاعر، فالمســرور الفرح يُعرف ذلك من وجهه، والخائف الوجــل يُعرف ذلك من وجهه، وجارحة الوجه ليست هي المسؤولة عن الرؤية، وخير ما يفسر القرآن القرآن، فقد جاءت آيات سورة عبس مفسِّرة لهذه الآية ومحمولة عليها، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۞ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۞وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۞ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤١].

٢٠ ـ إن تقديم الجــار والمجرور في قولــه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، يفيد الحصر والقصر، فلو فســرتْ ناظرة بمعنى الرؤية للزم منه ألَّا ترى في ذلك اليوم إلا ربها فقط، وهذا لا قائلَ به أبدًا، فدلَّ تقدم الجار والمجرور على منع تفســير النظر في الآية بالرؤية.

٢١ ـ أضف إلى أن ما يمكن أن تدركه حاسة واحدة من حواس الإنسان فهو ممكن إدراكه بالحواس الأخرى، ولا ســيَّما الحواس التــي هي مقدمة على بعضها، فما تدركه حاســة منها قطعًا يكون من مدركات الحاسة الأخرى من باب أولى، فهل يقال ذلك في حق الله تعالى.

• تنبيه مهمٌ:

قبل أن نغلق الحديث عن الرؤية أريد القول بأن الإباضية قاطبة لا يخالف فيهم أحدٌ مجمعون قولًا واحدًا مشارقتهم ومغاربتهم على أن الله تعالى لا يُرى في الدنيا والآخرة، وعلى هذا الأصل يفســر كلامهم، ومن هنا أردتُ أن أذكر ما نصَّ عليــه الإمــام القطــب ﷺ في «كشــف الكــرب»، حيــث يقول:

«... الحمد لله الذي رآه رســوله ﷺ ليلة الإسراء بعيني رأســه، أي أثبته مزيد إثبات، وحقَّق عظمته مزيد تحقيق، بنظره بعيني رأسه في خلقه.»(١).

ومعنى أنه رآه بعيني رأســه، كناية عن اطلاعه على ما لم يطلع عليه أحد من الخلق من آيات ربه الكبرى، بما يجعله متثبتًا ومتحققًا من عظمة ربه تعالى وكأنه رأى ربه رأي العين من خــلال رؤية آياته، فرؤيته لآيات ربه الكبرى جعلته ينتقل من اليقين التام إلى عين اليقين التام، فكأنه رآه بعيني رأسه.

قال الناظم:

١٨ - وَكُلُّ الذِي أَضحَى عَلَى البَالِ سَانِحًا فَذَلِكَ غَيْرُ اللهِ، فَانْــفِ عَنِ الذِّهْنِ

قوله: (وَكُلُّ الذِي أَضحَى عَلَى البَالِ سَــانِحًا): أي كلُّ الخواطر والأوهام والتصورات التي تخطر ببالك أيها المكلَّف وفيها تشــبيه الله تعالى بخلقه، أو وصفه بالأعضاء، أو تخيَّل جســم بجوارح، وكلّ ذلك قــد يخطر على قلب المكّلف وخاطره إن قرأ بعــض الآيات الموهمة للتشــبيه، فاعلم يقينًا أن الله تعالى بخلاف ما توهم وتخيل.

وقوله: (فَذَلِكَ غَيْرُ اللهِ، فَانفِ عَنِ الذِّهْنِ): أي كلُّ تلك الأوهام والتصورات والتخيلات التي تخطر ببالك أيهــا المكلَّف كن على يقينٍ مــن أنها غير الله تعالى؛ لأن العقل البشري لا يستطيع أن يتخيل خارج محيط إدراكاته، والعقل البشري لا يســتطيع أن يدرك ذات الله تعالى، فمن الطبيعي قطعًا أن ما تخيَّله العقل وصوَّره ليس هو الله ﷻ.

---

(١) آل خليفين، أبو الوليد سعود بن حميد آل خليفين (توفي: ١٣٧٣هـ)، كشف الكرب في ترتيب أجوبة الإمام القطب، وزارة التراث والثقافة ـ سلطنة عُمان، الطبعة الثانية: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ج١ ص٣٢.

وفي ذلك يقول الشيخ الحاج صالح بن عمر بن داود لَعلي اليزجني في منظومته «خلاصة المراقي»:

وكلّ ما صورته ببالكَ ... فالله جلَّ بخلاف ذلكَ
فعلم كنه ذاته محال ... ممن سواه، ولذاك قالوا
العجز عن إدراكه إدراك ... والخوض في إدراكه إشراك[1]

وقلتُ في شرحي على المنظومة المذكورة وهو «بغية الراقي في شرح خلاصة المراقي»: «... لأن العقول لا يمكن أن تتصورَ ما لا تستطيع إدراكه طرفة عين، فأنى لعقولنا القاصرة إدراك حقيقة ذات الله تعالى، فلذلك نقطع أن ما تصورته عقولنا القاصرة هو غير ما الله تعالى عليه»[2].

قال الناظم:

١٩- عَلَى العَرْشِ وَالْخَلْقِ اسْتَوَى فَاسْتِوَاؤُهُ ... بِنَقْضٍ وَإِبْـرَامٍ، وَإِتْقَـانِ مُتْقِنِ

قوله: (عَلَى العَرْشِ وَالْخَلْقِ اسْتَوَى): أي أن الله تعالى استوى على العرش لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، و(العَرْشِ): هو الجسم العظيم النوراني العلوي المحيط بجميع الأجسام[3]، وهو أعظم مخلوقات الله تعالى لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى، وقوله (وَالْخَلْقِ): فيه إبداعٌ عقليٌ يدل على الفطنة ورجاحة العقل، فاستواؤه تعالى على العرش الذي هو أكبر مخلوقاته هو استواءٌ على جميع خلقه من باب أولى، وعطف العامِّ (وَالْخَلْقِ) على الخاص

(١) اليزجني، الحاج صالح بن عمر بن داود لعلي (توفي: ١٣٤٧هـ)، منظومة خلاصة المراقي إلى مبادئ طاعة الخلّاقِ، اعتنى بإعادة طبعها وتسجيلها صوتيًا: جابر بن باسعيد بن موسى الحاج أسعيد، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص ٥.

(٢) البوصافي، بغية الراقي في شرح خلاصة المراقي، ص ٧٤.

(٣) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

(العَرْشِ) أراد به عطف النتيجة العقلية الملزمة، على المنصوص عليه قرآنًا، فعطف المعقول على المنقول، وهذه حكمة وحنكة تدل على حصافة الرأي وقوة الإدراك ودقة الملاحظة من الناظم رَحِمَهُ اللهُ، فإن الله تعالى أخبرنا بأنه استوى على العرش، فيكفينا ذلك أن يكون استواؤه على ما دون العرش من باب الأولى المتحتم، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مستوٍ على العرش العظيم وعلى جميع مخلوقاته، ولكن ما حقيقة هذا الاستواء؟!

وقوله: (فَاسْتِوَاؤُهُ بِنَقْضٍ وَإِبْرَامٍ، وَإِتْقَانٍ مُتْقِنٍ): وبعدما أخبرنا بأنه مستوٍ على عرشه وخلقه من باب أولى، فالآن يفسر لنا ما حقيقة هذا الاستواء، فقال: (فَاسْتِوَاؤُهُ بِنَقْضٍ وَإِبْرَامٍ، وَإِتْقَانٍ مُتْقِنٍ): (النقض): هو الحلُّ، ويُراد به هنا الإعدام، و(الإبرام): وهو الإنشاء والإيجاد، و(الإتقان): هو الإحكام والضبط والإبداع، ويراد به هنا الإبداع في الخلق، والإتقان في الصنع، لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧].

والمعنى العام هو أن استواء الله تعالى على العرش وعلى باقي مخلوقاته بالقهر والغلبة والاستيلاء والسلطان والتدبير والإيجاد والإعدام والإحكام والإبداع، ولهذا ذهبتْ الإباضية إلى أن الاستواء بمعنى الاستيلاء، وسيبيِّن الناظم في البيت الآتي إن شاء الله تعالى أن استواء الله تعالى ليس كما هو معقول من استواء السلطان من البشر على كرسيه وسريره.

قال الناظم:

٢٠ - وَلَيْسَ كَمَعْقُولِ اسْتِوَاءِ أَمِيرِهِمْ عَلَى سُرُرٍ مَعْهُودَةٍ لِلتَمَكُّنِ

قوله: (وَلَيْسَ كَمَعْقُولِ اسْتِوَاءِ أَمِيرِهِمْ): أي أن استواء الله تعالى على العرش المذكور في الآيات القرآنية، ليس كالاستواء المعقول والمتصور من استواء السلطان والملك من البشر على كرسيه وسريره، فاستواء الله تعالى ليس

استقرارًا على العرش ولا تمكنًا حسيًا بالجلوس عليه، بل هو بمعنى القهر والغلبة والاستيلاء والتصرف فيه.

وقوله: (عَلَى سُرُرٍ مَعْهُودَةٍ لِلتَمَكُّنِ): بيان أن استواء الأمير من البشر والسلطان والملك إنما هو جلوس حقيقي على الكرسي والسرير، فاستواؤه استقرارٌ وتمكن في الجلوس الحقيقي، كما يقول الإمام السالمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو على العرش والأشيا استوى وإذا ... عدلت فهو استواء غير ما عقلا
وإنما الاستوا ملكٌ ومقدرةٌ ... له على كلها استولى وقد عدلا
كما يقال استوى سلطانهم فعلا ... على البلاد فحاز السهل والجبلا[1]

فالله تعالى خلق العرش العظيم واستوى عليه إظهارًا لقدرته وقوته لا أن يكون مكانًا له تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وفي ذلك يقول الإمام علي بن أبي طالب: «إن الله تعالى خلق الْعَرْش إظهارًا لقدرته لَا مكانًا لذاته»[2].

نقد نظرية الاستواء بمعنى الجلوس في حق الله تعالى:

ومن هنا يمتنع القول بأن الله تعالى استوى على العرش أي جلس على العرش كما يجلس الملِك على كرسيه، لعدة أمورٍ منها:

١ ـ العرش شيءٌ مخلوقٌ من مخلوقات الله تعالى، والله ربه وخالقه وصانعه، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢]، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

(١) السالمي، أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي (ت: ١٣٣٢هـ)، منظومة غاية المراد في نظم الاعتقاد، إعداد: اللجنة العلمية بموقع بصيرة، التدقيق النحوي: عامر بن المر الصبحي، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٥.

(٢) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، حقق أصوله: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، بدون ذكر الطبعة، ص٢٤٨.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦]، فلا يجوز أن يقال إن الله خلق العرش لحاجته إليه، فكيف يحتاج الرب العظيم إلى خلقٍ من مخلوقاته؟!.

٢ ـ العرش حادثٌ محدثٌ من العدم بعدما لم يكن شيئًا، فالقول بأن الله جالس على عرشه يفضي إلى تغير الذات العلية، فيكون الله تعالى منتقلًا من حال إلى حال، كما أن هذا القول يفضي إلى تأثر الله تعالى بالزمان فيجري عليه الزمان، بحيث يكون له ماضٍ كان فيه على هيئة وفي مكان، وحاضر صار فيه على هيئة وفي مكان، والله تعالى منزهٌ عن ذلك كله، فلا يجري عليه الزمان ولا يحيط به المكان.

٣ ـ العرش مكان، ويلزم من القول إن الله تعالى مستوٍ عليه بمعنى جالس على العرش، يلزم منه أن الله حالٌّ في مكان ومحدود فيه، وهذا يفضي إلى القول باحتواء العرش له ﷻ عن ذلك علوًا كبيرًا.

٤ ـ العرش محمول كما أخبر الله تعالى بذلك بقوله: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧]، فالقول إن الله جالس على عرشه يلزم منه القول إن الله محمول يحمله الثمانية.

٥ ـ القول بأن الله جالس على العرش يفضي إلى القول بمماسة العرش لذات الله تعالى، فيكون أحد خلقه يمسه مباشرة، وهذا تشبيه وتجسيم صريح، تعالى الله عما يصفون.

٦ ـ القول إن الله جالس (على) العرش جلوسًا حقيقيًا بذاته، يلزم إثبات صفة التحتية (العرش تحت الله)، والله تعالى لا يجوز أن يوصف أن له جهة من الجهات.

٧ ـ القول إن الله تعالى مستوٍ على العرش بمعنى أنه جالس عليه استواء يليق بجلاله، وهذا القول ليس من التنزيه في شيء، بل هو تشبيهُ الله تعالى بخلقه المحتاجين للجلوس والراحة.

يقول سماحة الشيخ الخليلي - حفظه الله تعالى - في «**شرح غاية المراد**»:

«... قد أخبرنا الله في كتابه في العديد من الآيات أنه استوى على العرش، ويجب أن ندرك أن هذا الاستواء لا يعني القعود والاستقرار؛ لأنه تعالى منزه عن الافتقار إلى الغير، ولو كان بمعنى القعود والاستقرار لكان هو بحاجة إلى العرش؛ ولأنه سبحانه سابق على كل شيء في الوجود، لا أول لأوليته، وكل ما سواه حادث عن العدم، وهو الذي أخرجه من العدم إلى الوجود.

فوضح لكل ذي عينين أنه يستحيل عليه أن يكون استواؤه على العرش بالمعنى المادي؛ وهو القعود والاستقرار كما أخذت به المشبهة، وتعيَّن أن هذا من باب الكنايات، وذلك معهود في الخطاب العربي وغيره...

وعليه فإن استواءَه على العرش إنما هو بمعنى هيمنته على خلقه وتدبيره لأمورهم وتصريفه لكل شيء في الكائنات، على أن العرب تطلق الاستواء بمعنى الاستيلاء، كما يقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودمٍ مُهراقِ

وهذا المعنى أولى أن تحمل عليه الآيات، لما ثبت من دليل العقل والنقل من استحالة المعنى المادي الظاهر؛ فإن العرش الجسماني مكان كغيره من الأمكنة، كان بعد أن لم يكن، ولم يكن إلا بخلق الله، فهو المفتقر إلى الله سبحانه، والله غني عنه وعن غيره.

ولو كان تعالى حالًا بالعرش - كما تقول المشبهة - لترتب على ذلك: إما أن يكون العرش سابقًا عليه؛ وهو يقتضي حدوثه تعالى. وإما أن يكون قديمًا معه، وهو يقتضي تعدد القدماء، وتعدد القدماء يقتضي تعدد الآلهة. وإما أن يكون حادثًا كغيره من المخلوقات؛ وذلك يؤدي إلى التساؤل عن مكانه تعالى قبل حدوث عرشه.

والتنزيه اللائق بجلال الله يقضي باستحالة ذلك كله؛ فإن الله تعالى كان ولا زمان ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، لم يحدث خلق الزمان والمكان تغييرًا في ذاته ولا في صفاته، فإن التحول من حال إلى حال من سمات مخلوقاته، وهو الغني عن كل شيء، القادر على كل شيء؛ فالعرش وما دونه محمولان بلطف قدرته تعالى»[1].

قال الناظم:

٢١ ـ لَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ مِثَالٌ وَلَا شَيْءٌ يُشَابِهُ فِي الْكَوْنِ

قوله: (لَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى): أي أن الله تعالى له الصفة المطلقة العُليا من الصفات والأمثال، فلهذا قال الله تعالى مخبرًا عن ذاته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، فصفات الله تعالى صفات عُليا أي مطلقة، فعلمه تعالى علمٌ مطلقٌ لا يخفى عليه شيء قط، وسمعه سمعٌ مطلقٌ لا يخفى عليه شيء من المسموعات، وهكذا باقي صفاته العلية ﷻ، فالمخلوق وإن اتصف بصفة العلم مثلًا أو السمع أو البصر وغيرها فهي صفات محدودة غير مطلقة، قاصرة ناقصة لا تدرك إلا ما في محيط إدراكها، فما يخفى عليها وما لا تدركه أكثر مما تدركه.

وقوله: (وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ مِثَالٌ): أي أن الله تعالى لا يماثله أحدٌ من المخلوقات، فلم يكن ولن يكون له مثل يماثله ولا نظير يناظره ولا مساوٍ يساويه، فهو المتفرد سبحانه في ذاته وصفاته وأفعاله.

وقوله: (وَلَا شَيْءٌ يُشَابِهُ فِي الْكَوْنِ): أي ولا شيء من الأشياء يشابهه تعالى، (والشيء): كل ما يصدق عليه كلمة موجود، أي كل موجود، وكلمة

---

(١) الخليلي، أحمد بن حمد بن سليمان، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (مكتب الإفتاء)، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٥٦ ـ ٥٧ (بتصرف).

(شـــيء) هي من أعمِّ العمومات عنــد الأصوليين واللغويين، (الشــبيه): هو المشارك لغيره ولو في صفةٍ واحدةٍ من صفاته[1]، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وفي مثل ذلك يقول شيخنا الخليلي في «شــرح غاية المراد»: «وخلاصة ذلك: أن الله ﷻ لا يُشبه شيئًا ولا يُشبهه شــيءٌ، فهو مباينٌ لمخلوقاته في كل أوصافه، فلا يوصف بشيء من صفات خلقه قط؛ لأنه خالق الخلق، ويستحيل عقلًا وشرعًا أن تشبه الصنعة صانعها..»[2].

قال الناظم:

٢٢ - فَهَذَا اعْتِقَادِي فِـي إِلَهِي وَخَالِقِي مَمَاتِــي وَمَحْيَــايَ بِإِيمَــانِ مُوقِنِ

قوله: (فَهَذَا اعْتِقَادِي فِـي إِلَهِي وَخَالِقِي): (الاعتقــاد): هو العلم الجازم اليقيني، أي أن كل ما ذكرته سابقًا من تنزيه الله تعالى ونفي الأشباه والأنداد عنه في ذاته وصفاته وأفعالــه، كلُّ ذلك هو اعتقــادي ومعلومي وديانتي لله تعالى، إلهي وخالقي وموجدي في هذه الحيــاة الدنيا، ومخرجي من العدم إلى الوجود، وواهبــي الحياة وهو قادرٌ على أن يســلبنيها في أي لحظة من لحظات عمري.

وقوله: (مَمَاتِي وَمَحْيَايَ بِإِيمَانِ مُوقِــنِ): أي بهذا الاعتقاد الجازم اليقيني الذي لا يشوبه شوبُ شــكٍّ، أدين لله تعالى به ما دمت حيًا في الحياة وعليه أموت، فإيماني به ودينونتي إيمــانٌ بيقين لا ترددَ فيه ولا شــكّ، وهذا غاية الإذعان والانقياد وأسمى مراتب التنزيه والإجلال والتقديس لله رب العالمين، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

---

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص١٢٢.

(٢) الخليلي، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، ص٣٥.

وهذا الاعتقاد سيدي الذي تدين به لله تعالى حياتك ومماتك هو محل ولايتنا وخالص مودتنا لك ـ فرضيَ الله عنك وأرضاك ـ، وهذا اعتقاد جميع الإباضية لا يخالف فيهم مخالف، وهو اعتقاد رسول الله ﷺ في ربه تبارك وتعالى، واعتقاد الصحابة ﷺ، واعتقاد كل مسلمٍ موفٍ بدين الله تعالى.

يقول الإمام علي بن أبي طالب في بعض خطبه: «... فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدَّه، ومن حدَّه فقد عدَّه..»[(١)].

❁❁❁

(١) محمد عبده، نهج البلاغة، دار الكتاب العربي ـ سورية، بدون ذكر الطبعة وتاريخها، ج١ ص ١٥.

الفصل الثالث
في ذكر الألفاظ الممتنع السؤال بها عن الله ﷻ

قال الناظم:

٢٣ - فَتِسْعُ سُؤَالَاتٍ عَنِ اللهِ فَانْفِهَا سَأَجْمَعُهَا فِي البَيْتِ نَظْمًا عَلَى ضِمْنِ

٢٤ - فَهَلْ، مَا، مَنْ، أَيُّ، كَيْفَ، أَيْنَ، مَتَى، لِمْ وَتَاسِعُهَا كَمْ فَاحْتَرِزْ وَتَفَطَّنِ

قوله: (فَتِسْعُ سُؤَالَاتٍ عَنِ اللهِ فَانْفِهَا): يبيِّن الناظم الألفاظ التي يمتنع بها السؤال عن الله تبارك وتعالى وهي تسع سؤالات، التي لا يسأل بها إلا عن الحوادث والمخلوقات؛ لأنها تتعلق بالاستفهام عن صفات المخلوقات وما يجوز وما يمكن في حقها، ولا تجوز هذه ولا تكون في حق الله تعالى؛ ولهذا قال: (عَنِ اللهِ فَانْفِهَا)؛ لأنها لا يُسأل بها عن الله تعالى؛ لأنه لا يوصف بصفات خلقه التي يسأل عنها بهذه الصيغ.

وقوله: (سَأَجْمَعُهَا فِي البَيْتِ نَظْمًا عَلَى ضِمْنِ): أي سيذكرها مجموعة في بيتٍ واحدٍ كلها، وقد أعطى الضمان على نفسه أن يجمعها بلا نقصان، وكأنه يقول أجمعها كلها في بيتٍ واحدٍ بلا خللٍ في النظمِ وأنه ضامن في ذلك، وقد وفَّى رحمه الله بذلك فأجاد وأفاد، وهذه جزالة فائقة نادرة المثيل في أن يسبك تسعة ألفاظٍ في بيتٍ واحدٍ بلا خلل في الوزن والقافية وبلا تكلُّفٍ منه.

وقوله: (فَهَلْ، مَا، مَنْ، أَيُّ، كَيْفَ، أَيْنَ، مَتَى، لِمْ وَتَاسِعُهَا كَمْ): (هل): سؤالٌ يُطلب به التصديق كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، (ما): سؤالٌ عن ماهية الشيء أي حقيقته، كسؤال فرعون اللعين لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، (مَنْ): سؤالٌ يُراد به معرفة الجنس، كسؤال فرعون اللعين لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩]، (أي): سؤالٌ تمييز بين متشاركين كما في قوله تعالى:

﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ [الأنعام: ٨١]، وقوله: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]، (كيف): سؤالٌ يطلب به تعيين الهيئة، وهي الحالة التي عليها المسؤول عنه[1]، كما يقال: كيف زيد؟ أي كيف هو حاله، (أين): سؤالٌ عن المكان الذي حلّ فيه الشيء، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨]، (متى): سؤالٌ يُطلب به تعيين الزمان ماضيًا كان أو حاضرًا أو مستقبلًا، كما في قوله: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، (لِمْ): سؤالٌ عن العلة، وأصلها (لِمَ) وسكنت لأجل النظم، والعلة: هي التي لأجلها يكون ذلك الشيء[2]، فهذه ثمانية (وَتَاسِعُهَا كَمْ): سؤالٌ يُطلب به تعيين العدد، كما في قوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]، فهذه الألفاظ جميعها وما يقاس عليها من معانيها لا يسأل بها عن الله تعالى.

وقد نظمها الإمام السالمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع الشرح في أبيات رائعة رائقة بديعة، فقال:

اِمْنَعْ بكيفَ لِمْ وهَلْ سُؤالًا ... مَنْ أيْ مَتَى عَنْ رَبِّنَا تعالى
أينَ، ومِنْ أَيْنَ وكَمْ، فَكَيفَا ... عَنْ هَيْئَةٍ وعِلَّةٍ لِمْ تُلْفَا
وَهَلْ لتَصْدِيقٍ ومَنْ عَنْ جِنْسِ ... وَأيْ لِشِرْكَةٍ وأَجْزا النَّفْسِ
مَتَى سُؤالٌ جاءَ عَنْ زَمَانِ ... أَيْنَ ومِنْ أَيْنَ عَنِ المَكانِ
وَكَمْ سُؤالُ عَدَدٍ وإنَّهُ ... فَرْدٌ قَدِيمٌ قَاهِرٌ سُبْحَانَهُ[3]

---

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص٧٢.

(٢) السالمي، بهجة الأنوار، ص٧٢.

(٣) السالمي، أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم (ت: ١٣٣٢هـ)، منظومة أنوار العقول في معرفة الأصول، إعداد: اللجنة العلمية بموقع بصيرة، التدقيق النحوي: عامر بن المر الصبحي، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٩.

كما أبدع الإمام أبو مسلم رحمه الله حيث نهج نهج الإمام أبي نصر في نظم هذه السؤالات التسع في بيتٍ واحدٍ من غير خلل في النظم والقافية، حيث يقول:

متى كيف كم هل ما ومَن أي أين لمْ   بذي التسع فاحفظها عن الله لا تسل[(١)]

ويقول شيخنا خلفان بن جميّل السيابي رحمه الله مثل ذلك أيضًا:

تعاليتَ عن كيفٍ وأينَ وعن متى   ومالَك كفءٌ أو نظيـرٌ ولا مثلُ
تعاليتَ عن كيـفٍ وكيَّفتَ كيفنا   تقدستَ عن أينَ نعوتًا لمن حلوا[(٢)]

قال الناظم:

٢٥ - لِكُلِّ سُـؤَالٍ صِيغَـةٌ غَيْـرُ أُخْتِهَا   وَلَيْسَ مُـرَادِي بِالإِطَالَـةِ فِي الْفَنِّ

قوله: (لِكُلِّ سُؤَالٍ صِيغَةٌ غَيْرُ أُخْتِهَا): أي لكلِّ سؤال من السؤالات السابقة التي لا يجوز أن يسأل بها عن الله تعالى، لتضمنها السؤال عن أحوال المخلوقين، صيغةٌ مختلفةٌ عن صيغة السؤال الآخر، فكل صيغة ممنوع السؤال بها عن الله تعالى لها علةٌ تختلف عن علة الصيغة الأخرى، فهي أسئلة عن علل مختلفة كما رأينا.

وقوله: (وَلَيْسَ مُرَادِي بِالإِطَالَةِ فِي الْفَنِّ): وهذا بيان العذر في أن الناظم لم يذكر هذه الصيغ جميعها من أجل الإطالة والتطويل في فنِّ النظم، كلا بل إن كلَّ صيغةٍ مقصودة بعينها، ومما لا بدَّ مِن ذكرها، فهذا اعتذارٌ من الناظم خشية توهم الرغبة في الاستطراد والتطويل في النظم.

---

(١) أبو مسلم، ناصر بن سالم بن عديم الرواحي البهلاني (توفي: ١٣٣٩هـ)، نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، مكتبة مسقط ـ سلطنة عُمان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج١ ص٧٠.

(٢) السيابي، القطرة الغيثية، ص١٣٤.

على أن هنـاك بعض الصيغ من السـؤالات التي يمتنع السـؤال بها عن الله ﷻ لم يذكرها الناظم رغبة منه في عدم التطويل والاكتفاء بما ذكر وما لم يذكره داخلٌ ضمنًا في المذكور، فمن هذه الصيغ التي لم يذكرها:

١ ـ السؤال بـ(من أينَ): سؤال عن المكان الذي برز منه الشيء.

٢ ـ السـؤال بـ(أنى): وتأتي بمعنى (كيفَ) كما في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقـرة: ٢٢٣]، وكما في قوله: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وتأتي بمعنى (مـن أين) كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧].

٣ ـ السؤال بـ(أيان): وتأتي بمعنى (متى) كما في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقوله: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦].

٤ ـ السـؤال بـ(حتى): وتأتي بمعنى (إلى متى)، كما يقال: حتى يكون هذا الأمر؟.

❁ ❁ ❁

الباب الثاني

في ذكر صفات الله تعالى

قال الناظم:

٢٦ - وَأَمَّـا صِفَاتُ اللهِ لَيْسَـتْ كَوَصْفِنَا وَلَـكِـنَّـهَـا ذَاتِـيَّـةٌ بِـالـتَّـيَـقُّـنِ

قوله: (وَأَمَّا صِفَاتُ اللهِ لَيْسَـتْ كَوَصْفِنَا): أي أن صفات الله تعالى ليستْ كصفاتنا، وهذا ما تقرر سابقًا وأنه من موجبات التوحيد، فلا شبيهَ لله تعالى في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فصفاته تعالى ليست أمورًا زائدة على ذاته تعالى، بخلاف صفات العباد أمور مستقلة عن ذواتهم.

واختلف العلماء في صفات الأفعال هل توصف بأنها أزلية، أي هل يتصف الله تعالى بصفات الأفعال في الأزل، أي هل يوصف بأنه خالق ورازق ومحيي ومميت وهو لم يخلق بعد، ولم يرزق ولم يحيي ولم يُمِت؟، في ذلك خلاف[1]:

فقال قوم: إنه لا يتصف بصفات الفعل في الأزل بل يتصف بها عندما حدثت، فهو خالق عندما خلق، ورازق عندما رزق، ومحيي عندما أحيى ومميت عندما أمات، وهكذا.

وقال قوم: إنه يتصف بصفات الفعل؛ لأن ذاته تعالى صالحة لها، فهو خالق ولو لم يخلق، ورازق ولو لم يرزق، ومحيي ولو لم يحيي، ومميت ولو لم يُمِت.

---

(١) الجعبيري، فرحات الجعبيري، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مكتبة الاستقامة ـ سلطنة عُمان، الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

• **تنقسم الصفات إلى ثلاثة أقسام في حق الله تعالى**[1]**:**

١ ـ صفات وصف الله تعالى بها نفسه وأمر بوصفه بها (جائزة بالإجماع)، وهي الصفات الواجبة.

٢ ـ صفات لم يصف الله تعالى بها نفسه ونهى عن وصفه بها (غير جائزة بالإجماع)، وهي الصفات المستحيلة.

٣ ـ صفات لم يصف الله تعالى بها نفسه ولم ينهَ عن وصفه بها (فيها خلاف بين العلماء).

• **وتنقسم الصفات الواجبة (القسم الأول) إلى قسمين:**

١ ـ **صفات ذاتية:** وهي صفات اتصف الله تعالى بها في الأزل ولا يزال متصفًا بها، ولا يجوز وصفه بأضدادها، كصفة (الحي والعليم والسميع والبصير والقدير والمريد والمتكلم).

٢ ـ **صفات فعلية:** وهي الصفات التي يجوز أن يوصف الله تعالى بها وبأضدادها عند اختلاف المحل، كصفة (الرافع والخافض، والمحيي والمميت، والباسط والقابض، والمعزّ والمذلّ،...).

• **حقيقة صفات الذات:**

فقد اختلف العلماء في حقيقة صفات الذات هل هي عين ذاته أو هي أمور حقيقية مستقلة عن الذات العلية:

١ ـ قيل صفات الذات هي عين الذات، وهو قول الإباضية[2]

(١) انظر/ السالمي، بهجة الأنوار، ص١٢٩.

(٢) السالمي، بهجة الأنوار، ص١٣٠، الخليلي، شرح غاية المراد، ص٤٣.

والمعتزلة[1]، ويريدون بذلك أنها صفات غير حقيقية بل هي صفات اعتبارية يُعبَّر بها عن كمالات الذات.

٢ ـ وقيل صفات الذات هي معانٍ حقيقية زائدة على الذات قائمة بها، وهو قول الأشعرية[2]، وهذا القول يتكوّن من ناحيتين لا بدَّ منهما[3]:

١ ـ إما أن تكون هذه الصفات معانٍ حقيقيةً مستقلةً عن الذات ليست عينها ولكنها قائمة بالذات:

وهذا باطل؛ لأنه يلزم منه أمران: إما أن تكون هذه الصفات المستقلة تحلُّ في الذات لتتصف الذات بها، وهذا باطل؛ لأن الذات العلية ليست محِلًّا للأشياء. وإما أن تكون هذه الصفات بعضًا من الذات استقل عنها، وهذا باطل؛ لأن الذات العلية غير متبعضة ولا متجزأة.

٢ ـ وإما أن تكون هذه الصفات معانٍ حقيقيةً مستقلةً تمامًا عن الذات لا حالَّة ولا بعضًا منها وهي قائمة بذاتها: وهذا باطل لأن هذه الصفات إن كانت مستقلة عن الذات وقائمة بنفسها فلا تخلو من ثلاث حالات: إما أن

---

(١) عبد الجبار، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسدآبادي (المتوفى: ٤١٥هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، (الكلام في الصفات) ص٩٧ وبعدها / الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (توفي: ٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، تحقيق محمد عبد القادر الفاضبلي، المكتبة العصرية ـ بيروت، بدون ذكر الطبعة: ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ج١ ص٤٣ ـ ٤٤.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١ ص٧٥ ـ ٧٦ / وانظر أيضًا الشهرستاني، **نهاية الإقدام** ص١٨١، البغدادي، **أصول الديانة**، ص٩٠، البيجوري، إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي (المتوفى: ١٢٧٧هـ)، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، ضبطه وصححه: عبد الله بن محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص٧٦.

(٣) السالمي، **بهجة الأنوار**، ص١٣٠ ـ ١٣١.

تكون مع الذات في القدم فتكون مشاركة للذات في القدمية، وهذا باطل؛ لأن المشارك في القِدمية غير مستحق للوحدانية.

وإما أن تكون قبـل الذات في الوجـود، وهذا باطل؛ لأنه يسـتلزم حـدوث الذات.

وإما أن تكـون بعد الذات في الحـدوث، وهو باطل؛ لأنه يسـتلزم عدم اتصاف الذات العلية بهذه الصفات قبل حدوثها، فيكون غير عليم ولا حي ولا قدير ولا مريد ولا سميع ولا بصير.. وهذا باطل قطعًا وتعالى الله عن ذلك.

وبعدما بيّنا بطلان هـذا القول فلم يبقَ إلا القـول الأول وهو إن صفات الذات هي عين الذات لا غيرها، فهي صفات لهـا معانٍ اعتبارية نعبِّر بها عن كمالات الذات، فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وهذا هو المذهب الحق.

وقوله: (وَلَكِنَّهَا ذَاتِيَّةٌ بِالتَيَقُّنِ): أي صفات الله تعالى ذاتية على اليقين، أي هي عين ذات الله تعالى، وليست أمورًا مسـتقلة عن ذاته تعالى، فذاته متصفة بكمالات الصفات.

قال الناظم:

٢٧ - وَأَسْـمَاؤُهُ هُوهِيَّـةٌ، لَيْـسَ غَيْـرَهُ   وَذَاتُ الْمُسَـمَّى غَيْرُ تَسْـمِيَةٍ مِنِّي

وقوله: (وَأَسْمَاؤُهُ هُوهِيَّةٌ لَيْسَ غَيْرَهُ): أي أسماء الله تعالى هي هو، أي عين ذات الله لا غيره، كما قلنا في الصفات كذلك، فأسـماء الله تعالى وصفاته هي عين ذاته لا غيره تعالى، وفي مثل ذلك يقول الإمام السالمي:

أسماؤه وصفات الذات ليس بغيـ   ـر الذات بل عينها فافهم ولا تُحِلا[1]

---

(١) السالمي، منظومة غاية المراد في نظم الاعتقاد، ص ٤.

وقوله: (وَذَاتُ الْمُسَمَّى غَيْرُ تَسْمِيَةٍ مِنِّي): (وَذَاتُ الْمُسَمَّى): أي الله تعالى، (غَيْرُ تَسْمِيَةٍ مِنِّي): أي أن ذات الله تعالى المسماة بالاسم هي غير التسمية المسماة له منا نحن البشر، كما أنها غير المسمي له تعالى بالاسم، فيحصل معنا أربعة أنواع: اسمٌ ومسمًى وتسميةٌ ومسمٍّ، فالاسم: هو مدلول اللفظ على صفة أو ما شابهها، وهو عين ذات المسمى، والمُسمى: وهو الذي يُطلق عليه الاسم ويوصف به، والتسمية: وهي اللفظ باللسان المعبَّر به عن الصفة أو الاسم، والمُسمي: وهو الناطق بالاسم.

فالاسم الذي ينطق به المخلوق (اللفظ) ما هو إلا تعبيرٌ عن مدلوله المتأصل في الذات والمتصفة به، وأما المدلول: فهو ذاك الاسم أو الصفة التي عبَّر عنها المخلوق باللفظ أي بالاسم الملفوظ، وأما المسمى: هو ذات الموصوف بالصفة أو الاسم، فلا يقال إن لفظ الإنسان لكلمة (العليم) بأن هذا اللفظ هو ذات الله تعالى؛ لأننا نتحدَّث عن اللفظ نفسه المحدث من المخلوق، أي التلفظ الذي عبَّر به عن صفة كمال الذات العلية، في حين نقول إن (العليم): مدلول هذا الصفة وحقيقتها هي عين ذاته تعالى وليست غيره تعالى، فالاسم والتسمية غير المسمى، كما أن الوصف غير الموصوف، كما سيأتي بيانه في البيت الآتي.

قال الناظم:

٢٨ - فَوَصْفِي ذِكْرِي لِلصِّفَاتِ بِمقْوَلِي وَتَسْمِيَتِي ذِكْرِي للِاسْمِ الْمُبَيَّنِ

قوله: (فَوَصْفِي ذِكْرِي لِلصِّفَاتِ بِمقْوَلِي): وهذا بيانٌ أن الوصف هو مجرد ذكر العبد للصفة بقوله أي لفظًا، فالصفة المنطوق بها من فم العبد ليست هي ذات الموصوف، وإنما حقيقتها ومدلولها في الذات هي عين ذات الموصوف بها، فقول العبد صفة (العليم) أو (العالم) والتلفظ بها ليس عين ذات

الموصوف بها؛ لأن التلفظ بها حـادث من العبد، وإنمـا مدلول هذه الصفة وحقيقتها هي عين الموصوف، فهنا يبيِّن الناظم أن وصفه أي نطقه بالصفة إنما هو مجرد قول باللسان وذكر بالمقال.

وقوله: (وَتَسْـمِيَتي ذِكْرِي للِإسْـمِ الْمُبَيَّنِ): وكذا هو الحال بالنسبة للفظ الاسم الذي هو (التسمية)، فالتسمية من العبد هي التلفظ بالاسم نطقًا ولفظًا ومقالًا، والاسم غير المسمى كما شرحنا سـابقًا كما أن الاسم غير المسمِي، فمراد الناظم أن تسـميته الاسـم وإطلاقه الاسـم هو فقط مجرد ذكر الاسم باللسان ليس إلا.

وفي هذا البيت تأكيدٌ للمعنى الذي يريد الناظم توصيله إلينا في الأبيات السابقة، حينما قال: (وَذَاتُ الْمُسَـمَّى غَيْرُ تَسْمِيَةٍ مِنِّي)، فأوضح ذلك في هذا البيت بأن التسمية هي ذكره الاسم باللسـان فقط، والوصف هو ذكره الصفة باللسان فقط، فذات المسمى غير التسمية، وذات الموصوف غير الصفة.

❁ ❁ ❁

الباب الثالث

في الولاية والبراءة

قال الناظم:

٢٩ - وَمِمَّا يَلِي التَّوْحِيدَ فِي الضَّيْقِ فَرْضُهُ بَرَاةُ مُسِـيءٍ مـع وَلَايَةِ مُحْسِـنِ

قوله: (وَمِمَّا يَلِي التَّوْحِيدَ فِي الضَّيْقِ فَرْضُهُ): أي من التكاليف الشرعية التي تأتي بعد توحيد الله تعالى وما ذكرناه من مقتضيات ذلك التوحيد الخالص، يأتي فرض الولاية والبراءة، وهما وإن كانتا من مقتضيات التوحيد الخالص كما سنذكر بعد قليل، إلا أنهما يخصان بتفقه ودراسةٍ وعلمٍ مستقل؛ لأنهما من الفروض المضيَّقة التي لا يسع تركهما، ولهذا قال الناظم (فِي الضَّيْقِ فَرْضُهُ): أي من الفروض المضيَّقة أي الفورية بعد علم التوحيد الخالص الولاية والبراءة.

وقوله: (بَرَاةُ مُسِـيءٍ مع وَلَايَةِ مُحْسِـنِ): فهذا خبر مبتدأه الذي ذكره في الشطر الأول، أو قل جواب سؤاله الذي طرحه - إن صغناه على شكل سؤال - ما الفرض الذي يلي التوحيد في التضييق وعدم السعة؟، فكان جوابه بنفسه: (بَرَاةُ مُسِيءٍ مع وَلَايَةِ مُحْسِنِ): البراة أي البراءة وخففت لاستقامة الوزن، ويُراد بها البراءة من المسيء العاصي، والولاية للمحسن الطائع، **فأما البراءة للمسيء العاصي**: هي البغض في الله تعالى له لعداوته وعصيانه، **وأما الولاية للمحسن الطائع**: هي الحب في الله تعالى له لطاعته وإحسانه.

الولاية والبراءة وأحكامها:

والولاية والبراءة من الواجبات الشرعية على المكلَّف تجاه غيره من البشر؛ إذ البشر إما طائعٌ موفٍ، وإما عاصٍ مقصرٌ: فالطائع الموفي: هو مَن لم يعصِ

قط كالأنبياء والرسل والملائكة، ومَن عصى وتاب ومات على التوبة لم ينكثها، وهم المؤمنون المقصرون التائبون من تقصيرهم غير المصرِّين على ما فعلوا وهم يعلمون.

وأما العاصي: فهم الكفرة المشركون، ومَن عصى من الموحدين ولم يتوبوا بل أصرُّوا على كبائر الذنوب وهم يعلمون، وعاشوا وماتوا على ذلك.

فإن سأل سائل: ما الدليل الشرعي الذي يدل على وجوب الولاية والبراءة، حتى تجعلونهما من الفروض المضيَّقة التي لا يسع جهلها وتركها بعد التوحيد الخالص لله تعالى؟.

قلنا له: هناك أدلة كثيرة على الولاية للطائعين والبراءة من العصاة سواءً كانوا من الكفرة المشركين أو من العصاة الموحدين، وإليكم نماذج من هذه الأدلة من باب التدليل لا الحصر والاستقصاء:

أولًا: أدلة البراءة من المشركين:

١ - قال الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

٢ - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

٣ - وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

٤ - وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

ثانيًا: أدلة البراءة من العصاة:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، من يقتل مؤمنًا متعمدًا مسلمًا كان أو كافرًا له هذا الجزاء.

٢ ـ وقال ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧]، ولا يقال هذا لمن كان مشركًا بالله لأنه من باب أولى لا يحكم بما أنزل الله تعالى، فهو كافر بالأصل.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

ثالثًا: أدلة الولاية للطائعين:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

قال الناظم:

٣٠ ـ فَمَنْ لَمْ يُوَالِ أَوْ يُعَادِ فَإِنَّهُ مِنَ الدِّينِ صِفْرُ الكَفِّ وَاهِي التَّدَيُّنِ

قوله: (فَمَنْ لَمْ يُوَالِ أَوْ يُعَادِ): أي فالمكلَّفُ الذي لا يدين بولاية الطائعين والبراءة من العاصين، كأن لا يرى ضرورة ذلك أو يجحد وجوبه مطلقًا، أو كان يعفي نفسه من واجب ولاية الطائعين والبراءة من العاصين، فهذا ـ عياذًا بالله تعالى ـ عاصٍ بترك الواجب الشرعي المطلوب منه.

وقوله: (فَإِنَّهُ مِنَ الدِّينِ صِفْرُ الكَفِّ وَاهِي التَّدَيُّنِ): أي مَن كان هذا حاله من المكلَّفين لا يدين بولاية الطائعين والبراءة من العاصين، فإنه لم ينل من الدين إلا صفر اليدين، فليس له من ثواب تدينه شيء، فتدينه واهٍ غير سليم ولا متينٍ، وبالتالي غير منقذ له يوم القيامة.

والتعبير بصفر اليدين كناية عن عـدم التوفيق في التديـن وعدم الفائدة الأخروية منه، وذلك لترك هذا المكلَّف الواجب الشـرعي المتحتم عليه، من الولاية والبراءة، وهذا المثل كغيـره من الأمثال العربية المشـهورة، كالمثل القائل: رَجَعَ بخُفَّي حُنَين، وغيرها من الأمثـال المكنى بها عن عدم التوفيق وعدم الحصول على فائدة.

قال الناظم:

٣١ـ كَذَلِكَ إِنْ وَالَى وَعَـادَى جَمِيعَهُمْ أَوْ أَمْسَكَ فَهُوَ مُشْـرِكٌ غَيْرُ مُؤْمِنِ

قوله: (كَذَلِكَ إِنْ وَالَى وَعَادَى جَمِيعَهُمْ): أي وكذلك إن تولى هذا المكلَّف جميع الخلق أو تبرأ من الجميع دون تمييز، فهو هالكٌ ـ عياذًا بالله تعالى ـ، ويحكم عليه بالشرك، وذلك لرده النصوص الصريحة، ومخالفته القطعي من الدين، وما عُلم منه ضرورة.

وقوله: (أَوْ أَمْسَـكَ فَهُوَ مُشْـرِكٌ غَيْرُ مُؤْمِنِ): أي وكذلك لو أمسك عن الولاية والبراءة عن الجميع فلم يتولى أحدًا ولم يبرأ من أحدٍ، فهو مشـرك غير مؤمن، لما ذكرنا من مخالفته القطعي من النصوص، ولتركه ما عُلم من الدين بالضرورة.

ومما تجدر الإشـارة إليه هنا أن الولاية والبراءة الواجبتين والتي لا يسع جهلهما وتركهمـا ويكفر تاركهما، همـا ولاية الجملة وبـراءة الجملة، فهما واجبتان على الجميع بلا استثناء باتفاق الأمة، فيتساوى فيهما الجاهل والعالم

في هذا التكليف، فلا يُعذر منهما أحدٌ، وأما غيرهما من أقسام الولاية والبراءة فقد وقع فيها خلاف بين الأمة في وجوبها وعدمه.

• وخلاصة البيتين السابقين:

أن من لم يوالِ مَن أطاع الله ومَن لم يبرأ ممن عصى الله، ومَن والى جميع الطائعين والعاصين، أو تبرأ من جميع الطائعين والعاصين، أو أمسك عن الولاية والبراءة عن الجميع، فحكمه الشرك ـ عياذًا بالله تعالى ـ؛ لأنه ردَّ النصوص الصريحة القاطعة، وخالف مقتضيات الإيمان، وترك ما عُلم من الدين بالضرورة، أي ما علمه ضرورة في الدين.

قال الناظم:

٣٢ ـ فَإِنْ قِيلَ مَا مَعْنَى الوَلَايَةِ قُلْ لَهُ دُعَاؤُكَ بِالْغُفْرَانِ وَالْحُبُّ بِالضِّمْنِ

قوله: (فَإِنْ قِيلَ مَا مَعْنَى الوَلَايَةِ): أي إن سألك سائلٌ أيها المكلَّف عن معنى هذه الولاية التي تكلَّفتها على سبيل الوجوب، ما معناها؟!، وفي هذا الأسلوب حسنُ تعليمٍ من الناظم أن يذكرَ الشيء أولًا وأحكامه ليشوِّق النفوس للاستفهام عن حقيقته وماهيته، بعدها يشنف أسماعهم بتعريفه ومعناه.

وقوله: (قُلْ لَهُ دُعَاؤُكَ بِالْغُفْرَانِ وَالْحُبُّ بِالضِّمْنِ): أي إن سألك عن معنى الولاية قل له: (دُعَاؤُكَ بِالْغُفْرَانِ): أن الولاية هي الدعاء للمتولى بالغفران أي المغفرة من الذنوب، والرضوان أي برضى الله تعالى، والرحمة أي بأن يرحمه الله تعالى، وذلك بأن تقول في دعائك: اللهم اغفر لفلان، أو غفر الله له أو غفر الله لك، وتقول: رضي الله عنه، أو تقول: رحمه الله تعالى، وذلك لأن الدعاء بالمغفرة والرضوان والرحمة لا تكون إلا للمتقين؛ قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]،

فهم إذًا أهـل الولاية، قـال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣].

وقولـه: (وَالْحُبُّ بِالضِّمْـنِ): أي أن الولاية هي الحب فـي الله للمتولى لطاعته، (والحبُّ): هو المودة، وهي شـعور وجداني داخلي ينتج عن الرضى عن المحبوب وقَبوله لدى نفس المحبِّ له، سواءً كان سبب هذا القبول فضيلة ذاتية تميَّز بها عن غيـره، أي صفة محمودة فيه، أو كان لفاضلة خيرٍ أسـداها لغيره، أي أن (الولاية): هي الحب بالقلب في الله تعالى مع الدعاء برحمة الله ورضوانه لجميع أهل الوفاء والطاعـة[1]، (بِالضِّمْنِ): أي وكل ما تضمنته هذه العبارات من المعاني فهو ولاية.

قال الناظم:

٣٣ ـ إِذَا رَضِيَـتْ أُذْنٌ وَعَيْـنٌ بِمَا رَأَتْ　　　وَوَافَـقَ فِي دِيـنِ الإِلَـهِ الْمُهَيْمِنِ

قوله: (إِذَا رَضِيَتْ أُذْنٌ وَعَيْنٌ بِمَا رَأَتْ): أي أن الولاية هي الحب والدعاء بالمغفرة والرضوان لما سمعتْ أذنك ورأت عينك منه خيرًا، أو سمعتْ أذنك ورأت عينك عنه خيرًا، أي أريتَ منه وسـمعتَ منه وعنه الخير ورضيت بما سمعتَ، لِكَونه شيئًا مُرضيًا في نفسه.

وقوله: (وَوَافَقَ فِي دِينِ الإِلَـهِ الْمُهَيْمِنِ): هنا ذَكَرَ القيـد الذي يتمُّ به أمر الولاية كلِّه، أي متى ما وافق هذا المرضي قولًا وظاهرًا دين الله تعالى المهيمن، بأن كان موفيًا بدين الله تعالى، مؤديًا ما وجب عليه وأمر به، ومجتنبًا ما حرم عليه ونهي عنه، أما إن لم ترضَ منه ما سمعتَ ورأيتَ وكان مخالفًا لدين الله تعالى فلا ولايةَ لـه، وهو غير داخل فـي الولاية والحب والدعـاء بالرحمة والمغفرة، فموجب الولاية إذًا هي: الموافقة للحق بالقول والفعل.

---

(١) البوصافي، بغية الراقي في شرح خلاصة المراقي، ص٨٩ ـ ٩٠ (بتصرف).

قال الناظم:

٣٤ـ فَمَا جَازَ فِي ضِدِّ الوَلَايَةِ حُكْمُهُ أَجْزْنَاهُ فِي حُكْمِ العَدَاوَةِ وَاللَّعْنِ

قوله: (فَمَا جَازَ فِي ضِدِّ الوَلَايَةِ حُكْمُهُ): أي أن كلَّ ما جاز في ضد الولاية (أي البراءة) من جواز البغض بالقلب وعدم الدعاء باللسان بالرحمة والمغفرة (أي الدعاء الأخروي)، من حيث الحكم الجائز المحكوم به على المستحق له، أجزناه نحن القائلين بولاية الأشخاص والبراءة منهم ولم نخالف فيه.

وقوله: (أَجْزْنَاهُ فِي حُكْمِ العَدَاوَةِ وَاللَّعْنِ): أي كل ما جاز في ضد الولاية من القول المخصوص باللسان والبغض بالجنان هو المحكوم به الجائز عندنا في البراءة، قوله: (فِي حُكْمِ العَدَاوَةِ وَاللَّعْنِ): أي فكلُّ ذلك عندنا جائز وهو في حكم العداوة واللعن، هو جائز في البراءة كما جاز فيها عندنا العداوة القلبية واللعن باللسان لمستحق اللعن من أعداء الله تعالى ورسوله ﷺ.

الخلاصة في الولاية والبراءة عندنا معاشر الإباضية:

الولاية والبراءة عند الإباضية تنقسم إلى قسمين: [الجملة ـ الأشخاص].

أما ولاية الجملة: فهي المحبة لجميع أهل طاعة الله تعالى من الأولين والآخرين والظاهرين والباطنين والسابقين واللاحقين إلى يوم الدين.

أما براءة الجملة: فهي العداوة لجميع أهل معصية الله تعالى من الأولين والآخرين والظاهرين والباطنين والسابقين واللاحقين إلى يوم الدين.

وولاية الجملة وبراءة الجملة فريضتان من فرائض الدِّين، فهما من مقتضيات الإيمان والتوحيد؛ أي من مقتضيات الدِّين ومما لا يسع جهلهما ولا تركهما، ولا عذر لأحدٍ بتركهما، فيتساوى في ذلك العالم والجاهل[1].

---

(١) البوصافي، بغية الراقي في شرح خلاصة المراقي، ص٩١.

أما ولاية الأشخاص وبراءتهم: هي المحبة أو البغض لشخص معين على سبيل الخصوص لوفائه بدين الله تعالى وطاعته له أو لعصيانه ومخالفة دين الله تعالى، وولاية الأشخاص وبراءة الأشخاص قسمان: **أولهما:** ولاية وبراءة الحقيقة، **وثانيهما:** ولاية وبراءة الظاهر.

فأما ولاية الحقيقة وبراءة الحقيقة: فهي أن يرد نصٌّ قطعيٌّ بصلاح وطاعة شخصٍ بعينه أو عصيانه أو شهد له بالسعادة أو الشقاوة في الآخرة سواء ذكر باسمه صريحًا أو كنيته أو وصفه.

وأما ولاية وبراءة الظاهر: هي المحبة أو البغض لمن ظهر منه الصلاح والطاعة أو العصيان والمخالفة، سواء بالعيان أو الشهرة أو بشهادة العدول على صلاحه.

المخطط الشكلي الموضح لأقسام الولاية والبراءة:

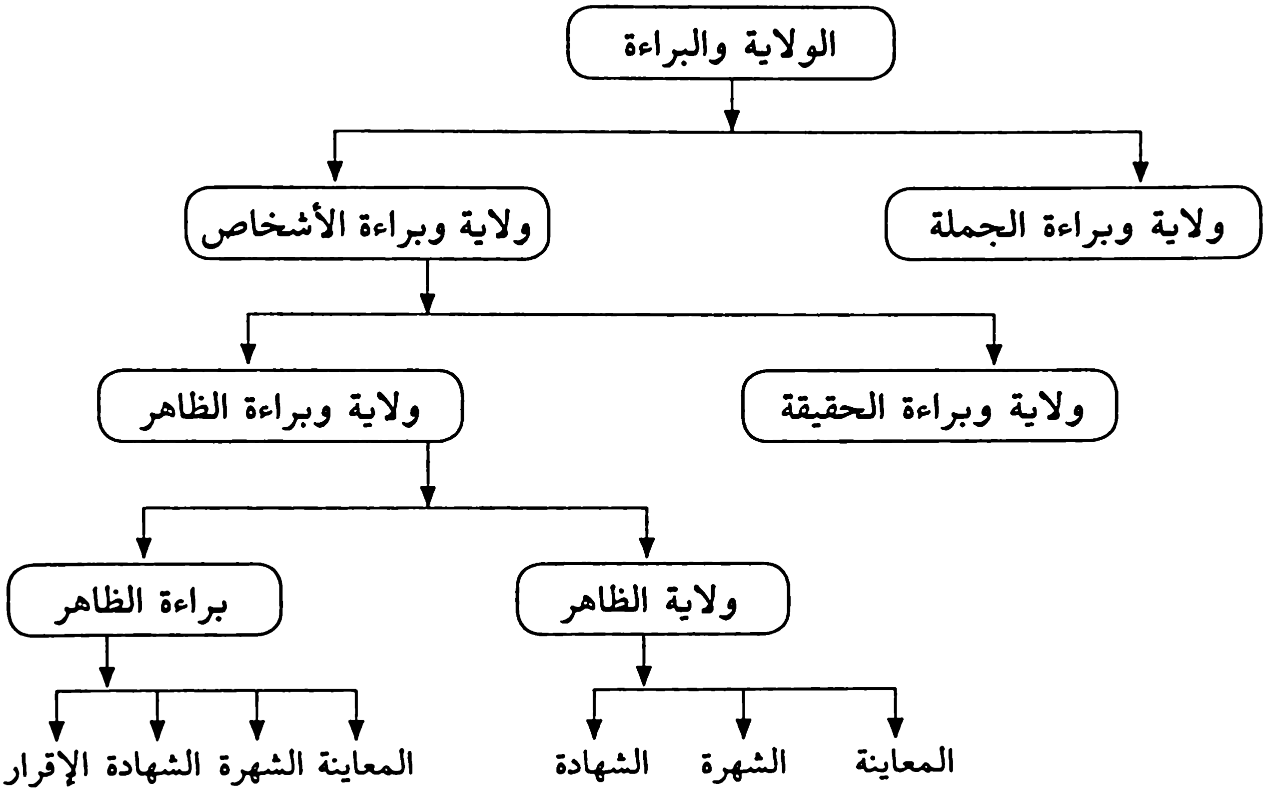

• **الوقوف وأنواعه:**

وهذه الأحكام فيمـن يُعرف حاله من حيث الطاعـة والمعصية، وأما مَن لا نعرف حاله فديننا فيه الوقوف عنه، والوقوف: هو عدم الحكم عليه بولايةٍ ولا براءةٍ، وذلك لجهلٍ من جهة الواقف بحال الموقوف عنه، أو من جهة جهلِ حكم العمل الذي عمله والحدث الذي أحدثه[١].

والوقوف أنواعٌ عديدة منبثقة من حالة الواقف تجاه الموقوف عنه أو تجاه أعماله المرتكبة، وأنواع الوقوف كالآتي[٢]:

١ ـ وقوف دين: وهو الكف عن ولاية شـخصٍ معينٍ أو البراءة منه ما لم تعلم حاله، فنقف عنـه وقوف دين حتى نعلم حالـه، فالوقوف عن مثل حاله واجب من مقتضيـات الدِّين، إذ لا تجـوز الولاية له ولا تجـوز البراءة منه، فوجب شرعًا الوقوف عنه.

٢ ـ وقوف رأي: هو الوقوف عن ولي ثبت عندك ما أشكل عليك حكمه، أو أن يثبت عندك فعل شخص لكبيرة موجبة للبراءة، فتقف عنه حتى تستوفي الشـروط الموجبة للبـراءة منه، وتـؤدي ما عليك تجاهه، مـن بيان حكم ما ارتكب، فقد يكون فَعَلَه ناسـيًا أو جاهلًا أو لم تقـم عليه الحجة بحكم ما ارتكب، ثم استتابته ثلاثًا، فإن لم يرعوِ عن غيه يُعدُّ حينها مصرًّا فتنقله من وقوف الرأي إلى البراءة منه، ولهذا الوقوف صور عديدة في الواقع.

٣ ـ وقوف سـؤال: وهو أن يثبت عندك ارتكاب شـخصٍ لشـيء تجهل حكمه، فتقف عنه حتى تسـأل عن حكم فعله أو حكمه هو بعـد فعله هذا، ووقوف السؤال متلازم مع وقوف الرأي كما ترى.

---

(١) البوصافي، بغية الراقي في شرح خلاصة المراقي، ص٩٣.

(٢) انظر/ السالمي، بهجة الأنوار ص٢١١ وما بعدها.

٤ ـ وقوف إشكال: أن يُشْـكل عليك حال شـخصين وليين ارتكبا حدثًا لا تدري أيهما المحق من المبطل، فيُشْـكل عليك أمرهما فتقف عنهما حتى تتبيّن حالهما من حيث الحق والباطل.

٥ ـ وقوف شكٍّ: أن تشكَّ في ولاية وليٍّ لا يشكُّ مثل شكك، فتترك ولايته لهذا الشكِّ، وهذا النوع حرام لا يجوز فعله(١).

❁ ❁ ❁

(١) السالمي، بهجة الأنوار ص ٢١٤ (بتصرف).

الباب الرابع

في الإيمان بالقضاء والقدر وخلق أفعال العباد

قال الناظم:

٣٥ - وَقَدْ أَلْزَمُوا الإِيمَـانَ بِالقَدَرِ الذِي أَتَى مِنْهُ خَيْرًا كَانَ أَوْ سُخْنَةَ الْعَيْنِ

قوله: (وَقَدْ أَلْزَمُوا الإِيمَانَ بِالقَـدَرِ): أي أن العلماء أوجبوا على المكلَّف الإيمان بالقَدَر المقـدَّر من الله تعالى من خيرٍ أو شـرٍ، وذلـك لورود الأدلة الشرعية على وجوب الإيمان بالقَدَر وأنه من الله تعالى.

وقوله: (الذِي أَتَى مِنْهُ خَيْرًا كَانَ أَوْ سُخْنَةَ الْعَيْنِ): أي يجب على المكلَّف الإيمان بالقدرِ المقدَّر (مِنْهُ): أي مـن الله تعالى، مقدِّر الأمور المتصرِّف بكل شيء في هذا الكون الواسع، سواءً كان هذا المقدَّرُ خيرًا قُدِّر للعبد أو كان شرًا، وتعبير الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ عن الشر الذي يصيب العبد بـ(سُـخْنَةَ الْعَيْنِ): كياسة منه ورجاحة عقلٍ ليخاطب بذلك العقلاء أهل الإدراك والفطنة، وذلك أن ما يسبب حرارة العين وسـخونتها هو جريان الدمع السـاخن، وهذا لا يكون إلا عند مصيبة، فكنى عن مصاب الشـر الذي يصيب الإنسـان بالنتيجة التي يخلفها وراءه، يقول الإمام السالمي في الإيمان بالقَدَر أنه من الله تعالى:

إذ ليس في العالم شـيءٌ يصدُرُ إلا وربـنـا لـه مـقـدِّرُ[1]

(والقدر): تقدير الأشياء وإيجادها تفصيلًا في حياة المكلَّف.

---

(١) السالمي، منظومة أنوار العقول في معرفة الأصول، ص ٣٣.

قال الناظم:

٣٦ - وَكُلُّ قَضَاءٍ مِنْ مَلِيكٍ مُقَدَّرٌ   فَسُبْحَانَ مَنْ يُجْرِي الْمِيَاهَ مِنَ الْمُزْنِ

قوله: (وَكُلُّ قَضَاءٍ مِنْ مَلِيكٍ مُقَدَّرٌ): أي ويجب على المكلَّف أيضًا الإيمان بالقضاء خيره وشره أنه من الله تعالى، كما وجب عليه الإيمان بالقَدَرِ خيره وشره أنه من الله تعالى، فالله تعالى هو من قدَّر القضاء والقَدَر لا غيره تعالى، (والقضاء): هو إثبات الأشياء في اللوح إجمالًا.

وقد وردتْ الأدلة الشرعية على وجوب الإيمان بالقضاء والقَدَر وأنهما من الله تعالى، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، ومنها حديث رسول الله ﷺ لعبادة بن الصامت: «إنك لن تجد ولن تؤمن وتبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقَدَر خيره وشره أنه من الله» قال: قلت يا رسول الله كيف لي أن أعلم خير القدر وشره؟. قال: «تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، فإن مت على غير ذلك دخلت النار»[١].

وقوله: (فَسُبْحَانَ مَنْ يُجْرِي الْمِيَاهَ مِنَ الْمُزْنِ): (سبحان): أي تنزَّه وبَعُدَ، فسبَّح المسلم ربه تبارك وتعالى أي أبعده عمَّا لا يليق بجلاله، ولهذا سُميَّ الحصان سابحًا؛ لأنه إذا جرى أبعد، فهو شديد الجري كأنه يسبح في جريه، قال عنترة بن شداد العبسي:

إذ لا أزال على رحالة سابحٍ   نهدٍ تعاوره الكماة مُكلَّم

ويقول المتنبي:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنى سرجُ سابحٍ   وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ

وقوله: (فَسُبْحَانَ مَنْ يُجْرِي الْمِيَاهَ مِنَ الْمُزْنِ): أي تنزَّه وتعالى الله ﷻ الذي يُجري المياهَ من السُّحُب إلى الأرض، بقدرٍ مقدورٍ وقضاءٍ محكومٍ في أجلٍ

(١) مسند الربيع بن حبيب، باب: في القدر والحذر من التطير، رقم: ٧٣.

معلوم، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٨ ـ ٦٩].

قال الناظم:

٣٧ ـ فَأَفْعَالُنَا خَلْقٌ مِنَ اللهِ كُلُّهَا وَمِنَّا اكْتِسَابٌ بِالتَّحَرُّكِ لِلْبَدَنِ

قوله: (فَأَفْعَالُنَا خَلْقٌ مِنَ اللهِ كُلُّهَا): أي أن الله تعالى خالقُ كلّ ما يصدر منا من حركاتٍ وسكناتٍ وخطراتٍ وأقوالٍ اختيارية كانت أو اضطرارية، فكلُّ ذلك من أفعالنا، وأفعالُ العباد أشياء، والله تعالى خالق كلّ شيء، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦]، فالله تعالى هو من أوجد أفعالنا من العدم إلى الوجود، فلا رفعَ ولا خفض، ولا قبض ولا بسط، ولا أخذ ولا إعطاء إلا والله تعالى له خالقٌ، وهو له موجد من العدم، قال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

وقوله: (وَمِنَّا اكْتِسَابٌ بِالتَّحَرُّكِ لِلْبَدَنِ): أي أن أفعالنا خلقٌ من الله تعالى واكتساب منا، أي نحن نكتسبها بالممارسة والتحرك بالبدن، وذلك بأدائها وتطبيقها، فالأعمال الخيرية والشرية كلُّها خلقٌ من الله تعالى، والانسان له محض اكتساب بلا جبرٍ ولا إكراه، فالخيرُ والشرُّ خلقان من الله واكتساب منا نحن البشر، وكلٌّ مجزيٌّ بما اكتسب، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨]، والنصوص الشرعية دالة وصريحة غاية الصراحة أن الإنسان مجزيٌّ باكتسابه، غير محاسب على خلق الله تعالى وصنعه.

يقول الإمام السالمي في «جوهر النظام»:

والخير والشر من الحميد خلقٌ وفعلان من العبيد
لكنَّ فعل العبد كسبٌ منه وربنا الخالق فافهمنه[1]

(١) السالمي، أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم (ت: ١٣٣٢هـ)، جوهر النظام في علمي الأديان =

يقول الإمام الثميني في شـرحه على هذه النونية «النور»: «... وأن للفعل جهتين: جهة خلقٍ تُضاف إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وجهة كسب تُضاف للمخلوق الذي يتأتى منه الفعل الاختياري، وأصحابنا ـ رحمهم الله تعالى ـ والأشاعرة نظروا إلى الجهتين، فأضافوا جهة الخلق لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وجهة كسب الفعل للعبد الذي يتأتى منه الفعل الاختياري»[1].

قال الناظم:

٣٨ ـ فَكُلٌّ لِعِلْمِ اللهِ فِيهِ مُيَسَّرٌ وَلَمْ يَعْدُهُ خَلْقٌ سَرِيٌّ أَوِ الدَّنِي

قوله: (فَكُلٌّ لِعِلْمِ اللهِ فِيهِ مُيَسَّرٌ): أي كلُّ مخلوقٍ مسيَّرٌ لفعله في علم الله تعالى الأزلي، أي أنه عاملٌ ومكتسبٌ ومنقادٌ لفعله الذي سُطِّرَ في علم الله تعالى، ولا يمكن أن يعملَ ويكتسبَ بإرادته خلافه أبدًا، وهذا الاكتساب اختياريٌ منه أي دون أن يكون مجبورًا فيه، ومعنى ذلك كله أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عليمٌ منذ الأزل بما يكتسبه عبده من خيرٍ أو شرٍ.

وقوله: (وَلَمْ يَعْدُهُ خَلْقٌ سَرِيٌّ أَوِ الدَّنِي): أي ولم يعزب عن علمه فعل أي مخلوق من الخلق سواء كان شريفًا أو وضيعًا، فكلُّ مخلوقٍ يعمل ما سُطر ما هو عامله في علم الله تعالى الأزلي، ولا يمكن أن يعمل ما ليس في علم الله تعالى، فيجاوز بفعله ما في علم الله تعالى؛ لأن ذلك يقتضي عدم علم الله بما سيكون من شؤون خلقه وأفعالهم، كما يقتضي الإكراه وعدم مطلق الإرادة له تعالى، فيقع ما لم يعلمه، فتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن

= والأحكام، تحقيق: أبو إسحاق أطفيش وإبراهيم العبري، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، سلطنة عُمان ـ السيب، الطبعة الثالثة عشر، ج١ ص١٤.

(١) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

فيجب على المكلَّف أن يعتقد اعتقادًا جازمًا أن الله تعالى خالق أفعاله الخيرية والشرية، وأنه هو المكتسب لها بمحض إرادته، وأن اكتسابه لا يعزب عن علم الله تعالى الأزلي، فهو مكتسبٌ ما سُطِّر من اكتسابه في علم الله تعالى الأزلي، وأن علم الله تعالى باكتسابنا لا ينافي عدم الجبر وأننا مختارون لأعمالنا، محاسبون على اختيارنا واكتسابنا لا على خلق الله تعالى وصنعه، ويجب الاعتقاد أيضًا أن أعمال العباد مسطورة في علم الله، ولا يمكن أن يعزب عن علمه عمل أي مخلوقٍ من المخلوقات، مهما كان هذا العمل عظيمًا أو ضئيلًا، ومهما كان هذا المخلوق، شريفًا أو وضيعًا.

❁ ❁ ❁

الباب الخامس

في الفروض الموسعة والمضيقة

في هذا الباب قَسَّمَ الناظم رَحِمَهُ اللهُ الفروض الشرعية إلى نوعين اثنين كل نوعٍ منهما جعلناه فصلًا وهما:

١ ـ فروض مضيَّقة عَبَّر عنها في النظم (ما لا يسع جهله).

٢ ـ فروض موسعة أو متراخية كما عبر عنها في النظم، وهي (ما يسع جهله)، وقسَّمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يسع جهله قبل حضوره وروده.

القسم الثاني: ما يسع جهله قبل دخول وقته.

القسم الثالث: ما يسع جهله للأبد ما لم يقصده بذاته.

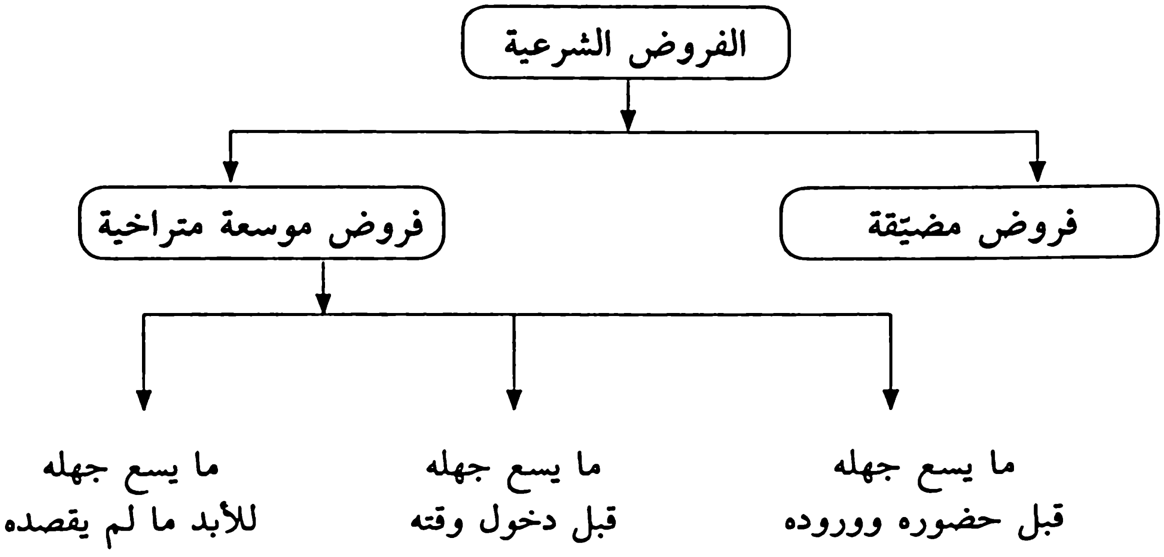

الفصل الأول
في ما لا يسع جهله طرفة عين

قال الناظم:

٣٩ - وَمَا لَمْ يَسَـعْكُمْ طَرْفَةَ الْعَيْنِ جَهْلُهُ فَهُوْ جُمْلَةُ التَّوْحِيـدِ فِي كُلِّ أَزْمُنِ

قوله: (وَمَا لَمْ يَسَـعْكُمْ طَرْفَةَ الْعَيْـنِ جَهْلُهُ): أي من الفروض الشرعية والتكاليف الحتمية التي لا يسع جهلها طرفة عين، وذلك بعد قيام الحجة بها على المكلَّف، هو جملة التوحيد، كما سيبيِّن الناظم ذلك.

بقوله: (فَهُوْ جُمْلَـةُ التَّوْحِيدِ فِـي كُلِّ أَزْمُنِ): أي أن جملـة التوحيد من الفروض المضيَّقة التي لا يسع جهلها بعدما قامت حجتها على المكلَّف.

وجملة التوحيد هي الشهادتان: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله)، وقيل بإضافة الشهادة الثالثة وهي: (وأشهد أن الذي جاء به محمدٌ من عند ربه صدقٌ وحقٌ).

ومن المناسـب هنا أن نذكر أن الجملة كغيرها من التكاليف الشـرعية لا يجب علمهـا إلا بعد قيام الحجة بهـا، إلا أنها متى قامـت حجتها على المكلَّف فإنه يجب عليه اعتقادها، ويحرم عليه جهلها، ويضيق عليه الشـكُّ فيها، ولا يوسع له في ترك اعتقادها، ولا ينفس له في السؤال عنها، بل يجب عليه اعتقادها فورًا، فإن لم يفعل بعد قيام حجتهـا عليه كان بذلك كله كافرًا جاحدًا، وإن مات قبل التصديـق واعتقاد حق الجملة مـات هالكًا، والعياذ بالله[1]، أما باقي التكاليف الشـرعية غير الجملة فينفس في السؤال عنها بعد قيام الحجة بها.

---

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص ١١٤ (بتصرف).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما السبب الذي ميَّز الجملة عن باقي التكاليف الشرعية في أنها لا ينفس في السؤال عنها بل تجب على الفور على المكلَّف، في حين أننا قلنا أنها كغيرها لا يجب علمها إلا بعد قيام الحجة بها؟

فنقول: لا ينفس في السؤال عن الجملة بعد قيام الحجة بها كما ينفس في غيرها من التكاليف الشرعية الأخرى بعد قيام الحجة بها، بل يجب اعتقاد الجملة على الفور، ويحرم جهلها ولا ينفس في السؤال عنها، لأمور عدة في الجملة لا توجد في غيرها، منها:

١ ـ الجملة ليس لها كلُّ أحكام باقي التكاليف الشرعية وإن اتفقت معها في وجوب العلم بها بعد قيام الحجة بها لا قبل ذلك.

٢ ـ الجملة كلمة فيْصلية بين الإيمان والشرك.

٣ ـ الجملة حقٌّ بنفسها أي في حقيقتها الذاتية، ولا تحتاج لطلب التدليل على صحتها وحقيتها.

٤ ـ مضمون الجملة ومدلولاتها مما تقوم حجته بالعقل.

وألحق بعض العلماء تفسير الجملة الاعتقادي بحكمها في عدم التنفيس في السؤال عنه بعد قيام الحجة بالجملة، لتضمن ما تقوم حجته بمقتضيات العقول.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني
في ما يسع جهله بتقييد

وفيه ثلاثة أقسام

القسم الأول: ما يسع جهله قبل حضوره وروده.

قال الناظم:

٤٠ - وَأَمَّا الـذِي عَلَى التَّرَاخِـي فَأَوْجُهٌ ثَـلَاثٌ فَوَجْـهٌ لِلْـوُرُودِ الْمُلَقَّـنِ

قوله: (وَأَمَّا الذِي عَلَى التَّرَاخِـي فَأَوْجُهٌ ثَـلَاثٌ): أي أن النوع الثاني من الفروض الشرعية هو الفروض الموسعة المتراخية، وهي على ثلاثة أوجه، أي على ثلاثة أقسام، سنذكرها على التوالي مع ذكر أمثلة على كلٍّ قسمٍ منها.

فقوله: (فَوَجْهٌ لِلْـوُرُودِ الْمُلَقَّنِ): أي أول الأقسام من الفروض المتراخية والموسعة، هو الفرض واسع الجهل حتى وقت حضوره ووروده، أي يسع جهله للمكلَّف إلى وقت وروده في بال المكلَّف، أو ورود الدليل السمعي به وقيام الحجة به على المكلَّف.

مثال ذلك: اعتقاد أن اسم الخالق الذي خلقنا هو (الله)، وأن اسم رسوله المبعوث إلينا هو (محمد)، وأن اسم ثوابه في الآخرة لمن أطاعه (الجنة)، وأن اسم عقابه في الآخرة لمن عصاه (النار)، كلُّ ذلك يسع جهله ما لم يخطر بالبال أو لم تقم به الحجة السماعية النقلية على المكلَّف؛ لأن ذلك ليس مما تقوم حجته بمقتضيات العقول.

مع أن معرفة المكلَّف أن له خالقًا خلقه وموجدًا أوجده من العدم، وصانعًا صنعه وفاطرًا فطره، وأن خالقه عظيمٌ حكيمٌ بديعٌ سميعٌ بصيرٌ مهيمنٌ مريدٌ فعالٌ لما يريد، كل ذلك تقوم حجته على المرء المكلَّف بمقتضيات العقل، إلا أن العقل لا يستطيع أن يتوصل إلى اسم هذا الخالق إلا بالنقل والدليل السمعي.

القسم الثاني: ما يسع جهله قبل دخول وقته.

والقسم الثالث: ما يسع جهله للأبد ما لم يقصده بذاته.

قال الناظم:

٤١ - **وَوَجْهٌ إِلَى الأَوْقَاتِ فِي الْفَرْضِ لَازِمٌ ... وَوَجْهٌ عَلَى الآبَادِ مَا لَمْ يَكُنْ عُنِي**

قوله: (**وَوَجْهٌ إِلَى الأَوْقَاتِ فِي الْفَرْضِ لَازِمٌ**): أي والقسم الثاني من الفروض الموسعة المتراخية هي الفروض التي يسع جهلها ما لم يدخل وقت أدائها، مثل: الصلاة والزكاة والاغتسال من الجنابة، أو قبل دخول وقت أدائه بقليل، مثل: الصوم والحج، فهذه الفروض واسع جهلها ولا يجب العلم بها إلا بعد قيام الحجة بها على المكلَّف ويكون مطالبًا شرعًا بأدائها وقد دخل وقتها، فلا يسع جهلها بعد دخول وقتها، ويضيق وقت أدائها على المكلَّف، فإن ترك العلم بأدائها فهو آثم.

وقوله: (**وَوَجْهٌ عَلَى الآبَادِ مَا لَمْ يَكُنْ عُنِي**): أي والقسم الثالث من أقسام الفروض المتراخية الموسعة هي الفروض التي يسع جهلها وعدم العلم بها ما لم يقصدها الإنسان أو يُبتلى بها، كعلم الميراث وعلم جميع المحرمات على التفصيل عدا الشرك، وعلم جميع المباحات على التفصيل، فهي يسع جهلها ما لم يقع فيها الإنسان أو يُبتلى بها.

قال الناظم:

٤٢ - **إِذَا وَرَدَ التَّفْسِيرُ لَمْ تُغْنِ جُمْلَةٌ ... وَإِنْ حَانَتِ الأَوْقَاتُ فَاعْمَلْ وَلَا تَنِ**

قوله: (**إِذَا وَرَدَ التَّفْسِيرُ لَمْ تُغْنِ جُمْلَةٌ**): أي أنه إذا وَرَدَ تفسير الجملة الاعتقادي وتفسيرها العملي، لم تكن الجملة وحدها مجزية لنجاة هذا المكلَّف يوم القيامة، أما قبل ورود تفسيريها فالجملة وحدها كافية في دخول

المكلَّف الجنة، ومن هنا نقول أن لجملة التوحيد تفسيرين وهما: **التفسير الاعتقادي والتفسير العملي.**

أما التفسير الاعتقادي: هو الإيمان بصفات الله وأفعاله والنبيين والملائكة والكتب واليوم الآخر وبقضائه وقدره[1].

وأما التفسير العملي: هو الوفاء بالتكاليف الشرعية التطبيقية فعلًا وتركًا في حين وجوبها[2].

يقول سماحة الشيخ الخليلي في «**شرح غاية المراد**»: «... والدليل على كون ذلك تفسيرًا للجملة، أن الإتيان بهذه الجملة إنما هو عهدٌ وميثاقٌ بين العبد وربه بالالتزام التام بفعل أوامره وترك نواهيه، فإن العبد إذا شهد أن لا إله إلا الله، كانت شهادته ميثاقًا بينه وبين ربه سبحانه، لأن يلتزم طاعته؛ لأن معنى ذلك أنه لا معبود بحق إلا الله، والعبادة هي منتهى الطاعة وغاية الخضوع والانقياد، فإن أصرَّ بعد ذلك على معصيته وتجرأ على انتهاك حرماته كان ذلك نقضًا لهذا الميثاق، والدليل على هذا التفسير: ما جاء في حديث ابن عمر من قوله ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ: «فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام»، وقوله في الرواية الأخرى: «إلا بحقها» حيث أشار إلى أن لهذا الإسلام الذي يسلمه العبد بهذه الجملة حقًّا لا بدَّ له من الوفاء به»[3].

مراتب الناس في الوفاء بالإيمان:

من هنا نعرف أن الناس من حيث الوفاء بالإيمان على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: فئة يجب عليهم الاعتقاد بالجنان فقط: وهم من لم تبلغهم دعوة الرسل، ولم تقم عليهم الحجة السماعية على تفاصيل الإيمان والعمل،

(١) الخليلي، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، ص٣٠ (بتصرف).

(٢) الخليلي، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، ص٣٠.

(٣) الخليلي، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، ص٣١.

فهم مخاطبون بمقتضيات العقول، والاعتقاد أن لهم خالقًا خلقهم، وصانعًا صنعهم، وموجدًا أوجدهم من العدم، وأن خالقهم عليمٌ بكل شيء، وقديرٌ على كلِّ شيء، ومريدٌ غير مكرهٍ على شيء، وحكيمٌ يجعل الأمور في مواضعها، فإن ماتوا على ذلك ماتوا على التوحيد والوفاء.

المرتبة الثانية: فئة يجب عليهم الاعتقاد بالجنان والنطق باللسان، وهم من بلغتهم دعوة الرسل ولم تُشرع عليهم أعمالٌ بعد، وهم من كانوا في العهد النبوي الأول، فلم يطالبوا إلا بقول: **لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله**، فمن قالها فهو مؤمن، وإن مات عليها مات على الوفاء وكان من أهل الجنة والسعادة في الآخرة، وفي هؤلاء تصرف الأحاديث الواردة في قول «**لا إله إلا الله**» يدخل صاحبها الجنة، ويمثل هذه الفئة المؤمنون الذين كانوا في بداية العهد النبوي في مكة الذين ماتوا قبل أن تشرع التكاليف الشرعية العملية.

المرتبة الثالثة: فئة يجب عليهم الاعتقاد بالجنان والنطق باللسان وعمل بالأركان، وهم مَن بلغتهم دعوة الرسل ووجبت عليهم التشريعات العملية من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍ وزكاةٍ، وتركٍ للمحرمات بالتفصيل، وهؤلاء لا يكون وفاؤهم بدين الله تعالى إلا بأداء جميع الواجبات وترك جميع المحرمات والموت على ذلك، فهؤلاء لا ينسحب عليهم القول الذي يقال للفئة الثانية من مجرد النطق بجملة التوحيد؛ لأن أولئك لم تجب عليهم التكاليف الشرعية العملية، وهذه الفئة يمثلها من كان في عهد النبي ﷺ وقد نزلت التكاليف الشرعية العملية، وتنطبق علينا نحن الآن وعلى الناس أجمعين إلى آخر الزمان.

المرتبة الرابعة: فئة لا يجب عليهم اعتقاد بالجنان ولا نطق باللسان ولا عمل بالأركان، فإن ماتوا ماتوا على الوفاء بدين الله تعالى، وهم الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم والمجانين من بداية بلوغهم حتى موتهم.

وقوله: (وَإِنْ حَانَتِ الأَوْقَاتُ فَاعْمَلْ وَلَا تَنِ): أي كما أن الجملة لا تغني وحدها بعد وورد تفسيريها العملي والاعتقادي، فلا بدَّ من الوفاء بهما حتى يكون الإنسان موفيًا بمتطلبات الجملة والميثاق الذي واثقه الله به، كذلك إن حان وقت عبادة من العبادات فلا يجوز التواني والتراخي في أدائها حتى يخرج وقتها المؤقت لها شرعًا، بل إن حان وقت العبادة فليس إلا العمل والأداء قبل خروج الوقت، ولهذا قال الناظم: (فَاعْمَلْ وَلَا تَنِ) أي فاعمل ولا تتوانَ.

قال الناظم:

٤٣- وَإِنْ وَقَعَتْ بَلْوَى الْحَرَامِ فَلَمْ يَسَعْ مُقَارَفَةَ الْمَحْظُورِ صَرِّحْ وَلَا تَكْنِ

قوله: (وَإِنْ وَقَعَتْ بَلْوَى الْحَرَامِ): أي أن المكلَّف يسعه جهل المحرمات جميعها ما لم يقدم عليها بارتكاب، فإن ابتليَ بارتكاب الحرام ضاقَ عليه جهله به، أي إن وقعت له بلوى الوقوع في الحرام، وابتلي به فهنا لا يسعه جهل حكمه في دين الله تعالى.

وقوله: (فَلَمْ يَسَعْ مُقَارَفَةَ الْمَحْظُورِ): أي أنه بعد ابتلاء المكلَّف بالحرام فلا يسعه أن يقارف المحظور (الحرام) بسبب عدم علمه له بكونه حرامًا، فلا عذر له هنا في مقارفته بل كان عليه أن يسأل عن حكم الله تعالى فيه قبل اقترافه وارتكابه، ما دام في دينونته أن في دين الله تعالى حلالًا وحرامًا.

وقوله: (صَرِّحْ وَلَا تَكْنِ): أي صرح (من التصريح) بحكم عدم سعة جهل الحرام لمن أراد أن يقدم عليه ولا تكنِ (من الكناية) وهي الإشارة وعدم التصريح، فمن أراد أن يُقدم على الحرام فإنه يضيق عليه جهل ذلك، ولا عذر له بالجهل.

ومن هنا يمكن أن يقال إن الأمور ثلاثة: أمر بان لك رشده فاتبعه، وأمر بان لك غيه فاجتنبه، وأمرٌ أشكل عليك فقف عنه؛ ولا يجوز لك القدوم عليه حتى يتضح لك حقه[١].

والأمر الذي أشكل عليه ولم يعلم حقَّه من باطله، إما أن يكون باطلًا في أصل دين الله أو يكون حقًّا، والشكل الهندسي الآتي يوضح مقصود هذا التفصيل.

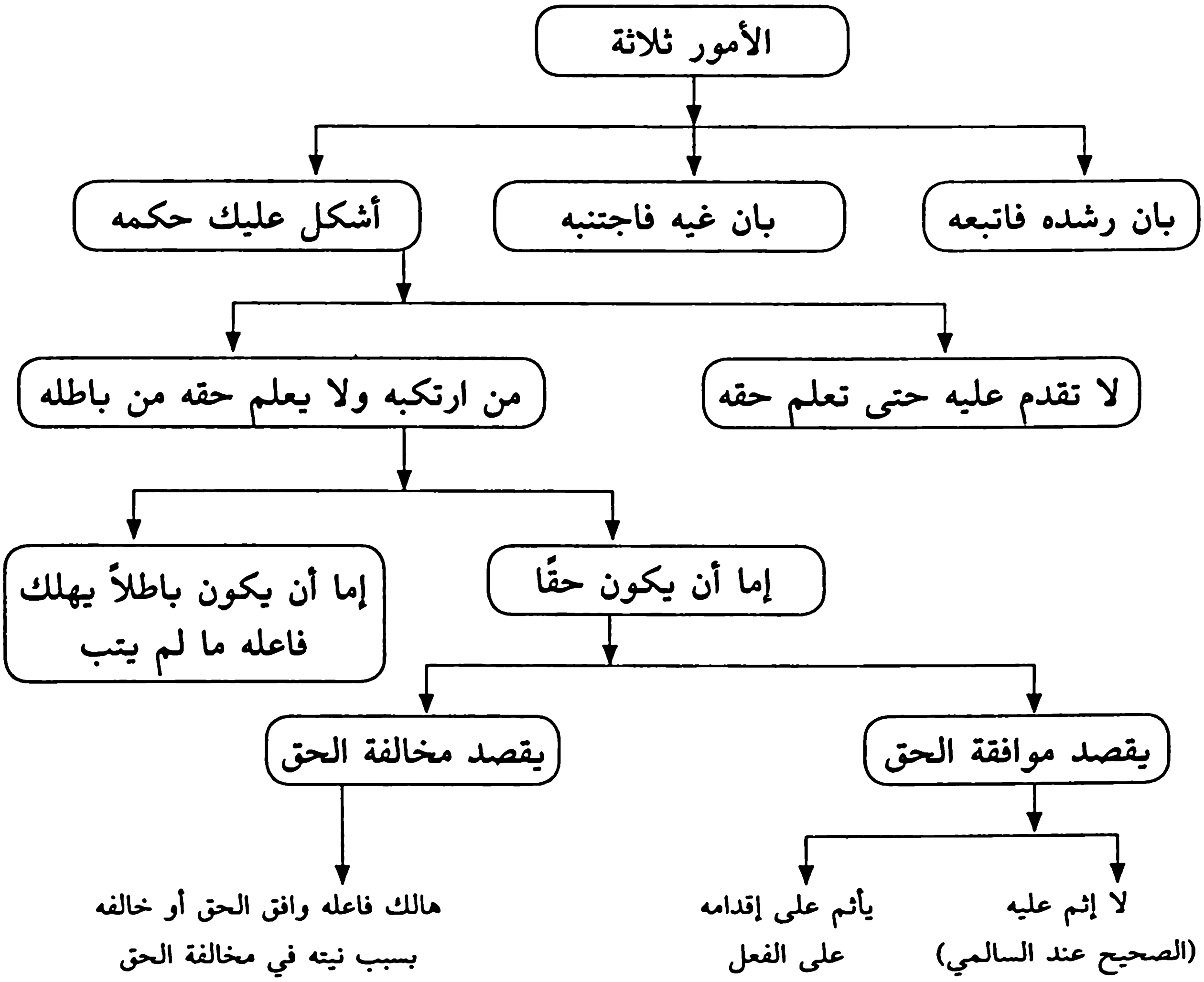

❁ ❁ ❁

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص١٠٦.

الباب السادس

في ذكر ما يجب على المكلَّف علمه من أحكام مقترفي الحرام

قال الناظم:

٤٤- وَمَا لَمْ يَسَـعْ مِـنَ الْحَـرَامِ ثَلَاثَةٌ مُحِلٌّ، مُصِرٌّ، رَاجعُ الْعِلْمِ ذُو الأَفْنِ

قوله: (وَمَا لَمْ يَسَـعْ مِنَ الْحَرَامِ ثَلَاثَةٌ): مما يجب على المكلَّف علمه ولا يسعه جهله أحوالُ وأحكامُ مقترفي الحرام، (والْحَرَامُ): هو ما طلب الشارع تركه طلبًا جازمًا، ومقترفو الحرام ثلاثة ذكرهم الناظم في شطر هذا البيت الثاني.

فقوله: (مُحِلٌّ، مُصِرٌّ، رَاجعُ الْعِلْـمِ ذُو الأَفْنِ): أي أن مقترفي الحرام ثلاثة وهم: (المحلُّ، والمصرُّ، والراجعُ بعد العلم إلـى الجهل)، و(ذُو الأَفْنِ): هو نعتٌ للثلاثة؛ أي كل واحدٍ مـن هؤلاء الثلاثة مأفون بمـا اقترفه من الحرام، و(الأفنُ): النتن ذو الرائحة القبيحة الكريهة التي لا تطاق، وذلك بما تلبسوا به من ملازمة الذنب والإقامة عليه.

أما المحلُّ: فهو المسـتحل لما حـرم الله تعالى؛ أي يقـول بحلِّ ارتكابه وإتيانه، فهو يفعل الحرام ويراه حلالًا له.

وأما المصرُّ: هنا هو المنتهك؛ أي المحرِّم، الذي يقول بحرم هذا الفعل ويرتكبه، فهو ينتهك الحرمات مع علمه بحرمتها عليه، فهو مضيِّع لفرائض

الله تعالى، بترك ما يجب فعله، وفعل ما يجب تركه، مع الإقامة والإصرار على الفعل.

والإصرار: هو الإقامة على الذنب، وفعله استخفافًا به[(١)].

وأما الراجعُ بعد العلم: أي الراجع بعد العلم إلى الجهل، أو غير العامل بعلمه، كما جاء الوعيد في ذلك عن رسول الله ﷺ حيث يقول: «ويل لمن لم يعلم مرة وويل لمن يعلم ولم يعمل مرتين»[(٢)].

فهؤلاء الثلاثة المقترفون للحرام بعد قيام الحجة عليهم لا يجوز للمكلّف جهل أحكامهم، بل يجب عليه العلم بعصيانهم وضلالهم والبراءة منهم إن لم يتوبوا.

قال الناظم:

٤٥ - فَهَذَا اقْتِرَافٌ مِنَ أُولَئِـكَ فَاعْلَمُوا وَعَضُّوا عَلَى الأَدْيَانِ مِنْكُمْ بِأَمْتَنِ

قوله: (فَهَذَا اقْتِرَافٌ مِنَ أُولَئِكَ فَاعْلَمُوا): أي أن ما اقترفه أولئك المذكورون سابقًا من استحلال الحرام الذي حرمه الله تعالى، والإصرار والإقامة عليه بعد العلم بحرمته، ومن الرجوع بعد العلم إلى الجهل المقيت، وارتكاب ما حرم الله بجهل بعد علمه، فكلُّ هذه الأعمال الصادرة من أولئك المقترفين يجب على المكلَّفين العلم بها والعمل بما يوجبه العلم بأحوالهم من أحكام كالبراءة منهم والعداوة القلبية لهم.

وقوله: (وَعَضُّوا عَلَى الأَدْيَانِ مِنْكُمْ بِأَمْتَنِ): (العَضُّ): هو الإمساك بالفكين والأسنان، وهو كناية عن شدة التمسك بالشيء.

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص١٠٣ (بتصرف).

(٢) مسند الربيع بن حبيب، باب: في طلب العلم لغير الله ﷻ وعلماء السوء، رقم الحديث: ٣٢.

فقد أراد الناظم أمر المكلَّفين بالتمسك والاستمساك بأصول الدين ومبادئه ومسائله وأحكامه، وشبَّه الأمر بشدة الاستمساك على أحكام الدين بالعضِّ عليها بالأسنان والنواجذ حتى لا تتفلت من المرء فيصبح بلا دين ولا استقامة، قال الله تعالى آمرًا بالاستمساك بعروة الدين الوثقى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقوله: (بِأَمْتَنِ): جمع متن، من المتانة والقوة، أي عُضُّوا واستمسكوا بأحكام دينكم بنواجذكم القوية وأسنانكم المتينة، ولا تتساهلوا وتهملوا أحكام ديانتكم، بل حافظوا عليها وتمسكوا بها بالعلم والتطبيق.

❁ ❁ ❁

الباب السابع

في ذكر الضلالة والهدى وأنواعهما والتوفيق والعون والخذلان

قال الناظم:

٤٦ - فَيَا سَــائِلًا عَنِ الضَّلَالَــةِ وَالْهُدَى   سَأَلْتَ عَنِ الْبَحْرِ الْخِضَمِّ الْمُجَنْجَنِ

قوله: (فَيَا سَائِلًا عَنِ الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى): أي يا من تسألني وتستفهم مني عن حقيقة الضلالة والهدايــة، (الضَّلَالَةُ): هي خذلان الله تعالــى للكفار والعصاة بفعلهم الكفر والمعاصي وعدم توفيقهم إلــى الإيمان والطاعات، فيؤدي بهم إلى الانحراف عن الطريق الســوي بارتــكاب موجبات الكفــر والمعاصي، (وَالْهِدَايةُ): هي توفيق الله تعالى للمؤمنين المتقين إلى الإيمان وفعل الطاعات، بإيجاد ذلك في قلوبهم وإرشــادهم لاكتســابه، وذلك يؤدي بهم إلى سلوك الطريق الســوي والمنهج القويم والصراط المســتقيم بفعل موجبات الإيمان والطاعــات، فالهداية والضلالة بيــد الله تعالى؛ فهو الهــادي والمضل، وهما اكتســابٌ اختياري من العباد، وكلٌّ لما خلق له وقُدِّر له، وجواب الناظم هذا افتراضي، أي يفترض أن لو ســائلٌ ســأل عن الضلالة والكفر، وعن الهداية والإيمان، فلا شكَّ أنه سأل عن أمرٍ عظيمٍ يندرج تحته كليات وجزئيات عديدة، لهذا شبَّهَ الناظم السؤال عن هذا الأمر بالسؤال عن البحر الطامي الخضم كما في الشطر الآتي.

وقوله: (سَــأَلْتَ عَنِ الْبَحْرِ الْخِضَمِّ الْمُجَنْجَنِ): أي يا أيها السائل عن الضلالة والكفر وعن الهداية والإيمان لا تحسبنْ أنك سألتَ عن هيِّنٍ من

الأمور، بل سألت عن عظيمٍ من الأمور، فهو في سعته كالبحر الخضم أي العظيم، المتلاطم الأمواج، واسع الأرجاء، شديد العمق، بعيد القعر، فالضلالة والهداية أو الكفر والإيمان تنضوي تحت كلِّ واحدٍ منهما كليات وجزئيات يطول شرحها بالتفصيل، قوله: (الْمُجَنْجَنِ): صفة للبحر ويُراد بها الواسع العميق الخضم الطامي، الذي لا يرام جنابه أبدًا من عظمه وسعته وعمقه.

قال الناظم:

٤٧ - سَأُنْبِئُ عَنْ بَعْضِ التَّصَارِيفِ فِيهِمَا ... لِمَنْ يَفْهَمُ الْمَعْنَىٰ وَإِيَّاهُمُ أَعْنِ

قوله: (سَأُنْبِئُ عَنْ بَعْضِ التَّصَارِيفِ فِيهِمَا): أي سأخبرك وسأبيِّن لك بعض الفروع والأمور في الضلالة والهداية، بما يجعل أمرهما معلومًا واضحًا لدى من يفهم مقالي من المكلَّفين، حتى يكون الجميع على بينةٍ من أمرهم في أمر دينهم، ولا عذر لأحدٍ بعد قيام الحجة عليه بتعبير المعبِّر له ما يلزمه فعله من أمور الهداية والهدى، وما يلزمه تركه من أمور الضلالة والغواية.

وقوله: (لِمَنْ يَفْهَمُ الْمَعْنَىٰ وَإِيَّاهُمُ أَعْنِ): وهذا التعبير الذي يعبر به الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أمور الضلالة والهداية يعني به لمن يَعي ويفهم معاني هذه الأمور فإياهم يعني لا غيرهم، وذلك لأن إلقاء العلم لمن لا يستحق لا يجوز، كما أن من البلية تفهيم من لا يفهم كما يقول الشاعر:

ومن البلية عذل مَن لا يرعوي ... عن غيه وخطابُ مَن لا يفهم[1]

---

(١) البيت للمتنبي وهو من قصيدة يهجو بها إسحاق بن إبراهيم الأعور ابن كيغَلَغ، وهي في «ديوانه» ١٢١/٤ - ١٣٢ بشرح أبي البقاء العكبري، ومطلعها:

لِهَوى النفوس سريرةٌ لا تُعلَمُ ... عَرَضًا نَظَرتُ وخِلتُ أني أسلمُ

ويقول الآخر:

وإن عناءً أن تفهِّم جاهلًا فيحسب جهلًا أنه منك أفهمُ[1]

لهذا كان الناظم حريصًا على هذه اللفتة المهمة فقد ورد الوعيد الشديد في ذلك عن رسول الله ﷺ في روايات متعددة يشدُّ بعضها بعضًا.

قال الناظم:

٤٨ - فَشُغْلُهُمُ بِالْكُفْرِ مَانِعُهُمْ هُدًى وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا جَمْعَ شَيْئَيْنِ ضِدَّيْنِ

قوله: (فَشُغْلُهُمُ بِالْكُفْرِ مَانِعُهُمْ هُدًى): وبعد أن وَعَدَ الناظم المكلَّفين الذين يفهمون الخطاب وقيام الحجة عليهم في معرفة أمور الضلالة والهداية، بأن يخبرهم وينبئهم بأمور الضلالة والهداية ليكونوا على بينةٍ وعلمٍ في أمورهما، بدأ بذكر أول الأمور المانع من الهداية وهو اشتغال المكلَّف بالكفر بقسميه، فكفر الجحود مانع من الهداية لأنه شرك والشرك ضلالة وظلم، وكفر النعمة المتمثل في ارتكاب المعاصي والكبائر القولية والعملية والعقدية من الموحدين، والإصرار عليها منهم مانع من الهداية والاستقامة.

وقوله: (وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا جَمْعَ شَيْئَيْنِ ضِدَّيْنِ): أي من وقع في الكفر ولم يتب منه فلا يمكن أن يجمع بين الكفر والضلالة والوفاء والهداية، فالإيمان الحقيقي والفجور لا يجتمعان في قلب امرئٍ واحدٍ، ولا يستطيع أي أحد أن يجمع هذين الضدين في قلبه، قال الله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤]، وهذا القلب الذي في جوف المرء لا يمكن أن يجتمع فيه ضدان متنافران أبدًا.

---

(١) انظر/ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج١ ص٤٤٧.

قال الناظم:

٤٩ - أَضَلُّوا بِإِحْـدَاثِ الضَّلَالَـةِ مِنْهُمُ وَضَلُّوا بِأَفْعَالِ التَحَرُّكِ وَالسَّـكْنِ

قوله: (أَضَلُّوا بِإِحْـدَاثِ الضَّلَالَةِ مِنْهُـمُ): أي أن المنحرفين عن الهداية إلى الضلالة بفعلهم الكفر وارتكابهم المعاصي وإصرارهم عليها، لم يكتفوا بضلالهم وحدهم بل أضلوا غيرهم بإحداث الضلالـة وفعل المعاصي، ولهذا كان التعبير القرآني دقيقًا في وصف أمثال هؤلاء بوصف: ﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، وذلك لأن الفساد لم يكن في أنفسهم وعلى مستواهم فقط، بل يَتعدَّاهم إلى غيرهم، فهم فاسدون في أنفسهم ومفسـدون لغيرهم، بإفسـادهم في الأرض، قال الله تعالى محذِّرًا من الفساد في الأرض: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وقوله: (وَضَلُّوا بِأَفْعَـالِ التَحَرُّكِ وَالسَّـكْنِ): أي أن ضلالهم كان بفعلهم المعاصي الظاهرة والعمليـة والمعاصي الباطنة الاعتقاديـة، فالتعبير (بِأَفْعَالِ التَحَرُّكِ وَالسَّكْنِ): كناية عن المعاصي العملية والمعاصي الاعتقادية الخفية، أو أن ضلالهم في كل حركاتهم وسكناتهم التي يفعلونها مخالفة لشرع الله تعالى، فهم ضالون في حركاتهم وسكناتهم.

قال الناظم:

٥٠ - أَضَلَّهُـمُ الشَّـيْطَانُ يَعْنَـي دُعَاهُمُ وَوَسْـوَسَ فِي اسْـتِدْعَائِهِ بِالتَزَيُّنِ

قوله: (أَضَلَّهُمُ الشَّـيْطَانُ يَعْنَي دُعَاهُمُ): أي أغواهم الشيطان الرجيم فزيَّن لهم سوء أعمالهم فتمادوا فيها، وأصروا عليها مسـتكبرين، فكان السبب في وقوعهم في الضلالة باتباعهم خطواته ووسوساته، (الشَّيْطَانُ): هو إبليس اللعين وأتباعه، فكلُّهم شـياطين، وأصل هذه الإضلال التي يضللهـم به إنما يكون بدعائه إياهم وتحبيبه الكفر والعصيان لهم، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وقوله: (وَوَسْوَسَ فِي اسْتِدْعَائِهِ بِالتَّزَيُّنِ): هنا يذكر الناظم الطريقة التي يستعملها الشيطان في دعوة المكلَّفين إلى الضلالة والوقوع فيها؛ إذ لا سلطة له على الناس إلا بمجرد الوسوسة والتزيين والوعود الكاذبة والنصيحة المهلكة، وقد أخبرنا الله تعالى عن هذه الأساليب، حيث يقول في الوسوسة: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٤-٦]، وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٠]، ويقول عن طريقة التزيين: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ويقول: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ويقول عن طريقة الوعود الكاذبة: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ويقول: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٠٢]، ويقول عن طريقة النصيحة المهلكة: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

والشيطان بعد ذلك يتخلى عن وعوده ويعترف أنه لا يملك لهم شيئًا، يخبرنا الله تعالى عن قول الشيطان لأتباعه: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ويخبرنا الله تعالى عن الخطبة التي يخطبها الشيطان لأتباعه ويلقي عليهم الملامة: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

قال الناظم:

٥١ - وَلَنْ يَقْدِرَ الْمَدْحُورُ إِلَّا عَلَى الذِي ذَكَرْتُ مِنَ الإِغْرَاءِ بِالشَّيْنِ وَالزَّيْنِ

قوله: (وَلَنْ يَقْدِرَ الْمَدْحُورُ إِلَّا عَلَى الذِي): (الْمَدْحُورُ): هو الشيطان قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الأعراف: ١٨]، أي أن الشيطان الرجيم لا يستطيع في دعوته للمكلَّفين إلى الضلالة وإيقاعهم في حبائله وشراكه سوى مجرد هذه الطرق التي ذكرناها سابقًا وسيذكرها الناظم في الشطر الثاني.

فيقول: (ذَكَرْتُ مِنَ الإِغْرَاءِ بِالشَّيْنِ وَالزَّيْنِ): أي الطرق التي يتبعها الشيطان في إضلال المكلَّفين هي المذكورة آنفًا، ولا يستطيع غيرها، وهي الدعوة الكاذبة والإغراء المزيف وتزيين سوء العمل للعامل، وإلا فإنه ليس للشيطان على الناس سلطة ولا قهر علينا غير الوسوسة والإغراء ولهذا سمي (الغَرور) بفتح الغين؛ لأنه يغرر بهم فقط.

قال الناظم:

٥٢ - فلَوْ كَانَ مَأْذُونًا لَهُ فِي اقْتِهَارِنَا إِذًا قَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ

قوله: (فلَوْ كَانَ مَأْذُونًا لَهُ فِي اقْتِهَارِنَا): أي لو كان للشيطان إذنٌ من الله تعالى في أن يقهرنا ويغلبنا ويجبرنا على فعل ما لا يجوز فعله، ولو كان الشيطان مستوليًا علينا ومسيطرًا على كل تصرفاتنا واختياراتنا لهلكنا، ولقلَّ الناجون من عذاب الله تعالى.

وقوله: (إِذًا قَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ): أي أن لو كان الأمر تحت إرادة الشيطان وسيطرته وقهره لما نجا أحد من نار جهنم من الإنس والجن، كما يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨]، ولكن الحمد لله ليس للشيطان أدنى سيطرة على الإنسان، فمن يتبعه من الناس فهو بمحض اختيارهم لا بجبر من الشيطان ولا غلبة، كما

قال الله تعالـــى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَـاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢]، والحمد لله رب العالمين.

قال الناظم:

٥٣ـ بِحَمْـدِ إِلَهِـي لَيْسَ هُـوَ بِمَالِكٍ لِخَنْقٍ وَلَا شَـنْقٍ بِقَسْـرِ التَّسَلْطُنِ

قوله: (بِحَمْدِ إِلَهِي لَيْسَ هُوَ بِمَالِـكٍ): أي الحمد لله إلهنا ومولانا على أن ليس للشيطان سـلطان علينا ولا هو مالك لأمرنا وإرادتنا واختيارنا وقراراتنا، ولا يملك لنا نفعًا ولا ضرًا، وإنما غاية ما يفعله الوسوسة والإغراء والتزيين، ومع ذلك ليس هذا بالذي يستهان به، بل هو عظيمٌ وخطيرٌ.

وقوله: (لِخَنْقٍ وَلَا شَنْقٍ بِقَسْرِ التَّسَـلْطُنِ): أي ليس للشيطان ملكٌ علينا في خنقنا إن لم نستجب له في إغراءاته ووساوسـه، وليس يملك شنقنا أيضًا إن لم نستجب له، وليس له تسلط وقسر علينا؛ إذ إن الإنسان مختارٌ لقراراته غير مجبور عليها، وهو مسؤولٌ مسؤولية تامّة عن تصرفاته، متحملًا تبعات قراراته واختياره، والله تعالى حذّرنا من الشيطان في غير ما آية من القرآن، وبيّن أنه لنا عدوٌ مبين.

وبعدما بيّن الناظم في الأبيات السابقة من هذا الباب أسباب الضلالة حيث جملها في ثلاثة وهي: الاشـتغال بالكفر والعصيان، وإضلالهم الخلق بفعلهم وقولهم، وإضلال الشـيطان الرجيم لهم في الوقوع في أسباب الضلالة بتزينها لهم بالوسوسة والإغراء، وبعدما بيّن ذلك شَرَعَ في بيان أسباب الهداية وأنواعها.

فقال الناظم:

٥٤ـ وَأَمَّـا الْهُدَى هَدْيُ بَيَـانٍ وَعِصْمَةٍ هُـدَى عِصْمَـةٍ لِلْمُؤْمِـنِ الْمُتَيَقِّنِ

قوله: (وَأَمَّا الْهُدَى هَدْيُ بَيَانٍ وَعِصْمَةٍ): أي أما الهدى أي الهداية، أي يا مَن تسألني عن الهداية والهدى، فهي نوعان: هداية بيانٍ، وهداية عصمةٍ.

أما هداية البيان: فهي هداية الإيضاح والإظهار للحق، فيوفق هذا المرء إلى أن يتضح له الحق فيتبعه، ويتبيَّن له الهدى فيقتفيه، وينير له الطريق فيسلكه، وهذه الهداية تكون لكل النـــاس جميعهم، كما في قولـــه تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧]، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠]، وقوله: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣]، فهذه الهدايـــة هداية بيان وتوضيح وإظهار الحق، فالكل تتضح لهم الطرق وتظهر لهم الهداية، ويتبين له الحق، ولكن ليس الكل يهتدي ويسترشد بذلك، بل السالكون المهتدون قليل.

أما هداية العصمة: وهي بمعنى المنع والحفظ من الوقوع في المعصية(١)، وهذه الهداية خاصة وليس عامة، فهي لمن اتقى الله تعالى وأخلص توحيده لله تعالى، فهي خاصة للمؤمنيـــن الصادقين؛ وذلك لأن العصمة وهي الحفظ من الوقوع في المعاصي أو الإصرار عليها، والفضل والرحمة والمنن في الإسلام لا تكون إلا للمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النـــور: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النســـاء: ٨٣]، فهذه الهداية هداية خاصة للمؤمنين الصادقين، وهي حفظهـــم من الوقوع في المعاصي أو الإصرار عليها.

وقوله: (هُدَى عِصْمَةٍ لِلْمُؤْمِنِ الْمُتَيَقِّنِ): أي أن هداية العصمة وهي الحفظ من الوقوع في المعاصي أو الإصرار عليها، إنما هي للمؤمن الذي يكون على يقينٍ راســـخٍ في توحيده ربّه تبارك وتعالى، المصدِّق برسالة النبي محمدٍ ﷺ وحقيقة ما جاء به من عند ربه، الموفي بدين الله تعالى كلِّه.

---

(١) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

قال الناظم:

٥٥- وَأَمَّا هُدَاهُ لِلْبَيَانِ كَقَوْلِهِ ثَمُودُ هَدَيْنَاهُمْ، فَسِيقُوا إِلَى الْحَيْنِ

قوله: (وَأَمَّا هُدَاهُ لِلْبَيَانِ كَقَوْلِهِ ثَمُودُ هَدَيْنَاهُمْ): يضرب الناظم رحمه الله مثالًا على هداية البيان التي ذكرنا أنها هداية توضيح وإظهار وبيان للحق وهي لكل الناس، يضرب الناظم مثالًا في ثمود قوم النبي صالح عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧]، فهذا مثال على هداية البيان.

وقوله: (فَسِيقُوا إِلَى الْحَيْنِ): أي قادهم ضلالهم وانحرافهم وعماهم عن هذه الهداية وأعلامها الخفاقة إلى الهلاك والعذاب، (الْحَيْنِ): هو الموت، فأصابهم الهلاك وهو موت الشقي على شقاه، فأذهب بهم اختيارهم العمى على الهدى إلى الهلاك والشقاء في الدنيا والآخرة.

قال الناظم:

٥٦- بِإِيمَانِهِمْ يَهْدِيهِمُ اللهُ لِلْهُدَى وَبِالنَّقْضِ لِلْمِيثَاقِ ضَلَّ ذَوُو الْخَوْنِ

قوله: (بِإِيمَانِهِمْ يَهْدِيهِمُ اللهُ لِلْهُدَى): أي أن إيمان المؤمنين بالله تعالى الحق، والإيمان بما جاء به النبي محمد ﷺ والامتثال لكل الأوامر والنواهي، بهذا الإيمان والإقبال يهديهم الله تعالى لباقي الهدى والرشاد، ويحفظهم من الوقوع في المعاصي أو من الإصرار عليها إن وقعوا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [يونس: ٩].

وقوله: (وَبِالنَّقْضِ لِلْمِيثَاقِ ضَلَّ ذَوُو الْخَوْنِ): أي أن بنقض المكلفين للميثاق الغليظ الذي أخذه الله عليهم استحقوا الضلالة بهذه الخيانة، وكما

أن الهداية بالإيمان الصادق، فالضلالة تكون بنقض الميثاق ونكثه بعد إبرامه مع الله تعالى، فيستحق فاعله الضلالة والخسارة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

قال الناظم:

٥٧- فَكَسْبُهُمُ للرُّشْدِ شَاغِلُ قَصْدِهِمْ إِلَى الْغَيِّ، هَذَا وَاضِحُ بِالتَّعَنْوُنِ

قوله: (فَكَسْبُهُمُ للرُّشْدِ شَاغِلُ قَصْدِهِمْ إِلَى الْغَيِّ): أي أن اشتغال المؤمنين الصادقين باكتساب معالي الأمور وفضائل الخصال وغاية الرشد وسبل الهداية شغلهم عن قصد الكفر والطغيان والبغي والغي وكلّ قبيح من الأمور، فحبب الله تعالى إليهم الإيمان وزيّنه في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وقوله: (هَذَا وَاضِحُ بِالتَّعَنْوُنِ): أي أن اشتغال المؤمنين باكتساب معالي الأمور وغاية الرشد وسبل الهداية شغلهم عن قصد الكفر والعصيان هذا شيء واضح بالعلامات الدالة عليه في السلوك والمظهر والمخبر، ووضوح ذلك له دلائله كالعنوان عليه، وهي حالهم المرضية لموافقتها شرع خير البرية عليه أفضل الصلاة والتحية في البكرة والعشية[1].

(١) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

قال الناظم:

٥٨ - سَأَلْتَ عَنِ التَّوْفِيقِ وَالْعَوْنِ، مَا هُمَا   تَفَهَّمْ صَرِيحَ الْحَقِّ، لَا تَرْضَ بِالْغَبْنِ

قوله: (سَأَلْتَ عَنِ التَّوْفِيقِ وَالْعَوْنِ، مَا هُمَا): أي يا مَن سألتَ عن معنى التوفيق والعون وحقيقتهما؟؛ إذ نسمع عن توفيق الله تعالى وعونه لعباده المؤمنين، فما حقيقة هذا التوفيق وهذا العون؟.

وقوله: (تَفَهَّمْ صَرِيحَ الْحَقِّ، لَا تَرْضَ بِالْغَبْنِ): أي قبل أن يأتيك الجواب مفصلًا عما سألتَ عنه من حقيقة التوفيق والعون الإلهي للعباد، آمرك أولًا أن تقتفي صحيح الحق الصريح الواضح الجلي الذي تدل عليه الأدلة، ولا تتبع الحكم المستور فتغبن فيه، ويهضم حقك في الحصول على الحق الذي تسأل عنه، بل يقع المرء في الضلال إن لم يتبع الحق المبين: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

قال الناظم:

٥٩ - هُمَا لِلْمُطِيعِينَ الْبَدَاءَةُ مِنْهُمُ   كَمَا أَنَّ تَرْكَ الْعَوْنِ خِذْلَانُ مُفْتِنِ

قوله: (هُمَا لِلْمُطِيعِينَ الْبَدَاءَةُ مِنْهُمُ): أي أن التوفيق والعون من الله ﷻ لعباده الموفين بدينه والمخبتين له تعالى إنما هي لهم على سبيل الاستحقاق بسبب طاعتهم وامتثالهم لأوامره تعالى واجتناب نواهيه، لهذا قال: (الْبَدَاءَةُ مِنْهُمُ): أي أن ابتداؤهم بطاعة ربهم ﷻ استحقوا خلق حب الطاعة في قلوبهم وكره المعصية وهذا هو التوفيق والإعانة.

فالتوفيق والعون على الطاعة: هو خلق الله حبَّ الطاعة واجتناب المعصية في قلوب المؤمنين الطائعين، وإعانتهم على ترك المعاصي والصبر عنها: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وقوله: (كَمَا أَنَّ تَرْكَ الْعَوْنِ خِذْلَانٌ مُفْتِـنِ): أي كما أن التوفيق والعون هما خلقان مـن الله تعالى في قلـوب المطيعين بحب الطاعـة واجتناب المعصية كما ذكرنا، كذلك ترك هذا العون هـو الخذلان المفتن لصاحبه، و(الخذلان): عدم العصمة من الذنب ومن عـدم الإصرار عليه بعد الوقوع فيه، فعدم خلـق التوفيق والعون في قلب المولـع بالمعاصي هو الخذلان بعينه. وكلٌّ من التوفيق والعون للطائعيـن والخذلان للعاصين إنما هو في علم الله الأزلي.

قال الناظم:

٦٠- فَلَا يُسْأَلُ الرَّحْمَانُ عَنْ عِلْمِهِ بِهِمْ وَهُمْ يُسْأَلُونَ الْحَقَّ فِي كُلِّ مَوْطِنِ

قوله: (فَلَا يُسْأَلُ الرَّحْمَانُ عَنْ عِلْمِهِ بِهِمْ): أي أن التوفيق والعون للطائعين والخذلان للعاصين هما في علم الله تعالى، ولكنهما كسبان من العباد لا بجبر منه جلّ وعلا، وكونهما في علم الله الأزلي من قبل خلق الخلق لا ينافس حرية الاكتساب والاختيار، فالله تعالى لا يسأل عن علمه الأزلي بهم أي بالطائعين والعاصين واكتسـابهما الخير والشـر، قال تعالـى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وقوله: (وَهُمْ يُسْـأَلُونَ الْحَقَّ فِي كُلِّ مَوْطِنِ): أي أن العباد المكتسـبين الخير والشر مسؤولون عن هذا الاكتساب والاختيار، وليسوا مسؤولين عما يوجد في علم الله تعالى الأزلي، فعلم الله شيء ليس له تأثير على اختيارهم الخير والشر، فهم مسؤولون عن ذلك لاختيارهم واكتسابهم له، ولله درُّ الإمام السالمي حينما قال:

والخيـر والشـر مـن الحميـد خلـقٌ وفعـلان مـن العبيـد[1]

---

(١) السالمي، جوهر النظام، ج١ ص١٤.

قال الناظم:

٦١ - فَمَا نَفَعَ الْعِلْمُ الْقَدِيمُ لِعُذْرِهِمْ وَمَا ضَرَّهُمْ وَالْحُكْمُ للهِ ذِي الإِذْنِ

قوله: (فَمَا نَفَعَ الْعِلْمُ الْقَدِيمُ لِعُذْرِهِمْ): أي أن علم الله تعالى بطاعة المطيعين وعصيان العاصين ليس له تأثير على اختيارهم واكتسابهم حتى يعتذروا بذلك، فلا يعتذر العصاة بأن تلك المعاصي مكتوبة عليهم في العلم الأزلي، بل يحاسبون على اكتسابهم واختيارهم المعصية لا على علم الله تعالى لذلك.

وقوله: (وَمَا ضَرَّهُمْ وَالْحُكْمُ للهِ ذِي الإِذْنِ): أي أن علم الله تعالى في الأزل بمعصيتهم وما هم صائرون إليه من المصير الأخروي لا ينفعهم في العذر، ولا يضرهم من حيث التأثير على الاكتساب والاختيار، بل اكتسابهم واختيارهم المعصية بمحض إرادتهم ولا تأثير لعلم الله الأزلي على اختيارهم ورغبتهم في المعصية.

قال الناظم:

٦٢ - أَحَبَّ عبادًا لَمْ تَضِرْهُمْ ذُنُوبُهُمْ وَأَبْغَضَ قَوْمًا عِنْدَنَا هُمْ ذُوو حُسْنِ

قوله: (أَحَبَّ عبادًا لَمْ تَضِرْهُمْ ذُنُوبُهُمْ): أي أن الله تعالى أثاب عبادًا من عباده المسرفين على أنفسهم، ومن هم في عِداد العصاة أمام خلقه، إلا أنهم في علم الله تعالى من الناجين بما يؤول إليه حالهم من التوبة النصوح والوفاء بدين ربهم، بعد أن كانوا مغمورين بالمعصية، فلم تضرهم المعاصي التي كانوا قبل يقترفونها التوبة النصوح؛ إذ التائب من الذنب كمن لا ذنب له كما جاء ذلك عن رسول الله ﷺ في بعض الروايات الحسنة.

وفي هذا الملحظ تنبيهٌ لنا في عدم القطع بهلاك من ظهرتْ منه المعصية بأنه من أهل النار لا محالة، بل نكلُ الغيب لصاحب الغيب ﷻ، فقد يكون في علم الله من أهل الجنة وذلك بأن يتوبوا عما كان منهم من المعاصي.

وقوله: (وَأَبْغَضَ قَوْمًا عِنْدَنَا هُمْ ذُوو حُسْنِ): أي أن الله تعالى عاقب عبادًا من عباده هم في عِداد الصالحين الطائعين والمحسنين عند خلقه، إلا أنهم في علم الله تعالى من الهالكين يوم القيامة، وذلك لما يؤول إليه حالهم قبل موتهم من فعل المعاصي والموت عليها بغير توبة، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ حيث يقول: «فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها»(١).

وكذا هو الحال في من نرى عليه علامات الصلاح لا نقطع له بدخول الجنة، بل نكل الأمر الأخروي إلى الله تعالى علام الغيوب، فإن العبرة بالخواتيم وبما في علم الله تعالى وحده.

قال الناظم:

٦٣- فَلِلَّهِ حُكْمٌ بَالِغٌ فِي عِبَادِهِ بِسَابِقِ عِلْمٍ فِي السَّعَادَةِ وَالْهَوْنِ

قوله: (فَلِلَّهِ حُكْمٌ بَالِغٌ فِي عِبَادِهِ): أي أن حكم الله تعالى في خلقه حكمٌ نافذٌ محققٌ واقعٌ، لما علم الله من حالهم في علمه الأزلي، وكلٌّ مسير لما خلق له، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، فحكمه الأزلي عليهم بما انكشف له حالهم في الحياة الدنيا وعاقبتهم في الآخرة، وحكم الله لا يتغيَّر ولا يتبدل، فالشقي شقي في الآخرة، والسعيد سعيد في الآخرة وإن ظهر لنا بخلاف ذلك، ولله في خلقه شؤون.

وقوله: (بِسَابِقِ عِلْمٍ فِي السَّعَادَةِ وَالْهَوْنِ): أي أن حكم الله تعالى الأزلي على عباده بالسعادة والشقاء، إنما هو بسابق علمه بما يؤول إليه حالهم في

---

(١) رواه البخاري، باب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١]، رقم الحديث: ٧٤٥٤.

الدنيا، وما انكشف له من حالهم، وكيف يخفى على الله حالهم وهو خالقهم ومقدِّر أمورهم كلِّها.

وكما ذكرنا سابقًا أن ما يوجد في اللوح المحفوظ لا تأثير له على اختيارات المكلَّفين وكسبهم للأعمال الخيرية أو الشرية، بل لهم مطلق حرية الاختيار والاكتساب، وما في علم الله تعالى الأزلي فقط العلم باختيارهم وباكتسابهم، وما هم صائرون إليه من حالهم من حيث الطاعة أو المعصية، ومن حيث السلامة والسعادة في الآخرة أو الهلاك والشقاوة في الآخرة.

ولله درُّ الإمام السالمي رحمه الله فقد نَظَمَ محتوى هذا الباب من الهداية والضلالة والتوفيق والخذلان حيث يقول في «جوهر النظام»:

وفسرت هداية الرحمن ... للخلق بالتوفيق والبيان
الجامعان صفة الإيمان ... وليس للكفار غير الثاني
وتركه وشأنه خذلان ... فيأته من نفسه الحرمان
وضده التوفيق فالموفق ... تراه للخير معًا يوفق
وقيل خلق قدرة العصيان ... هو الذي يعرف بالخذلان
وضده التوفيق والأصل اقتصر ... عليه والحق أرى فيما غبر[1]

❁❁❁

(١) السالمي، جوهر النظام، ج١ ص١٤.

الباب الثامن

في ذكر الوعد والوعيد

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

في ذكر أنه لا منزلة بين المنزلتين

قال الناظم:

٦٤ـ فَجُلُّ الْمَنَاهِي وَالفُرُوضِ تَعَبُّدٌ وَلَيْسَ تُرَاعَى عِلَّةُ الْقُبْحِ وَالْحُسْنِ

قوله: (فَجُلُّ الْمَنَاهِي وَالفُرُوضِ تَعَبُّدٌ): أي أن معظمَ المناهي المحرمة والمكروهة، ومعظمَ الفروض الواجبة والمستحبة أمور تعبدية بحتة، أي غير معقولة المعنى، أي لا يعلم سبب فرضها والحكمة من التعبد بها، كالصلاة مثلًا وعدد ركعاتها وطريقة أدائها، فلا علم لنا بالحكمة التي من أجلها شرعت الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة، ولا بالحكمة من اختلاف ركعاتها، ولا بالحكمة من كيفية أدائها بركوع واحد في الركعة الواحدة مع سجودين اثنين فيها، وإنما علينا الامتثال علمنا الحكمة الظاهرة أو لم نعلمها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ولله درُّ الإمام السالمي حينما قال في هذا المعنى:

تعبدًا علينا الامتثال وما لنا التنقير والجدال[1]

(١) السالمي، جوهر النظام، ج١ ص١٨٠.

وقوله: (وَلَيْسَ تُرَاعَى عِلَّةُ الْقُبْحِ وَالْحُسْـنِ): أي أن أمر هذه العبادات أمرٌ تعبديٌّ محض لا دخل لتحسـين العقل وتقبيحه، فلا تراعى في أمرها قضية تحسين وتقبيح، لأنها أمر تعبدي يلزم فيه الامتثال، فالتحسين والتقبيح أمران عقليان وهذه العبادات لا يصل إليها فهم العقل وإدراكه؛ فالتحسين والتقبيح إنما بمقتضيات الشرع لا بمقتضيات العقول.

قال الناظم:

٦٥- فَهَذَا الـذِي قَدْ حَـارَ فِيـهِ لَبِيبُنَا وَحَادَ عَنِ الغَـرَّاءِ ذو النَّوْكِ وَالأَفْنِ

قولـه: (فَهَذَا الذِي قَدْ حَـارَ فِيهِ لَبِيبُنَـا): أي أن القول بـأن الأمور التعبدية المحضة من المأمورات والمنهيات لا يراعى فيها الحسن والقبح العقليان، وإنما التحسين والتقبيح من الشرع وليس من مقتضيات عقول البشر الناقصة، هذا الأمر مما حار فيه بعض العقلاء من أبنـاء ديننا ولم يهتدوا إلـى حقيقته، حتى قالوا بالتحسين والتقبيح العقليين؛ أي مراعاة العقل فيما يستحسن وفيما يستقبح.

وقوله: (وَحَادَ عَنِ الغَرَّاءِ ذو النَّوْكِ وَالأَفْنِ): أي أنه مال عن إدراك هذه المعرفة وهذه الحقيقة، (الغَرَّاءِ): أي البيضاء، ومأخوذة من الغرة البيضاء ويُراد بها الحكمة البيضاء البالغة، (ذو النَّوْكِ وَالأَفْنِ): صاحب الحماقة والجهل المأفون.

ومعنى البيت أن معرفة عدم اعتبار تحسـين العقل ولا تقبيحه من الأمور التي لا يصـل إلى إدراكهـا ومعرفتها صاحـب الحماقة والبـلادة في الفهم والتفكير، وصاحب الجهل المدقع المأفون.

قال الناظم:

٦٦- وَلَيْـسَ لِعَبْـدٍ أَنْ يَقُـولَ بِمَا لِمَ وَلَكِنَّهُ يَمْضِي عَلَـى أَمْرِ ذِي الْمَنِّ

قوله: (وَلَيْسَ لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ بِمَا لِمَ): أي ليس للعبد أن يتساءل لِمَ كان هذا عالمًا بمعرفة عدم اعتبار تحسـين وتقبيح العقل، والآخر جاهل بهذه المعرفة

وغير مدرك لهذه الحقيقة، وكذا لا يسأل لِمَ أغنى الله هذا دون هذا؛ **لأن الكريم إذا وهب لا تسألنَّ** عن السبب، وكذا لا يسأل لِمَ أمر الله بهذا ونهى عن ذاك؛ إذ لا يُسأل سبحانه عن فعله، فهو له مطلق التصرف في خلقه وفي ملكه تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وقوله: (**وَلَكِنَّهُ يَمْضِي عَلَى أَمْرِ ذِي الْمَنِّ**): أي ولكن على العبد المكلَّف أن يمضيَ ويُسلمَ ويرضى بما قضاه الله تعالى وقدَّره، وليس له أن يُعمل عقله في قياس هذا بهذا، أو يقارن بما قدَّمه الله بما أخَّره أو العكس، إذ إن ذلك لا يمكن إدراكه وبلوغه عن طريق العقل، وقوله: (**ذِي الْمَنِّ**): أي صاحب الإنعام والامتنان على خلقه.

قال الناظم:

٦٧- **فَمِنْ هَا هُنَا الْمَلعُونُ إِبْلِيسُ قَدْ غَوَى ... وَقَالَ قِيَاسًا أَنَا خَيْرٌ وَإِنَّنِي**

قوله: (فَمِنْ هَا هُنَا الْمَلعُونُ إِبْلِيسُ قَدْ غَوَى): أي من هذا المنطلق وهو السؤال عن أفعال الله تعالى، وقياسها ببعضها وتحكيم عقول المخلوقين القاصرة عن إدراك الحكمة الإلهية، هو الذي أغوى إبليس الملعون فاستحق الطرد واللعن من رحمة الله تعالى، ولا يمكن لعقول المخلوقين مهما كانوا إنسًا أو جنًّا أو شياطين إدراك وبلوغ الحكمة الإلهية التي أرادها الله تعالى من أمره ونهيه.

وقوله: (**وَقَالَ قِيَاسًا أَنَا خَيْرٌ وَإِنَّنِي**): أي أن سبب غواية إبليس عندما أعمل عقله في أفعال الله ﷻ وذلك بقياس خلقه بخلق آدم عليه السلام، فكان هذا الأمر سبب غوايته وضلاله وهلاكه وطرده من رحمة الله تعالى الواسعة، بل استحق الوعيد الشديد في الآخرة، وقد حكى الله تعالى لنا هذا الأمر بالتفصيل في سورة الأعراف الشريفة، حينما قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۞ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۞ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۞ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۞ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۞ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١١ ـ ١٨].

معنى هذا البيت أنه قال على سبيل القياس أنا خيرٌ من آدم وإنني أنا الأفضل والأخير، فكان ذلك اعتراضًا على حكمة الله تعالى بعقله القاصر في تقديم آدم وإكرامه عليه وعلى الملائكة، وأما الملائكة فقد أذعنوا: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

قال الناظم:

٦٨ ـ حَارَ فِي أَهْلِ البَحِيرَةِ خَاطِرِي بَنَوْا ثُمَّ شَادُوا زُخْرُفَاتِ التَّدَوُّنِ

قوله: (لَقَدْ حَارَ فِي أَهْلِ البَحِيرَةِ خَاطِرِي): أي لقد حار خاطري في مسلك أهل الحيرة من فرق الناس فيما ذهبوا إليه أن الإيمان يكفي فيه القول بلا عمل لتحققه تحققًا صحيحًا، وقد ذكرنا سابقًا مراتب الناس من حيث الوفاء بالإيمان، وذكرنا أن مرتبتنا هي مرتبة: الاعتقاد بالجنان والقول باللسان والعمل بالأركان، فلا يقوم الإيمان المنجي يوم القيامة إلا بالأركان الثلاثة: **الاعتقاد والقول والعمل**، وهذا ثابت بالأدلة والنصوص الشرعية الثابتة الصحيحة.

فانحرافهم عن هذا القول الصحيح مما يحيِّر العاقل، فكيف يكون الإيمان فقط بالاعتقاد بالجنان وقول باللسان دون عمل بالواجبات، ولو كان الأمر كما يقولون لكان كفار قريش دخلوا فيما دعوا له من الإسلام بقول الشهادتين، ولقالوا كلمة التوحيد ومارسوا حياتهم العادية وتسكعوا في الفواحش السابقة، ولكنهم علموا أن الإيمان التزام وليس مجرد قولٍ باللسان، فلهذا لا يكون معه عصيان.

وقوله: (بَنَوْا ثُمَّ شَادُوا زُخْرُفَاتِ التَّدَوُّنِ): أي أن أهل الحيرة والانحراف عن القول الصحيح بنوا وأسسوا أقوالًا وشادوها أي رفعوها واعتمدوها، وزينوها زخرفوها لأنفسهم، ورضوا بها ودونوها في كتبهم، (التَّدَوُّنِ): أي التدوين وهو التأليف والتحرير والتحبير، فهؤلاء انحرفوا عن إصابة الحق وقالوا بأن الإيمان اعتقاد بالجنان وقول باللسان دون عمل، أي يتحقق له الإيمان بمجرد الاعتقاد بالقلب والقول باللسان فقط.

قال الناظم:

٦٩ - فَيَا قُرْبَ مَا انْهَارَ البِنَاءُ بِوَصْفِهِمْ وَتَسْهِيلِهِمْ سُبْلَ الشَّرِيعَةِ بِالظَّنِّ

قوله: (فَيَا قُرْبَ مَا انْهَارَ البِنَاءُ بِوَصْفِهِمْ): أي فيا عجبًا من قرب وظهور انهيار البناء، و(البِنَاءُ): يريد به هنا الإيمان المنجي يوم القيامة، فما أسهل وما أقرب انهيار هذا الإيمان بوصفهم له وقولهم فيه: إنه قولٌ بلا عمل، ولو كان الأمر هكذا فما أسهلها من كلمة على كفار قريش العتاه أن يعلنوها على الملأ مع بقائهم على ما كانوا عليه من الفواحش والرذائل كما ذكرنا سابقًا.

وقوله: (وَتَسْهِيلِهِمْ سُبْلَ الشَّرِيعَةِ بِالظَّنِّ): أي ويا عجبًا أيضًا من تسهيلهم وتيسيرهم طرق الشريعة الغراء بمجرد الظن، من غير اعتماد وإسعاف من الأدلة الشرعية على مقالهم وطريقتهم، وهذا كسابقه مؤدٍ إلى انهدام بناء الإيمان المنجي يوم القيامة.

قال الناظم:

٧٠ - لَقَدْ أَبْطَلُوا التَّكْلِيفَ وَانْحَلَّ عَقْدُهُمْ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَاسْتَرَاحُوا إِلَى الأَوْنِ

قوله: (لَقَدْ أَبْطَلُوا التَّكْلِيفَ وَانْحَلَّ عَقْدُهُمْ): أي بمذهبهم هذا وقولهم يكونون قد أبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، وذلك إذا كان الإيمان معياره

لا يكون بالعمل وإنما بمجرد قول باللسان، فلماذا التكليف إذًا بالأعمال والأقوال واكتساب الصفات الحميدة والسعي في تحصيلها تكليفًا شرعيًا؟!، وما فائدة الأمر بالامتثال بالأوامر والنواهي ما دام المرء ينجو بمجرد قوله باللسان؟!، فبقولهم هذا أن الإيمان قول باللسان فقط، عطَّلوا بذلك ثمرة أمر الله تعالى المكلَّفين بالطاعة ونهيهم عن المعصية.

وقوله: (مِنْ أمْرٍ وَنَهْيٍ وَاسْتَرَاحُوا إِلَى الأَوْنِ): أي بقولهم هذا استراحوا من عناء الامتثال بالأوامر ومؤنة الكفِّ عن النواهي، وذهبت عنه مشقة التكليف إلى الراحة في التكليف، (الأَوْنِ): أي حدَّدوا ووقتوا راحة التكليف لأنفسهم بقولهم هذا، فتكليفهم ليس فيهم مشقة بما اختاروه من القول بأن النجاة في القول باللسان دون العمل بالأركان، فجعلوا التوحيد وحده مناط النجاة يوم القيامة ولو لم يصاحبه عمل، وهيهات ذلك.

قال الناظم:

٧١ - لَقَدْ هَدَمُوا قَوَاعِدَ الشَّرْعِ جُلَّهَا وَقَالُوا فَوَارُ الْفَمِّ يَغني عَنِ الرُّكْنِ

قوله: (لَقَدْ هَدَمُوا قَوَاعِدَ الشَّرْعِ جُلَّهَا): أي أنهم بقولهم: أن الإيمان قولٌ بلا عمل، فيكفي المرء أن ينطق بجملة التوحيد وبذلك يتحقق له الإيمان الصحيح المنجي يوم القيامة بمجرد هذا النطق ولو بلا عمل، فبقولهم هذا هدموا قواعد الشرع الناصة على الإيمان والعمل الصالح، فالقرآن الكريم مليءٌ بالآيات الناصَّة على ضرورة العمل الصالح مع الإيمان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

وقوله: (وَقَالُوا فَوَارُ الْفَمِّ يَغني عَنِ الرُّكْنِ): أي أنهم قالوا بأن النطق باللسان بجملة التوحيد يغني ويجزي عن القيام بركن العمل، (فَوَارُ الْفَمِّ): أي ما يفور منه ويخرج وهو القول، فقولهم بأن القول يغني عن العمل بالأركان كالصلاة

والصيام وترك المحرمات والفواحش هدمٌ منهم لعُرى الإيمان الصحيح وقواعد الشرع الحنيف.

قال الناظم:

٧٢ - فَيَا لَيْتَ مَا فَاهَتْ بِهِ لَهَوَاتُهُمْ صَحِيحٌ لَكُنَّا أَسْعَدَ النَّاسِ بِالأَمْنِ

قوله: (فَيَا لَيْتَ مَا فَاهَتْ بِهِ لَهَوَاتُهُمْ صَحِيحٌ): أي فيا ليت ما نطقت به أفواههم من القول السابق، وهو أن الإيمان قول بلا عمل، صحيح وغير معارض بالنصوص الشرعية، لكان فيه راحة للجميع ولكان كلُّ الناس يظفرون بالجنة بمجرد القول، فلو كان الأمر كما يقولون فما أحلاه من قول وما أسهله من تشريع، ولكن الأمر ليس هكذا.

وقوله: (لَكُنَّا أَسْعَدَ النَّاسِ بِالأَمْنِ): أي لو كان الأمر كما يقولون بأن الإيمان قول فقط بلا عمل، لكان الكلُّ يسعدون بأمن يوم القيامة، وعلى رأسهم نحن الذين نقول بأن الإيمان قول وعمل، فلن يضرنا قولنا، ولا داعي للنصوص الناصة على أن السعداء والآمنون يوم القيامة هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولكن ليس الأمر كما يقول هؤلاء ولا بما يتمنوه قال تعالى رادًا على مثل هذه الأماني التي تغرر بالناس: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣ - ١٢٤].

قال الناظم:

٧٣ - وَلَكِنَّمَا الْمَغْرُورُ يَرْنُو سَرَابَهُمْ فَيَحْسِبُهُ مَاءً فَوَافَاهُ لَمْ يُغْنِ

قوله: (وَلَكِنَّمَا الْمَغْرُورُ يَرْنُو سَرَابَهُمْ): أي أن المكلّف الغافل المغرر به في هذا القول الباطل عندما يراه ويمعن النظر فيه يجد أيسر له فيعتقده ويدين به

في حياته، ويتكل عليه في أموره وتصرفاته بلا رادع بما أنه يقول جملة التوحيد، فيعمل به ويظن فيه النجاة يوم القيامة ثم يكتشف يوم القيامة أنه غير منجٍّ، فهذا المكلَّف المغرر به الذي يتبع سرابهم في هذا القول لا يجده شيئًا يوم القيامة.

وقوله: (فَيَحْسِبُهُ مَاءً فَوَافَاهُ لَمْ يُغْنِ): أي أن المكلَّف الضعيف المغرر به الغافل عن الحق عندما يتبع سراب القائلين بهذا القول الواهي سيجده يوم القيامة مما لا يغنيه، بل يحسبه ماءً فإذا هو سراب: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

فالقول الصحيح والحق المبين: هو أن الإيمان قول وعمل كما نصَّت على ذلك النصوص الشرعية الكثيرة والكثيرة جدًا، فعلى المسلم أن لا يغتر بقول من قال بتعطيل العمل لتحقيق الإيمان، وأن الإيمان يكفي لتحقيقه فقط القول باللسان، فهذا القول تردُّه الأدلة الشرعية كما قلت، والحمد لله على التوفيق.

❁❁❁

الفصل الثاني
في ذكر إحباط العمل الصالح بالإصرار على المعصية

قال الناظم:

٧٤ـ وَلَا تَكْمُــلُ الطَّاعَــاتُ إِلَّا لِتَارِكٍ جَمِيعَ الْمَعَاصِي بِالدَّلِيلِ الْمُبَرْهَنِ

قوله: (وَلَا تَكْمُلُ الطَّاعَاتُ إِلَّا لِتَارِكٍ جَمِيعَ الْمَعَاصِي): أي أن عمل الطاعة لا يكتمل بنيل ثوابه للعامل إلا بشرط أن يكون هذا العامل تاركًا الإصرارَ على جميع المعاصــي كبائرها وصغائرها، فلا يثبت ثــواب العمل مع فعل الكبائر والإصرار عليها وعلى الصغائر؛ وذلك لأن الإصرار على المعاصي يحبط ثواب العمل الصالح لأدلة كثيرة في كتاب الله تعالى وســنة رسوله الكريم ﷺ كما أشار الناظم رحمه الله بنفسه في البيت حيث:

يقول: (بِالدَّلِيلِ الْمُبَرْهَنِ): أي أن عدم انتفاع العامل بثواب عمله الصالح متى ما كان مصرًّا على المعاصي وغير تاركٍ لهــا إنما جاء به الدليل المبرهن الصريح الصحيح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، كما سيذكر بعضًا من الأدلة على ذلك في الأبيات الآتية إن شاء الله تعالى.

قال الناظم:

٧٥ـ فَإِنْ قِيلَ مَــا هَذَا الدَّلِيــلُ فَقُلْ لَهُ أَرَى صَدَقَاتِ السِّــرِّ تَبْطُلُ بِالْمَنِّ

قوله: (فَإِنْ قِيلَ مَا هَذَا الدَّلِيلُ فَقُلْ لَهُ): أي فإن ســأل سائلٌ وقال ما دليل قولك السابق بأن ثواب الأعمال الصالحة لا يثبت مع المعصية بل يحبط ولا ينتفع به فاعله؟، فهنا يفترض سؤالًا يُطرح للاســتفهام عن أصل ذلك القول ودليله، فسيأتيه الجواب من كتاب الله تعالى.

وقوله: (أَرَى صَدَقَاتِ السِّرِّ تَبْطُلُ بِالْمَنِّ): أي يقال لمن يسأل عن الدليل الدال على إبطــال ثواب العمل الصالــح، يقال له الدليل قــول الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، فالمن والأذى للمُعطى الصدقة يُبطلان ثوابَ الصدقة عن المتصدِّق، فلهذا حذَّر الله تعالى المؤمنين من المنِّ والأذى على المتصدَّق عليه لأنهما يبطلان ثواب الصدقة ويحبطانه، ومن الأدلة أيضًا على إبطال ثواب العمل الصالح بالمعاصي، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، ومن ذلك قول الرسول ﷺ: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»(١)، وقوله ﷺ: «الرياء يحبط العمل كما يحبطه الشرك»(٢).

قال الناظم:

٧٦- وَلَنْ يَجْمَعَ اللهُ الضَّلَالَـةَ وَالْهُدَى بِجِسْمٍ مُحَالٌ جَمْعُ شَيْئَيْنِ ضِدَّيْنِ

قوله: (وَلَنْ يَجْمَعَ اللهُ الضَّلَالَةَ وَالْهُدَى بِجِسْمٍ): أي لا يجمع الله بين الكفر والإيمان، ولا بين الطاعة والعصيان، ولا بين الضلالة والهداية في قلب امرئ أبدًا.

وقوله: (مُحَالٌ جَمْعُ شَيْئَيْنِ ضِدَّيْنِ): أي أن جمع الضدين معًا في مكان واحدٍ في وقت واحدٍ أمرٌ مستحيل ولا يقبل العقل السليم، فلا يكون المرء طائعًا عاصيًا في نفس الوقت واللحظة، ولا مؤمنًا مشركًا في آنٍ واحدٍ، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، فإن تاب تاب الله عليه»(٣).

---

(١) رواه البخاري، باب: من ترك صلاة العصر، رقم الحديث: ٥٥٣.

(٢) مسند الربيع بن حبيب، باب: في ذكر الشرك والكفر، رقم الحديث: ٦٦.

(٣) مسند الربيع بن حبيب، رقم الحديث: ٩٨٣/ ورواه البخاري، باب: السارق حين يسرق، رقم الحديث: ٦٧٨٢.

قال الناظم:

٧٧ـ أَيُجْمَعُ إِيمَانٌ وَكُفْرٌ وَطَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ هَذَا خِلَافُ التَّكَوُّنِ

قوله: (أَيُجْمَعُ إِيمَانٌ وَكُفْرٌ وَطَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ): أي أن جمع الإيمان والكفر في قلب امرئٍ معًا في آن واحدٍ ووقت واحدٍ، وكذا جمع الطاعة والمعصية في قلبه في آن واحدٍ هذا كلُّه خلاف ما يمكن أن يكون، وخلاف التكوين والإيجاد.

وقوله: (هَذَا خِلَافُ التَّكَوُّنِ): أي الجمع بين الأضداد المذكورة آنفًا من المستحيلات التي لا يمكن أن تكون، بل إيجادها وتصورها خلاف التكوين والإيجاد، فالضدان لا يجتمعان أبدًا في آنٍ واحدٍ، وهذا من مقتضيات العقول السليمة.

قال الناظم:

٧٨ـ إِذَا حَلَّ شَيْءٌ زَالَ بِالْعَقْلِ ضِدُّهُ فَقِسْ وَاعْرَفِ الأَشْيَاءَ بِالْحَقِّ وَالْوَزْنِ

قوله: (إِذَا حَلَّ شَيْءٌ زَالَ بِالْعَقْلِ ضِدُّهُ): أي أن العقل السليم الكامل لا يقر الجمع بين ضدين في آن واحد، فإن ثبت شيء ما انتفى ضده عقلًا؛ إذ لا يجتمعان أبدًا في العقل السليم.

وقوله: (فَقِسْ وَاعْرَفِ الأَشْيَاءَ بِالْحَقِّ وَالْوَزْنِ): أي فقس على ذلك كل الأشياء المتضادة، واعرف الحكم فيها بالحق الذي مرَّ معك، و(الوزنُ): أي القاعدة السابقة التي يوزن بها حكم الضدين في أنهما محالٌ اجتماعهما في آن واحدٍ، فاسحب حكم أمثالهما بالقياس عليهما بما مرَّ معك سابقًا.

قال الناظم:

٧٩ـ فَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ يُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِلَّا كَذَابٌ دِينُ كُلِّ مُلَوِّنِ

قوله: (فَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ يُوفِ بِعَهْدِكُمْ): أي أوفوا أيها المكلَّفون بما أمركم الله تعالى به ونهاكم عنه، وذلك بامتثال الأوامر بالفعل، وامتثال النواهي

بالترك، فإن وفيتم بما أخذ الله تعالى عليكم من الميثاق والعهد فإن الله تعالى يوفِ بما عاهدكم ووعدكم من الخير والثواب ودخول الجنة يوم القيامة، يقول الله تعالى في خطابه لبني إسرائيل والخطاب عام لنا ولهم: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧].

وقوله: (وَإِلَّا كِذَابٌ دِينُ كُلِّ مُلَوِّنِ): أي إن لم توفوا بعهد الله وميثاقه الذي أخذهما عليكم فما لكم عليه من عهد تنالون وفاءه فيه، واعلموا إن لم توفوا بعهدكم مع الله تعالى وتوفوا بدينه تعالى أن تدينكم كاذب، (كُلِّ مُلَوِّنِ): أي متقلب في دينه وغير ملتزم به، فلا يستقر على حال بين الطاعة والمعصية، كما قال الله تعالى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٣]، فلا يستقيم دين متلون ناكثٍ لما عاهد الله عليه، فمثل هذا التدين تدين كاذب لا ينجي صاحبه يوم القيامة، بل يكون عليه وبالًا.

قال الناظم:

٨٠ - فيا أَيُّهَا الْمُكْرِي الْكِرَاءُ مُوَصَّلٌ فَجِدَّ وَبَلِّغْ وَاسْأَلِ اللهَ في الْعَوْنِ

قوله: (فيا أَيُّهَا الْمُكْرِي الْكِرَاءُ مُوَصَّلٌ): أي يا أيها المستأجر المكلَّف بحمل شيءٍ معينٍ، إنك لن تستحق الأجرة على هذا العمل ما لم تؤده وتوصله كما أمر الله به أن يوصل، فإن قطعت ما أمر الله به أن يوصل أو نكثت ما عاهدت وما استأجرت على حمله لم تستحق الأجر والثواب والمكافأة على ما قصر من عمل، فإذا كان هذا حال المستأجر في أمور الدنيا فكذا الحال في المكلَّف بحمل أمانة الدين والوفاء به، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧].

وقوله: (فَجِدَّ وَبَلِّغْ وَاسْأَلِ اللهَ في الْعَوْنِ): أي أيها المستأجر المكلَّف بحمل الأمانة إنك لا تستطيع حملها إلا بتوفيق الله تعالى لك، وحسن التوكل عليه مع الأخذ بالأسباب، من الجد والاجتهاد، وتبليغ ما تحملتَه لتبلغه لغيرك، فعليك مع هذا الضعف الملم بك أن تسأل الله تعالى العون والتوفيق، وأن يأخذ المولى بيدك للقيام بما أمرتَ به، وكذا الحال في المكلَّف بأداء الشريعة والدين والوفاء به، حتى ينال الأجر والثواب عند الله تعالى في الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث
في ذكر الكبائر وتعريفها وعقوبة مرتكبها

قال الناظم:

٨١ - نَدِينُ بِتَحْرِيمِ الْكَبَائِرِ كُلِّهَا كَبَائِرَ شِرْكٍ أَوْ نِفَاقٍ عَلَى بَوْنِ

قوله: (نَدِينُ بِتَحْرِيمِ الْكَبَائِرِ كُلِّهَا): أي نعتقد في ديانتنا نحن الإباضية تحريم كبائر الذنوب كلّها بلا استثناء، و(كبائر الذنوب): هي كل ما ثبت على فاعله بسببه حدٌّ في الدنيا (كالزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر)، أو وعيد في الآخرة (كالعقوق والربا وترك الصلاة وغيرها)، أو ترتب على فاعله اللعن كالشرك وغيره، وكل ما اقترن بسخط من الله تعالى فوصفه بأنه كبير أو عظيم، أو كل ذنب قبّح الرسول ﷺ فاعله، ويقاس عليها ما كان في وصفها[1]، وسيذكر الناظم حدّ الكبيرة في الأبيات القادمة إن شاء الله تعالى.

وقوله: (كَبَائِرَ شِرْكٍ أَوْ نِفَاقٍ عَلَى بَوْنِ): أي هذا الحكم منا بالتحريم يشمل كبائر الشرك والتوحيد، وكبائر النفاق العملية، على تفريق عندنا بينهما.

فالكبائر نوعان: كبائر في مسائل التوحيد والاعتقاد: وهي ارتكاب مخالفة للنص القطعي مما يؤدي إلى تشبيه الله بخلقه أو تجسيمه تعالى الله عن ذلك، فهذه كبائر الشرك عياذا بالله تعالى.

وكبائر النفاق العملي: وهي ارتكاب ما حرم الله تعالى من العمليات التي ورد في تحريمها النص الصريح، كالزنا والربا والسرقة، أو ترك ما أوجبه الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وجاء بذلك النص الصريح، أو يصر على شيء من ذلك وعدم التوبة منه.

---

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص٢١٦ (بتصرف).

قال الناظم:

٨٢ - وَدِنَّا بِإِنْفَاذِ الوَعِيدِ وَحُكْمِهِ وَتَخْلِيدِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ وَالْهَوْنِ

قوله: (وَدِنَّا بِإِنْفَاذِ الوَعِيدِ وَحُكْمِهِ): أي ندين أيضًا ونعتقد بأن حكم وعيد الله تعالى منجز؛ فإن الله تعالى إذا وعد وفى وإذا توعَّد أنجز، فلا يمكن القول بخلاف ذلك، لأنه لا تبديل لكلام الله ولا تبديل لكلماته، قال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤]، وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

أدلة الخلود في نار جهنم:

وقوله: (وَتَخْلِيدِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ وَالْهَوْنِ): أي أننا ندين ونعتقد أيضًا خلود أهل النار في النار كما يخلد أهل الجنة في الجنة على السواء، فأهل النار ورد فيهم الوعيد بالخلود كما ورد الوعد لأهل الجنة بالخلود، والآيات في ذلك كثيرة وواضحة وصريحة الدلالة، ومن ذلك ما يأتي:

١ - قول الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

٣ - وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

٤ - وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

٥ ـ وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٧].

٦ ـ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٦].

٧ ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩].

٨ ـ وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

٩ ـ وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

١٠ ـ وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦ ـ ١٠٧].

وهذه الأدلة الصريحة النصية قطعية الدلالة تدل على خلود أهل النار فيها، ولا خروج لهم منها أبدًا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ويقول ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٧]، وبعد هذا الاستعراض لأدلة الخلود في النار لمن دخلها، نأتي إلى أوجه الدلالة منها:

١ ـ (مَن) من صيغ العموم، وبعض تلك الآيات صُدِّر بـ(مَن)، و(مَن) من صيغ العموم عند الأصوليين ولا سيَّما أنها جاءت شرطية، أي في سياق الشرط، يقول الإمام السالمي في ألفيته «شمس الأصول»:

كذاك في الشرط ومَن للعقلا وخصصت إن أعقبتها أولا[1]

والدليل العام يستغرق جميع أفراده، أي يتناول جميع أفراده الداخلة تحته على سبيل الاستغراق أي الشمول، ومعنى ذلك أن آية: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٣٦] يدخل تحتها كلُّ مَن عصى الله ﷻ ورسوله ﷺ ولو ممَن يقول: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله[2].

٢ ـ التنصيص الصريح في الآيات بالخلود في النار، فقد جاء فيها: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١]، ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ١٤]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الكهف: ١٠٨]، ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦]، ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [الفرقان: ٦٩]، فهل هذه النصوص الصريح جاءت عبثًا، حاشا لله عن العبث.

٣ ـ التنصيص الصريح في الآيات بعدم الخروج من النار، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، فهل هذه النصوص لا تعني شيئًا؟!.

٤ ـ توسيط الضمير بين الصفة والموصوف يدل على الحصر كذلك، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

٥ ـ كما أن توسيط ضمير الفصل بين المسند والمسند إليه يفيد الحصر، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

٦ ـ كما أن تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، يفيد الحصر أيضًا.

---

(١) السالمي، شمس الأصول في إيضاح قواعد الأصول، ص١٩.

(٢) البوصافي، راشد بن سالم بن راشد، إن الله لا يخلف الميعاد، أشرف واعتنى بطبعه: إبراهيم بن يوسف بازين، الطبعة الثانية: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٢٥.

٧ ـ لا عبرة بخصوص السبب مع عموم اللفظ، أو العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في آية القتل عمدًا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وإن نزلت في شأن الكافر، إلا أنها عامة فلا عبرة بخصوص سببها، والشرط علة موجبة للحكم المشروط، وكذا الوصف مترتب عليه الحكم، فيكون الوصف المناسب علة للحكم يدور معها وجودًا وعدمًا، كالسارق والزاني، كما أن منشأ الوعيد في الآية ليس على وصف الفاعل (الكفر)، بل على الفعل نفسه (قتل المؤمن عمدًا) مهما كان هذا القاتل.

٨ ـ الغرام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، الغرام: هو الملح الدائم الملازم.

٩ ـ جميع الآيات الوارد فيها الوعيد بالخلود في النار جاءت بصيغ الإخبار، والخبر لا يجوز أن يخالف الواقع يوم القيامة وإلا عُدَّ كذبًا عياذا بالله تعالى.

١٠ ـ أسلوب المقابلة بين الفريقين (فريق أهل الجنة وفريق أهل النار) يدل على تأكيد الحكم فيهما، كما في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]، هذه الآية قابلتها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، فكما أن هؤلاء خالدون في الجنة كذلك أولئك خالدون في النار، وكذا في الآيات من سورة هود: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦ ـ ١٠٧]، تقابلها الآية التالية لها في السورة نفسها: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، فكما أن أهل الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، كذلك أهل النار خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، وذكرنا في غير هذا الكتاب أن السماوات

والأرض المذكورة هي سماوات وأرض يوم القيامة؛ لأن السياق يدل على الكلام عنهم وهو في مثواهم الأخير الذي لا يتبدل ولا يتغير، والله تعالى أخبرنا في كتابه أن سماوات أرض الدنيا تتبدل بسماوات وأرض غيرهما يوم القيامة فقال ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

١١ - وأما أصل فكرة الخروج من النار فالقرآن الكريم أخبرنا أنها فكرة نبتت في عقيدة اليهود، فقد أخبرنا الله تعالى عنهم حينما قال: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] فجاءهم التقريع والتوبيخ من الله تعالى بقوله لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٢].

١٢ - وإذا كان الله تعالى يقول لأشرف خلقه وصفوة عباده نبينا محمدٍ ﷺ صاحب الشفاعة الكبرى والحوض المورود، يقول له: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]، فإذا كان هذا النصُّ الصريح لمحمد ﷺ وهو أشرف الخلق فماذا من بعده.

قال الناظم:

٨٣ - فَحَدُّ الكَبِيرِ الْحَدُّ فِي عَاجِلِ الدُّنَا ... وَسُوءُ عَذَابِ النَّارِ يَا شَرَّ مَسْكَنِ

قوله: (فَحَدُّ الكَبِيرِ الْحَدُّ فِي عَاجِلِ الدُّنَا): (فَحَدُّ الكَبِيرِ) أي تعريف الذنب الكبير، بمعنى إذا أردتَ معرفة الكبير من الذنوب والمعاصي فحدُّهُ أي تعريفه: هو ما وجب به حدٌّ في الدنيا ووعيد بعذاب شديد في الآخرة، فكبائر الذنوب هي: «ما اقترن به وعيدٌ أو لعنٌ، أو وجب على فاعله حدٌّ جاء ذلك في الكتاب أو السنة أو أجمعت على ذلك الأمة، أو كانت فيه مفسدةٌ مساويةٌ أو راجحةٌ على ما اقترن به وعيدٌ أو لعنٌ أو شتمٌ أو وجب به حدٌّ في الدنيا»[1].

---

(١) القنوبي، دروس شرح بهجة الأنوار (مادة سمعية).

وقوله: (وَسُوءُ عَذَابِ النَّارِ يَا شَرَّ مَسْكَنِ): أي كما قلنا أن الذنب الكبير هو ما استحق فاعله مع إقامة الحدِّ عليه في الدنيا كذلك العذاب في الآخرة، فما كان هذا حال صاحبه فهو الذنب الكبير، المنصوص عليه بعينه، وهناك الذنب الكبير غير المنصوص عليه بل المقاس على المنصوص، كما سيأتي في البيت الآتي.

قال الناظم:

٨٤ـ وَمَا لَـمْ يَجِي فِيـهِ الوَعِيـدُ فَإِنَّهُ يُقَاسُ إِلَـى الْمَنْصُوصِ فِيهِ الْمُبَيَّنِ

قوله: (وَمَا لَمْ يَجِي فِيهِ الوَعِيدُ فَإِنَّهُ): أي أن الذنب الكبير الذي لم يرد فيه نصٌّ شرعيٌّ مخصوص فإنه يُقاس على ما ورد فيه النص الشرعي، وفيه إشارة إلى أن هناك كبائر لم يرد النصُّ الخاص بها بل تُحمل على ما ورد فيه النصُّ لجامع العلة بينها أو لرجحان مفسدة أو اقترانها.

وقوله: (يُقَاسُ إِلَى الْمَنْصُوصِ فِيهِ الْمُبَيَّنِ): أي ما لم يرد به نصٌّ مخصوص على أنه ذنبٌ كبيرٌ يقاس على ما ورد به النصُّ المخصوص على أنه ذنبٌ كبيرٌ، بشرط تحقق نفس العلة فيهما، أو ترجحت علة مجهول الحكم على علة معلوم الحكم، و(القيـاسُ): هو حمل مجهـول الحكم على معلـوم الحكم بجامع بينهما[1]، وفي ذلك يقول الإمام السالمي:

أما القيـاسُ فهو حمـلُ ما جُهل حكمًا على معلوم حكمٍ قد عُقِل
بجامـعٍ بينهمـا فـالأولُ أصلٌ وأمـا الثاني فـرعٌ يُحملُ
والجامعُ الوصـفُ الذي به وُجِد في الأصل حكمه فإن زال فُقِد[2]

---

(١) السالمي، طلعة الشمس، ج٢ ص١٤٠.

(٢) السالمي، منظومة شمس الأصول، ص٧١.

قال الناظم:

٨٥ـ ثَلَاثَـةُ أَسْـمَاءٍ مَعَـانٍ تَجَـاوَرَتْ كَبِيـرٌ وَكُفْـرٌ وَالعِقَـابُ بِمَقْـرَنِ

قوله: (ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ مَعَانٍ تَجَاوَرَتْ): أي ثلاثةُ مصطلحاتٍ متجاورةٍ مترادفةٍ في المعنى، وقد جرى ذكرها في كلام أئمتنا ـ رحمهم الله تعالى ـ ويريدون بها المعصية المنهي عنها، والفعل الذي نهى الله تعالى عنه بنصوصٍ في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ، وورد على فعله العقاب أو اللعن أو التقبيح.

وقوله: (كَبِيرٌ وَكُفْرٌ وَالعِقَابُ بِمَقْرَنِ): أي أن المصطلحات الثلاثة التي هي مترادفة في المعنى وتستعمل للتعبير عن الذنب المنهي عنه، هي: الكبير، والكفر، والفعل المقترن بعقاب، وهذه المصطلحات مأخوذة من كتاب الله تعالى، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠].

فهذه المصطلحات الواردة في كتاب الله تعالى يوظفها علماؤنا في التعبير بها عن الفعل المنهي عنه، وعن كل ذنب كبيرًا كان أو صغيرًا، وتجد ذلك في كلامهم ومصنفاتهم ودروسهم ووعظهم وغيرها، فيعبِّرون بالكبيرة والكفر والفعل المقترن بعقاب دنيوي أو أخروي.

قال الناظم:

٨٦ـ فَمَنْ مَـاتَ مِنْ أَهْـلِ الكَبَائِرِ آبِيًا مُصِرًّا فَمَا أَقْصَاهُ عَـنْ جَنَّةِ الْعَدْنِ

قوله: (فَمَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ آبِيًا): أي أن مَن مات من المكلَّفين وهو مصرٌّ على فعل الكبائر ويأبى التوبة إلى الله تعالى منها؛ فإنه لا يدخل الجنة أبدًا، (والموتُ): هو مفارقة الروح للجسد[1]، (آبيًا): من الإباء والرفض.

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص١٥١.

وقوله: (مُصِرًّا فَمَا أَقْصَاهُ عَـنْ جَنَّةِ الْعَدْنِ): (الإصـرار): هو الإقامة على الذنب وفعل الذنب استخفافًا به[١]، أي أن المصرّ على الكبائر لا يدخل الجنة أبدًا؛ إذ الجنة لا يدخلها عاصٍ غير تائبٍ من معصيته، ولا يدخلها متعالٍ عن التوبة مصرٌّ على كبائره، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، وإنما الجنة للتائب الراجع إلى ربه بالتوبة النصوح.

قال الناظم:

٨٧ـ وَمَـنْ يَتَّكِلْ عَلَـى الشَّـفَاعَةِ آمِنًا بِلَا عَمَلٍ أَخْسِر بِهِ فِي ذَوِي الْمَيْنِ

قوله: (وَمَنْ يَتَّكِلْ عَلَى الشَّـفَاعَةِ آمِنًا بِلَا عَمَلٍ): أي ومن غرر بنفسه فـي أن تكون له شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة بسبب توحيده، ولو لم يعمل لنيلها، فلا يضـره لو مات مصرًّا على كبيرة من كبائر الذنوب، فيسـتحق الشـفاعة بالتوحيد، وبفعله الكبيرة كمـا يدل على ذلـك روايتهم التي يروونهـا وينسـبونها إلى رسـول الله ﷺ في أنه يشـفع لمرتكب الكبيرة المصر عليها الميت على غير توبة منها، كما سيأتي بيانه بعد قليل إن شاء الله تعالى.

قوله: (أَخْسِـر بِهِ فِي ذَوِي الْمَيْـنِ): فمن كان هذا حاله يصـرُّ على كبائر الذنوب ويموت عليها بغير توبة صادقة منها متكلًا على الشفاعة التي يظنها له، فهو من الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون كما قال الله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢١ ـ ٢٢].

---

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص١٠٣.

أحكام الشفاعة في الآخرة:

أما فكرة أن الشـفاعة لأهل الكبائر فهذه فكرةٌ مـردودةٌ على قائلها، فإن الله تعالى نفى الشـفاعة عن الظالمين، فقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، والظلم يتحقـق بالمعاصي كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٣٦]، فقد سـمى المعصية ظلمًا، وذلـك بنهيه المؤمنين عن القتال في الأشهر الحرم، فالقتال فيهن معصيةٌ بل كبيرةٌ من الذنوب وقد سماها الله ظلمًـا، والله ﷻ أخبرنا لمن تكون الشـفاعة فقـال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فهل مرتكب الكبائر والآثام، المجاهر بمعصيته المصرُّ عليها المحارب لله تعالى، هل ممن رضيَ الله تعالى عنه، أو هل هو ممن ارتضى؟؟، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

أقول: هل شارب الخمر ممن ارتضاه الله؟، وهل تارك الصلاة تهاونًا ممن ارتضاه الله؟، هـل آكل الربا وآكل أمـوال الناس وأمـوال اليتامى ظلمًا ممن ارتضاه الله تعالى؟، كلا والله، يأبى الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنون ذلك.

أما الاستدلال بحديث: «شـفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، فقد ورد هذا الحديث من عدة طرق، فقد رويَ عن أنس وجابر وابن عباس، وكلها ضعيفة لا تقوم بها حجة، فضلًا عـن كونها روايات آحادية لـم تتواتر، وهي مخالفة للقطعيات من القرآن الكريم.

فالله تعالى نفى الشـفاعة يـوم القيـامة بصفـة عامـة حيث قـال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ثـم اسـتثنى المؤمنيـن الـموفين بـأن لهم بيعًا، وخلة، وشـفاعة، حيث يقول فيهـم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١] وهذا بيع، ويقول:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]، **وهذه خلة،** ويقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] **وهذه شفاعة.**

فكيف يعقل أن تكون شفاعة رسول الله ﷺ للعصاة الفسقة؟!، كلا وحاشا، فالمنهج واضحٌ جليٌ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣]. والله تعالى حَذَّرَ عباده من الاغترار بالأماني الزائفة والأفكار اليهودية الفاسدة، والتعلق بالشفاعة المتوهمة أنها للعصاة الذين حكم الله تعالى أنهم في النار وأنهم خالدون فيها أبدًا.

فكيف بعد هذا يقال بخروجهم بالشفاعة، والله تعالى أشار عند ذكره الآيات التي تنفي الشفاعة وتنفي إجزاء نفسٍ عن نفسٍ، ختم هذه الآيات بالإشارة إلى أن مِن الناس مَن سيتعلق بأوهام النصرة من الغير، فقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨]، ويقول تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢٣].

فإن قال قائلٌ: إن هذا الخطاب في الآيات السابقة النافية للشفاعة هو لليهود، فلا يدخل فيه المسلمون.

فنقول: هذا اعتراضٌ غريبٌ يدلُّ على الإفلاس من الحجة، وأما الردُّ عليه فيكون من عدة وجوهٍ منها:

١ - العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فما كان من الأحكام العامة لا ينظر فيها إلى خصوصية سببها الواردة فيه.

٢ - إن هذه الآيات وإن جاءت في خطاب بني إسرائيل إلا أنها جاءت واصفةً حال ذلك اليوم بأنه لا تجزي فيه نفسٌ عن نفسٍ أخرى ولا يُقبل من

النفس عدلٌ ولا تنفعها شفاعةٌ ولا نصرةٌ، فأمرهم باتقاء ذلك اليوم الذي هذا هو وصفه وحاله، وهذا اليوم هـو (يوم القيامة) لا يتغيَّـر ولا تتبدل أوصافه بالنسبة لهم ولغيرهم.

٣ ـ لو كان وصف هذا اليوم خاصًا ببني إسرائيل المخاطبين وقُصِر خطاب الوصف لهم، فيلزم منه خروج المشـركين والملاحدة من خطاب وصف هذا اليوم، فلا يشملهم خطاب وصفه، ولا قائلَ بذلك من الأمة.

٤ ـ ولو كان الأخذ بخصوص السبب الوارد به الخطاب، لأدى ذلك إلى قصر الخطاب على المخاطبين فلا يتعداهم في هذه الآيات، ولأدى ذلك إلى فهم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، بـأن وصف ذلك اليوم بأن لا بيعٌ ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ، إنما هو خاصٌ بالمؤمنين فقط، فلا بيعَ لهم ولا خلةَ ولا شفاعة، ولا يمكن القول بذلك.

وبعد هذا الذي قررناه من كتاب الله تعالى والذي يدل بيقين أن الشـفاعة ليست للعصاة المعاندين من المشركين ولا اليهود ولا الملاحدة ولا مَن عصى الله تعالى من الموحِّدين.

وإذا كان لأهل الكتاب من اليهود والنصارى براثنُ أماني يتعلَّقون بها فقد ردَّ الله تعالى عليهم ووبخهم وقرعهم بصفة خاصة، وهكذا يُقال لمن عصى الله تعالى متكلًا على أمنية الشـفاعة، فقد حذَّرهم الله تعالى من ذلك بصفة خاصة أيضًا.

ثم فصَّل الله تعالى في الحكم للفريقين معًـا وجمعهم في خطابٍ واحدٍ، فقال ﷻ بلفظٍ صريحٍ وقولٍ فصلٍ للفريقين معًا: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣]، فهذه الآية نصٌ وخطابٌ للفريقين معًا.

أضف إلى ذلك: مَن ذا الذي يشفع لهم ويخرجهم من النار بعد حكم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيهم، وقد قال لنبيه ﷺ بأصرح عبارة: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]. فالشفاعة للأتقياء البررة وليست للأشقياء الفجرة، هذا هو المذهب الحق، يقول الإمام السالمي:

شفاعة الرسول للتقي ... من الورى وليس للشقي
كليس للظالم من حميم ... ولا شفيع من لظى الجحيم
ومن عصى ولم يتب يخلد ... في النار دائمًا بهذا نشهد[1]

قال الناظم:

٨٨ - وَمَنْ ظَنَّ بِالإِيمَانِ يُنْجِيهِ رَاجِيًا ... وَلَمْ يُوفِ بِالأَعْمَالِ خَابَ بِذَا الظَّنِّ

قوله: (وَمَنْ ظَنَّ بِالإِيمَانِ يُنْجِيهِ رَاجِيًا): أي مَن ظنَّ من المكلَّفين أنه ناجٍ بمجرد إيمانه غير المقترن بعمل صالح فإنه خائب الظن، إن كان هذا المكلَّف يظن أن النجاة بالإيمان القولي فقط ويترك العمل الصالح ويرتكب العمل السيء اتكالًا ورجاءَ أن الإيمان القولي وحده يكفي لنجاته يوم القيامة لأنه موحِّد، فهذا ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦ و١٤٨]، وقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقوله: (وَلَمْ يُوفِ بِالأَعْمَالِ خَابَ بِذَا الظَّنِّ): أي من ظنَّ أن الإيمان القولي فقط ينجيه يوم القيامة وهو لم يُوفِ بالأعمال الواجبة عليه شرعًا من (فعل الأوامر وترك النواهي)، فإنه يخيب بهذا الظنّ، ولن يجده شيئًا يوم القيامة بل يجده سرابًا بقيعة، كما قال الله تعالى: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]،

(١) السالمي، منظومة أنوار العقول في معرفة الأصول، ص٣٥ - ٣٦ (بتصرف).

ويقول تعالى حاسمًا الأمر: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣].

قال الناظم:

٨٩ـ وَمَــنْ مَاتَ مِــنْ غَيْرِ الوَفَــاءِ فَإِنَّهُ يُكَبْكَبُ فِي ذَاتِ السَّعِيرِ عَلَى الذَّقْنِ

قوله: (وَمَنْ مَاتَ مِــنْ غَيْرِ الوَفَــاءِ فَإِنَّهُ): أي أن من مــات من المكلَّفين وفارقت روحه بدنه وهو غير موَفٍّ بجانب العمل اتكالًا على الإيمان القولي فقط، وعملًا بالمعاصي رجاء أن التوحيد وحده ينجيــه؛ فإنه يوم القيامة من الذين يقول الله تعالى عنهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ [هود: ٢١ ـ ٢٢].

وقوله: (يُكَبْكَبُ فِي ذَاتِ السَّــعِيرِ عَلَى الذَّقْنِ): أي مَن لم يوَفِّ بدين الله تعالى ومات على ذلك فإنَّ مصيره دخول النار والخلــود فيها أبدًا، ومن هنا نقول: إن الجنة لا يدخلها إلا موفٍ بما عليه من دين الله تعالى وتائبٌ من كل معصية اقترفها، وأن الجنة لا يدخلها عاصٍ، وأن العصاة في النار خالدين فيها أبدًا كما أخبرنا الله تعالى بذلك في نصٍّ صريــح لا يقبل الجدل، حينما قال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النســاء: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣].

فإن قيل: إن الإنسان غير معصوم من الخطأ والذنوب فمَن ذا الذي يدخل الجنة وهو لم يَعصِ؟.

فنقول: إن الجنة لا يدخلها عاصٍ مصرٌ على معصيته غيرُ تائبٍ منها، ولا يريد التوبة منها في حياته حتى جاءه الموت ونزل بــه، كما أخبرنا الله تعالى بذلك، وأما من تاب من ذنبه قبل موته فهو كمن لا ذنب له أصلًا ويدخل الجنة

وهو طاهر مطهرٌ من الذنوب والمعاصي، كما ذكر الله تعالى ذلك في آيات سورة الفرقان، وقد سبق ذكرها.

قال الناظم:

٩٠ - وَمَنْ لَمْ يَدِنْ بِذَا فَلَا دِينَ عِنْدَهُ أَبَى اللهُ إِلَّا ذَا فَآسِ أَوِ اخْسِنِ

قوله: (وَمَنْ لَمْ يَدِنْ بِذَا فَلَا دِينَ عِنْدَهُ): أي مَن لم يعتقد ذلك عقيدة ويدن به دينًا من المكلَّفين، بذا أي (أن الإيمان قول وعمل ولا يدخل الجنة إلا موَفٍّ)، فهذا كمن لا دين عنده، أي لا يدين بدين الله تعالى على حقيقته، وذلك لأنه معارضٌ لنصوص كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم ﷺ، التي تنصُّ على أن الجنة لا يدخلها عاصٍ مصرٌّ على معصيته غير تائب منها حتى جاءه الموت، وهو تاركٌ للعمل الصالح متكلٌ على الإيمان القولي فقط في النجاة، ولو لم يُتبِعه بعملٍ صالح.

وقوله: (أَبَى اللهُ إِلَّا ذَا فَآسِ أَوِ اخْسِنِ): أي لا يرضى الله تعالى إلا هذا الاعتقاد من المكلَّفين ومن حاد عنه فإنه لا يوصف بوصف النجاة يوم القيامة، ولك الخيار في عصيان هذا المعتقد أو أن تحسن باعتقاده وامتثاله، والأصل في (أَبَى): أي امتنع، ولكن في حق الله تعالى يقال لا يرضى كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

ونحن معاشر الإباضية دنَّا لله تعالى بهذا المعتقد وهو أنه من عَمل سوءًا يجزَ به، وأن الجنة للمتقين ولا يدخلها غير المتقي، وأن المعصية والإصرار عليها حتى الموت تخالف التقوى، ولا يدخل الجنة عاصٍ، وأن من دخل النار فهو خالدٌ مخلَّدٌ فيها لا خروج له منها، وأن الشفاعة للمتقين وليست لأهل الكبائر، وأن الله حقٌ والجنة حقٌ والنار حقٌ والنبيين حقٌ ومحمدًا ﷺ حقٌ، وأن

الله يبعث من في القبور ويجازي كل عامل بعمله، على هذا نحيا وعليه نموت وعليه نبعث، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمـران: ٥٣]، ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

❁❁❁

الفصل الرابع
في ذكر وجوب معرفة أنواع الكبائر

قال الناظم:

٩١- أَلَا فَرْزُ مَا بَيْنَ الكَبَائِرِ وَاجِبٌ عَلَى النَّاسِ فَاحْفَظْ مَا أَقُولُ وَدَوِّنِ

قوله: (أَلَا فَرْزُ مَا بَيْنَ الكَبَائِرِ وَاجِبٌ): أي أن التمييز والفصل بين الكبائر من الذنوب من حيث معرفة عقابها وقبحها وأحكام مقترفيها، أمرٌ واجبٌ على المكلَّف، كي يحذر من الوقوع فيها، والكبائر من الذنوب سبق تعريفها بأنها: «ما اقترن به وعيدٌ أو لعنٌ، أو وجب على فاعله حدٌّ جاء ذلك في الكتاب أو السنة أو أجمعت على ذلك الأمة، أو كانت فيه مفسدةٌ مساويةٌ أو راجحةٌ على ما اقترن به وعيدٌ أو لعنٌ أو شتمٌ أو وجب به حدٌّ في الدنيا»[1].

وقوله: (عَلَى النَّاسِ فَاحْفَظْ مَا أَقُولُ وَدَوِّنِ): أي أن هذا الأمر فرضٌ واجبٌ على جميع الناس المكلَّفين، فاحفظ ما أقوله لك، أي صُنْ ذلك واضبطه، ولا تكن مترددًا ومتحيرًا فيه فإنه الحق المبين، (وَدَوِّنِ): أي اكتب ذلك في دفترك ومذكرتك حتى تكون حافظًا له ضابطًا صدرًا وكتابًا، والأمر بالتدوين فيه إشارة إلى الثقة الكبيرة في صحة ما يقول وما يعتقد، وأنه هو الحق المبين الذي يستند إلى الأدلة القطعية من الكتاب والسنة ومقتضيات العقول السليمة والنفوس الزكية.

قال الناظم:

٩٢- فَمَنْ كَذَّبَ الرَّحْمنَ فِي الوَحْيِ مُشْرِكٌ وَنَافَقَ كَذَّابٌ عَلَيْهِ فَبَيِّنِ

قوله: (فَمَنْ كَذَّبَ الرَّحْمنَ فِي الوَحْيِ مُشْرِكٌ): أي مَن نسب الكذب إلى الله تعالى فيما نزل به الوحي الشريف على قلب نبينا محمد ﷺ فحكمه

---

(١) القنوبي، دروس شرح بهجة الأنوار (مادة سمعية).

الشرك أبدًا، (والكذب): هو مخالفة الخبر الواقع[١]، والمرء قد لا يُكذِّب الله تعالى صراحة، وإنما يقول بقول يخالف فيه النصَّ الصريح القطعي، فيكون كمن كذَّب الله تعالى في خبره وفي قوله الحكيم، وكذا من دواعي تكذيب الله تعالى تكذيب رسوله ﷺ، فمن كذَّب الرسول ﷺ فيما جاء به من عند ربه تبارك وتعالى فهو أيضًا مكــذِّبٌ لله تعالى فيما أخبرنا بــه بأن نبيه ﷺ بلغ ما أرسل به للناس.

يقول الإمام أبو مســلم البهلاني في كتابه «**نثار الجوهر**»: «... وأشرك مَن قال: إنَّ رسول الله ﷺ كَتَمَ شيئًا أوحاه الله إليه من الشرع»[٢].

وقوله: (وَنَافَقَ كَذَّابٌ عَلَيْهِ فَبَيِّنِ): أي ومَن كَذَبَ في خبره عن الله تعالى، أو ادعى شــيئًا على الله تعالى ليس يوافق الواقع ولا النصوص الشرعية فإنه عندنا فاسقٌ منافقٌ، كافرٌ كفر نفاق لا كفر ملة ما دام أنه يتأوَّل بعض النصوص الشــرعية، ومن هنا تعرف انقسام الكفر إلى قسمين كما ســيذكر الناظم في البيت الآتي.

قال الناظم:

٩٣ - فَشِــرْكُ مَسَــاوَاةٍ وَشِــرْكُ جُحُودِهِ وَخُلْــفُ نِفَــاقٍ أَوْ خِيَانَــةُ خَائِنِ

قوله: (فَشِرْكُ مَسَاوَاةٍ وَشِــرْكُ جُحُودِهِ): أي إن أردتَ أيها المكلَّف معرفة أقسام الكفر فهما قسمان: كفر شــرك، وكفر نعمة، وأول أنواع الكفر هو كفر الشرك، وهو ينقسم أيضًا إلى قسمين: شرك جحود، وشرك مساواة، **وأما النوع الأول الجحود**: فهو جحود وجود ما علم من الدين بالضرورة، كجحود وجود

---

(١) الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ)، التعريفات، وضع حواشــيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة: الرابعة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ١٨٣.

(٢) أبو مسلم، نثار الجوهر، ج١ ص١٢٦.

الله تعالى رأسًا، أو جحود إفراده بالوحدانية والألوهية والعبادة، أو جحود وجود الجنّ أو الملائكة أو الرسل أو الجنة أو النار، أو ما شابهه من الجحود وعدم التصديق والإيمان.

وأما النوع الثاني من نوعي الشرك فهو شرك المساواة، فهو المساواة بين الله تعالى وغيره في الصفات والوجود والذات أو في العبادة، أو المساواة بين ما لا يجوز جهله مما علم من الدين بالضرورة وبين ما يجوز ويسع جهله.

وقوله: (**وَخُلْفُ نِفَاقٍ أَوْ خِيَانَةُ خَائِنِ**): أي أن النوع الثاني من أقسام الكفر هو كفر النعمة، وهو ما يسمى بكفر النفاق، وهو كفر العصيان وعدم الطاعة، وهو كفر غير مخرجٍ من ملة الإسلام، (**وَخُلْفُ نِفَاقٍ**): أي التخلف عن الطاعة وارتكاب المعصية مكانها، وهذا النفاق هو النفاق العملي لا الاعتقادي، (**خِيَانَةُ خَائِنِ**): أي نفاق الخيانة، وهو خيانة النعمة وعدم شكرها وعدم توظيفها في طاعة الله تعالى، فالمنافق خائن لعدم وفائه بالميثاق الغليظ الذي واثقه الله تعالى به.

قال الناظم:

٩٤ - وَنَاكِرُ غَيْرِ اللهِ أَشْرَكَ بِالَّذِي يُحَاوِلُ مِنْ هَدْمِ الصِّفَاتِ التِي يبنِ

قوله: (**وَنَاكِرُ غَيْرِ اللهِ أَشْرَكَ**): أي كما قلنا سابقًا أن الجاحد لله تعالى مشرك، وكذا الجاحد لغيره مما علم من الدين بالضرورة، كجاحد وجود الملائكة أو الجنّ أو الأنبياء والرسل أو الجنة أو النار، فكذا له نفس الحكم من الشرك.

وقوله: (**أَشْرَكَ بِالذِي يُحَاوِلُ مِنْ هَدْمِ الصِّفَاتِ التِي يبنِ**): أي أنه مشركٌ لأنه يحاول هدم الصفات العلية لله تعالى، وإبطال اتصاف الله تعالى بالكمالات، فجحده وجود الملائكة أو الجنّ يستلزم القول بعدم خلق الله

تعالى لها، وجحد وجود الأنبياء والرسل يستلزم إنكار اتصافه تعالى بإرسالها، وجحد وجود الكتب يستلزم إنكار اتصافه تعالى بإنزالها، والمرء المكلَّف مأمورٌ بالإيمان بكل ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

قال الناظم:

٩٥- وَمَنْ صَادَمَ الْمَنْصُوصَ بِالرَّدِّ مُشْرِكٌ وَمَنْ أَخْطَأَ التَّأْوِيلَ نَافَقَ بِالْمَيْنِ

قوله: (**وَمَنْ صَادَمَ الْمَنْصُوصَ بِالرَّدِّ مُشْرِكٌ**): هنا يبدأ الناظم رحمه الله بضرب بعض الأمثلة على ما سبق ذكره من أقسام الكفر، فذكر المثال الأول وهو: (**مَنْ صَادَمَ الْمَنْصُوصَ بِالرَّدِّ**): أي كل من صادم وعارض مقتضى النص الشرعي معارضة سافرة لا يمكن أن تحتمل تأويلًا، فإنه رادٌّ لنصٍّ شرعيٍّ صريح الدلالة، والرادُّ للنص الشرعي من غير تأولٍ فهو (**مُشْرِكٌ**) خارج من الملة؛ لأنه مكذِّبٌ لله تعالى فيما أخبر به، ومكذِّبٌ لرسول الله ﷺ فيما جاء به من عند ربه تبارك وتعالى، ويشترط في النصِّ الشرعي الذي يُحكم بشرك رادِّه ومصادمه أن يكون قطعيَّ الدلالة، وقطعيُّ الدلالة هو ما كانت دلالته دلالة نصٍّ، وهي التي لا تحتمل غير المعنى المتبادر إلى الذهن من أول وهلة، وكذا يقال في الاجتهاد في المنصوص عليه مثل سابقه، فلا اجتهاد مع النصِّ.

وقوله: (**وَمَنْ أَخْطَأَ التَّأْوِيلَ نَافَقَ بِالْمَيْنِ**): أي أن مَن تأوَّل النصَّ الشرعي فأخطأ مراد الله تعالى وأخطأ الصواب، فإنه منافق عاصٍ بمصادمته النصَّ الظاهر والمراد، أي مَن فسَّر الدليل على خلاف ظاهره الذي يدل عليه سواء كان هذا المعنى الظاهر حقيقة أو مجازًا؛ فإن هذا المخطئ بتأويله النصَّ

المصادم لظاهره عاصٍ بذلك، أي بقوله وفعله، فهو إذًا عاصٍ بقوله الذي ذهب إليه، ولا يرفع عنه حكم الفسق والضلال ما تستر به من التأويل المخالف للظاهر، وهو عاصٍ بفعله أي بعمله بذلك التفسير الذي خالف به ظاهر النصّ الشرعي بلا مسوِّغ معتبر، و(بِالْمَيْنِ): أي الخطأ الذي وقع فيه بتأويله البعيد هذا، وأصل (الْمَيْنِ) بفتح الميم المعجمة هو الكذب، فبكذبه على الله تعالى ورسوله ﷺ في تأويل النصّ الشرعيّ.

قال الناظم:

٩٦- وَمَنْ رَدَّ حَرْفًا أَوْ رَسُولًا فَإِنَّهُ   بِرَدِّ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ كَفِرْعَوْنِ

قوله: (وَمَنْ رَدَّ حَرْفًا أَوْ رَسُولًا): أي من الأمثلة على كفر الملة وهو شرك الجحود هنا، هو مَن ردَّ من المكلّفين حرفًا من كتاب الله تعالى، أو كذّب رسولًا من رسل الله تعالى بعد قيام الحجة به، فهو مشركٌ بحدثه هذا.

فقوله: (فَإِنَّهُ بِرَدِّ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ كَفِرْعَوْنِ): أي أن الرادَّ لرسول من رسل الله تعالى أو بجميع الرسل والأنبياء فإنه مشرك كافر كفر ملة كفرعون مصر زمن نبي الله موسى عليه السلام، الذي علا وتكبّر وكذّب وجحد، وتشبيه الراد لرسول من رُسل الله تعالى، أو حرفًا من كتاب الله تعالى، أو صادم النصّ الشرعي وعارضه بفرعون اللعين في العصيان والكفر؛ لأن فرعون ردَّ النص وكذّب الرسل بعد قيام الحجة عليه أنهم رسل الله تعالى إليه.

الحذر من التأويل الخطأ وألوان الحداثة:

وردُّ النصِّ الشرعي الصريح كذبٌ على الله تعالى، والواقع أن الكذب على الله تعالى له مرتبتان: الكذب على الله في الألفاظ، والكذب على الله في المعاني، أي تحريف التنزيل وتحريف التأويل، فتحريف التنزيل يكون في الألفاظ، وتحريف التأويل يكون في المعاني.

فالكذب على الله في الألفـاظ، كما في الوضع فـي الحديث، قد أقام علماء الإسـلام لمقاومته «علوم السـنة النبوية»، وأما الكذب على الله في المعاني، كما في تأويل الكلم عن مواضعه، فقد أقام علماء الإسلام لمقاومته علمي «العقيدة» و«الفقه».

والكذب على الله في المعاني، منتشـرٌ كثيرًا بين النخبة المثقفة ومتفقهة التغريب الواقعين تحت سـلطة الثقافة الغالبة، حيث يسـطون على نصوص الوحي فيفسـرونها دون اسـتيعاب لبقية النصوص الشـرعية الأخرى، ودون استيعاب لتفسير الصحابة وأئمة التابعين، ودون تفطن لمواضع الإجماع، بل بعضهم يفسر الآيات القرآنية بما يعارض تفسير رسول الله ﷺ لها!. فكثيرٌ ممن يطرح قراءات للشريعة والتراث وهو واقع تحت سلطة الثقافة الغالبة يَؤُول به الأمر تدريجيًا أثناء تأويل النصوص إلى نسبة معانٍ ومفاهيم لله ورسوله مكذوبة عليهما، وهذه هي الكارثة حقًا(١).

والتسليم للنص الشرعي ليس مجرد الإيمان بأن القرآن كلام الله، وبحجية سنة النبي ﷺ الذي يتفق عليه عموم المسلمين، بل هو التزام وانقياد يتبع كمال الإيمان، فيزداد مع زيادة الإيمان، ويضعف مـع ضعفه، فكلّما زادت في قلب المؤمن الخشية والتعظيم واليقين زاد تسليمه، وكلما ضعفت ضعف تسليمه وإن لم يخرج عن أصل التسـليم، ولهذا تجد عامة آيات القرآن الكريم التي تنصُّ على لفظة (التسليم)، أو تحمل معناها إنما جاءت في سياق خطابها للمؤمنين.

فالتسليم للنصّ الشرعي قاعدة يقتضيها الدليل والمنطق العقلي الصحيح، فهذا كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وقد دلَّ العقل أنه رسول من عند الله، فكمال

---

(١) السكران، إبراهيم بن عمر السـكران، سـلطة الثقافة الغالبة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص٣٨ ـ ٣٩ (بتصرف).

التسليم من كمال العقل، فلا بدَّ من اتباعه والسير على هداه للوصول إلى الحق، فهو تسليمٌ واعٍ عقلاني[١].

وقد اجتهد العلماء الراسخون في وضع القواعد والأصول التي تضبط عملية الفهم والاستنباط، لتصحيح الاستدلال، وقطع الطريق عن عبث المارقين والمفسدين، ممن يتبعون المتشابه، ويضربون كتاب الله بعضه ببعض، ويغالطون في وجوه الاستدلال وطرق الاستنباط، ممن يدعون العلم والفهم، ويسفهون آراء الراسخين، ويريدون القفز على الأصول، وتحطيم الثوابت والمسلَّمات، ولا يزال هذا الاتجاه المنحرف، وتلك الآراء المعتوهة والطروحات الشاذة، تتجدد على مرِّ العصور، وتخرج بأثواب مختلفة، ودعاوى متنوعة، سالكة سبل أهل الأهواء السابقين، ومستعينة بالأساليب العصرية، والمناهج الحديثة.

ولقد كان من أبرز تلك الدعاوى التي لقيت رواجًا في العصر الحديث الدعوة إلى تعدد القراءة للنص الشرعي، والزعم بأن النص الشرعي مفتوح يقبل جميع القراءات، وشتى التأويلات، ويحتمل سائر ما تنتجه العقول البشرية من أفهام وتفسيرات تسعى لتجعل النصَّ متوافقًا مع شهوات العصر، فعنوان صلاحية الشريعة ـ عندهم ـ لكل زمان ومكان قبولها للتأويلات والقراءات المتنوعة من سائر الاتجاهات والمذاهب[٢].

---

(١) العجلان، فهد بن صالح العجلان، التسليم للنص الشرعي والمعاوضات الفكرية المعاصرة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية: ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص٨ وص١٣ ـ ١٤ (بتصرف).

(٢) الغصن، سليمان بن صالح الغصن، إعادة قراءة النص الشرعي واستهدافه في الفكر العربي المعاصر، دار كنوز إشبيليا، الطبعة الأولى: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص ١٧٧.

قال الناظم:

٩٧ - أَلَا كُلُّ شَــيْءٍ ذَاهِبٌ مِنْــهُ بَعْضُهُ فَفِــي بَعْضِــهِ مُسْــتَمْتَعٌ لِلْمُرَقِّــنِ

قوله: (أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ذَاهِبٌ مِنْهُ بَعْضُهُ): أي أن كلَّ أمرٍ مركبٍ من أجزاء إن ذهب بعض أجزائه فيمكن الانتفــاع بما بقي من أجزائه الأخــرى، كما يبيِّن الناظم ذلك في الشطر الآتي.

في قوله: (فَفِي بَعْضِهِ مُسْــتَمْتَعٌ لِلْمُرَقِّنِ): أي ما ذهــب جزءٌ منه فيمكن الانتفاع والاستمتاع بما بقيَ من أجزائه الأخرى التي لم تذهب، (لِلْمُرَقِّنِ): أي للعامل الذي عمله.

قال الناظم:

٩٨ - سِــوَى الدِّينِ مَهْمَا زَالَ مِنْــهُ أَقَلُّهُ مَضَى كُلُّهُ وَالبَعْضُ مِنْ ذَاكَ لَا يُغْنِ

قوله: (سِوَى الدِّينِ مَهْمَا زَالَ مِنْهُ أَقَلُّهُ مَضَى كُلُّهُ): أي ما ذكرنا من أن كلَّ أمرٍ يمكن الاســتمتاع ببعض أجزائه إن ذهبت الأخــرى، ذلك في غير الدين والعبادات، فالدين منظومة متكاملة إن ترك بعضه انهدم كلُّه؛ لأن الدين الكامل المنجي لصاحبه يوم القيامة هو ما كان صاحبه موفيًا بأداء ما يجب عليه فعله كاملًا غير منقوص، وما كان تاركًا صاحبه ما حرِّم عليه فعله جميعًا، وما كان صاحبه تائبًا مما اقتــرف من الحرام ومات على التوبــة النصوح والوفاء؛ فإن اختلَّت هذه الشروط أو بعضها سقط الدين ولم يكمل لصاحبه.

وقوله: (وَالبَعْضُ مِنْ ذَاكَ لَا يُغْنِ): وهذا تأكيدٌ على ما مضى ذكره من أن في أمر الدين لا ينفع القيام ببعض الأداء وترك البعض، فما تم أداؤه لا يغني صاحبه ما دام مصرًا على ترك البعض الآخر، ولا يقوم مقامه ومسده.

❁❁❁

الباب التاسع

في ذكر معرفة الملل الست

قال الناظم:

٩٩ - **وَقَدْ شَدَّدُوا فِي جَاهِلِ الْمِلَلِ الأُولَى وَأَحْكَامِهَا وَالْجَهْـلُ مُجْتَمَعُ الأَفْنِ**

قوله: (**وَقَدْ شَـدَّدُوا فِي جَاهِلِ الْمِلَلِ الأُولَى**): أي أن بعض العلماء أوجب على المكلَّف بتأكيدٍ وتشديدٍ معرفة الملل الست جميعها، و(**الْمِلَلُ**): جمع مِلةٍ بمعنى الدين، وأصلها ما أملاه الملَك على الرسول وأملاه الرسول على أمته من شـرع الله تعالى، وأطلقت على جميـع النحل، والملـل المقصودة هي: **الإسلام، واليهودية، والنصرانية، والصابئة، والمجوسية، وعبادة الأصنام.**

وقوله: (**وَأَحْكَامِهَا وَالْجَهْلُ مُجْتَمَعُ الأَفْنِ**): أي أوجبوا على المكلَّف معرفة الملل الست وأحكامها، ولا يجوز عندهم جهلها وجهل أحكامها، بل الجهل أعظم العيب والعـار، و(**الأَفْنِ**): العيب والعار، الـذي يلحق الجاهل بأحكام الملل الست.

بينما ذهب بعض العلماء إلى القول أن معرفة الملل ليست من ضروريات الدين، وهي داخلة فيما يسع جهله من الأحكام الشرعية والمعتقدات الدينية، وهذا القول من الحجة بمكان؛ إذ لـم يؤثر قط عن النبي ﷺ عندما كان يدعو إلى الإسلام أنه يُلقِّن الناس معرفة هذه الملل، ويشرح لهم أحكامها، ولا أثر ذلك عن أحدٍ من الصحابة ﷺ[1].

---

(١) الخليلي، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، ص١٧٧.

يقول سماحة الشيخ الخليلي في «شرح غاية المراد»: «وبالجملة فإن معرفة هذه الملل وأحكامها مما يجب على الإنسان بعد أن تقوم بذلك الحجة ويتضح له المقصد ويتيسر له الفهم، وإلا فهي كسائر الأحكام الشرعية والعقائد الدينية التي يكفي الإيمان بها إجمالًا، ما لم تقم عليه الحجة بتفصيلها، وما لم يقع في مخالفة المشروع بالإقدام على ما لم يأذن به الحق، كما جاء في الأثر في أنواع المحارم: «يسع الناس جهل ما دانوا بتحريمه؛ ما لم يركبوه أو يصوبوا راكبه أو يتبرؤوا من عالمٍ تبرأ من راكبه أو يقفوا عنه...»[1].

قال الناظم:

١٠٠- وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي سُورَةِ الْحَجِّ سِتُّهَا وَأَحْكَامُهَا مَشْرُوحَةٌ فِي الْمُدَوَّنِ

قوله: (وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي سُورَةِ الْحَجِّ سِتُّهَا): أي أن هذه الملل الست ذكرت مجموعة في سورة الحج الشريفة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]، فهذه هي الملل الست التي عناها الناظم في أبياته.

وقوله: (وَأَحْكَامُهَا مَشْرُوحَةٌ فِي الْمُدَوَّنِ): أي أن أحكام هذه الملل الست مدوَّنة في كتب العلم ومصنفاته، وهي مبسوطة ومشروحة ومقررة غاية تقرير ومحررة غاية تحرير، وقد ذكرنا الخلاف بين علمائنا في وجوب معرفة هذه الملل الست وأحكامها كما تقدم.

---

(١) الخليلي، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، ص١٧٨.

اسم الملة أحكامها

الإسلام	هم أهل الإسلام الذين آمنوا بالله ربًا ومحمد رسولًا والإسلام دينًا، وماتوا على ذلك.
اليهودية	هم اليهود أهل التوراة، يُسالمون إذا أدوا الجزية عن صَغَار بعدما يُعرض عليهم الدخول في الإسلام؛ فإن أبــوا فعليهم الجزية، وتؤكل ذبائحهم إن ذكروا اسم الله عليها، وتنكح الحرائر منهم إن كانوا مسالمين للمسلمين، لكن لا تحل لهم المسلمات.
النصرانية	هم النصارى أهل الإنجيــل، يســالمون إذا أدوا الجزية عن صَغَار بعدما يُعــرض عليهم الدخول في الإســلام؛ فإن أبوا فعليهم الجزية، وتــؤكل ذبائحهم إن ذكروا اســم الله عليها، وتنكح الحرائر منهم إن كانوا مســالمين للمسلمين، لكن لا تحل لهم المسلمات.
الصابئة	هم الصابئون عبدة الكواكــب، حكمهم كحكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى.
المجوسية	هم المجوس عبدة النار، حكمهم كاليهود والنصارى من حيث الجزية فقط، ولا تحل ذبائحهم ولا نساؤهم وإن دانوا بالجزية.
الشرك	هم أهل الشــرك والأوثان والملاحدة، لا تؤخذ منهم الجزية ولا تحل ذبائحهم ولا نســاؤهم، ولا تحل لمشــركٍ مسلمة كأهل الكتاب في هذا.

ملحوظة: هذه الأحكام المذكورة في هذه الملل الخمس ما داموا مسالمين للمسلمين، أما في حالة كونهم حربًا للمسلمين فحكمهم واحد لا يتبدل، وهو: قتل مقاتليهم، وغنم أموالهم، وسبي ذراريهم ونسائهم.

❁❁❁

الباب العاشر

في ذكر الخوف والرجاء

قال الناظم:

١٠١- فَحُكْمُ الرَّجَا وَالْخَوْفِ فَرْضٌ مُضَيَّقٌ ... وَيَجْتَمِعَا فِي الْقَلْبِ كَاثْنَيْنِ فِي الْقَرْنِ

قوله: (فَحُكْمُ الرَّجَا وَالْخَوْفِ فَرْضٌ مُضَيَّقٌ): أي أن الرجاء في ثواب الله تعالى على فعل الطاعة، والخوف من عقاب الله تعالى على فعل المعصية واجبان متحتّمان على المكلّف، لا يسعه التفريط فيهما ولا في واحدٍ منهما، والخلاف في تغليب أحدهما على الآخر كما سنذكر بعد قليل، وكونهما من الفروض المضيّقة فيجبان على الفور لا على التراخي.

وقوله: (وَيَجْتَمِعَا فِي الْقَلْبِ كَاثْنَيْنِ فِي الْقَرْنِ): أي أن الخوف من عقاب الله والرجاء في ثواب الله يصح أن يجتمعا في القلب، أو لا بدَّ من أن يجمع المكلّف بينهما في قلبه، كأنهما اثنان متقارنان في مكان وزمان واحد.

ومثال على اجتماع الخوف والرجاء في قلب المكلّف: كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢]، فهذا وعدٌ من الله تعالى بصيغة المبالغة (غفّار) على وزن (فعّال)، فالمكلّف يرجو ثواب الله تعالى لأن وعد الله تعالى منجزٌ محققٌ فالله لا يخلف الميعاد، ولكن يبقى المكلّف على خوف من تقصيره في التوبة، لأنّ هذا الوعد لمن تاب فقط، فيبقى المرء على خوف: هل تاب حقًّا، فيكون بين الخوف والرجاء طوال حياته، قال تعالى

مدللًا على اجتماعهما معًا في قلب المؤمن: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

واختلف العلماء أيهما يُغلِّب المكلَّف في حياته هل الخوف أو الرجاء؟.

قيل: يُغلِّب الخوف على الرجاء، **وقيل:** يُغلِّب الرجاء على الخوف، **وقيل:** يساوي بينهما في قلبه، **وقيل:** يساوي بينهما في قبله إلا في لحظة النزع الأخير فهناك يُغلِّب الرجاء؛ إذ لا عمل بعدها.

قال الناظم:

١٠٢ـ هُمَا مِلْكُ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ كُلِّهَا فَإِنْ عُدِمَا فِي الْفَرْضِ أُحْبِطَ بِالْوَهْنِ

قوله: (**هُمَا مِلْكُ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ كُلِّهَا**): أي ملاك أمر الفرائض كلّها هما الخوف والرجاء، أي أن الخوف والرجاء هما الدافعان لفعل الفرائض سواءً فرائض الفعل أو فرائض الترك، ففعل المكلّف للطاعة إنما هو بدافع الرجاء في ثواب الله تعالى الذي أعدّه لمن عمل الطاعة، والخوف من عقاب الله تعالى على من ترك الطاعة، وكذا الحال في ترك المعصية رجاء ثواب الله الذي أعدّه لمن نهى نفسه عن الهوى والعصيان، وخوفًا من عقاب الله تعالى الذي توعّد به من ارتكب المعصية.

وقوله: (**فَإِنْ عُدِمَا فِي الْفَرْضِ أُحْبِطَ بِالْوَهْنِ**): أي إن عُدِمَ أي فُقِدَ كلٌّ من الخوف والرجاء من قلب المرء المكلّف في أدائه الفرائض أحبط، أي بَطَلَ هذا العمل بذلك الوهن، أي الضعف الذي حلَّ به، وذلك بسبب فقدان الدافع للعمل الصالح أو الدافع لترك العمل السيء، فالعمل الذي لا يستشعر فيه المرء ثواب الله تعالى ويرجوه، لا شكَّ أنه ولو عَمِلَه لكان

غير متقنٍ وفيه من الضعف ما فيه، وبالتالي فهو معرض للإحباط والرد على صاحبه لعدم إتقانه.

قال الناظم:

١٠٣ـ يَخَــافُ بِــأَنْ لَا يَقْبَلَ اللهُ سَــعْيَهُ وَيَرْجُو عَلَى الطَّاعَاتِ أَجْرًا بِلَا مَنِّ

قوله: (يَخَافُ بِأَنْ لَا يَقْبَلَ اللهُ سَعْيَهُ): أي أن حقيقة الخوف هو: أن يخاف المكلَّف العامل المتوّجه بعمله إلى الله تعالى وحده بأن لا يقبل الله تعالى سعيه وعمله بسبب تقصيره وجهله بالوفاء بحقه كاملًا، (والخوف): هو شعور داخلي في النفس ناتج من توقع حلول مكروهٍ أو فوات محبوب[1]، يورث انقباضًا في القلب، قال تعالى عن مثل هؤلاء: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وقوله: (وَيَرْجُو عَلَى الطَّاعَاتِ أَجْرًا بِلَا مَنِّ): أي أن حقيقة الرجاء هو: أن يرجو المكلَّف بعمله الطاعة والقربة إلــى الله تعالى ثوابه وأجره العظيم الذي وعده إيــاه، (والرجاء): هو الأمل، وهــو تعلُّقُ النفس بحصــول محبوب في المسـتقبل[2]، قال تعالى في أمثال هــؤلاء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فالخوف من عقــاب الله تعالى وفوات الأجر بســبب التقصير في العمل، والرجاء في ثواب الله تعالى وأجره بســبب أداء الطاعــة، موجودان في قلب المؤمن المخلص، لا يستغني عنهما قلبه، فهو بين خوفٍ ورجاءٍ دائمًا، كما قال الله تعالــى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

---

(١) الجرجاني، التعريفات، ص١٠٦ (بتصرف وزيادة).

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص١١٢.

قال الناظم:

١٠٤ـ فَكَفُّكَ عَنْ كَسْبِ الذُّنُوبِ فَرِيضَةٌ صَغِيرٍ كَبِيرٍ مُسْتَسَرٍّ وَمُعْلَنِ

قوله: (فَكَفُّكَ عَنْ كَسْبِ الذُّنُوبِ فَرِيضَةٌ): أي إن ثمرة الخوف من عقاب الله تعالى والرجاء في ثوابه العظيم هو الكفُّ عن اكتساب الذنوب والمعاصي، وهذا الكفُّ عن الذنوب والمعاصي فرضٌ واجبٌ متحتمٌ فوريٌّ؛ وذلك بسبب الوعيد الشديد الوارد في عقاب مَن يعصي الله تعالى ورسوله ﷺ، قال تعالى في بيان عقابه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

قوله: (صَغِيرٍ كَبِيرٍ مُسْتَسَرٍّ وَمُعْلَنِ): أي أن فريضة الكفّ عن الذنوب بصفة عامة الصغائر منها والكبائر المستورة والمعلنة متحتمة على المكلَّف، فلا بدَّ للمكلَّف أن يدين لله تعالى دينونة صادقة بفرضية ترك جميع المعاصي على الإطلاق، دون تفريق بين ذنبٍ وذنبٍ آخر، يترك الصغائر والكبائر مطلقًا، فإن وقع في شيء منها يبادر إلى التوبة والإنابة الصادقة منها، وإلا مات حين يموت مصِرًّا على المعصية.

قال الناظم:

١٠٥ـ وَأَوْكَدُ مِنْهُ أَنْ تَلِي الذَّنْبَ تَوْبَةٌ نَصُوحٌ بِقَلْبٍ نَادِمٍ مُتَمَسْكِنِ

قوله: (وَأَوْكَدُ مِنْهُ أَنْ تَلِي الذَّنْبَ تَوْبَةٌ): أي إن كان الكفُّ عن الذنوب فريضة متحتمة مؤكدة بالنصوص الشرعية الدالة عليها؛ فإن التوبة من الذنوب إن وقع فيها المكلَّف أوكدُ وأشدُّ فرضيةً من فريضة الترك نفسها، وذلك لأن المرء ضعيفٌ مجبولٌ على الخطأ والعصيان، لما ركب فيه من الطبائع والغرائز، فوقوعه في المعاصي والأخطاء مهما كانت درجتها وعظمها مؤكدٌ ولا مناصَ منه، فكان التوبة منها أوجب وأوكد؛ لأنه حثٌّ على ما يمكن عدم وقوعه، فالمرء ليس من الممكن ألا تصدر منه معصية، ولكن من الممكن ألا تصدر

منه توبة من معصيته التي يقع فيها ضرورة جبلية، على أن الوقوع في المعصية ليس ضروريًا بل اختياريًا من المكلَّف نفسه، ولكن عندما كان المكلَّف مركبًا من فطرة تدفعه إلى حب الشهوات، والضعف المركب فيه يدفعه إلى تناسي الزواجر والوعيد الشديد؛ فإن وقوعه في المعصية مع كل هذا كأنه ضرورة تلجئه إليها فطرته الغالبة عليه، لهذا كان الأمر بالتوبة مما يقع فيه أوكد من المنع له عن المعصية، والله تعالى أعلم.

وقوله: (نَصُوحٌ بِقَلْبٍ نَادِمٍ مُتَمَسْكِنِ): وفي هذا الشطر تأكيدٌ على أن تكون هذه التوبة توبة نصوحًا، وذلك من أجل امتثال أمر الله تعالى في ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وللتوبة النصوح أركانٌ أربعةٌ لا بدَّ من تحققها وهي: **النَّدم والاستغفار والعزم الأكيد على عدم العودة إلى المعصية والرجوع بانكسار وخضوع**، كما يقول الإمام السالمي:

أركانها ندم مع استغفار والعزم والرجوع بانكسار[1]

قال الناظم:

١٠٦- فَسِرٌّ بِسِرٍّ وَالعَلَائِنُ مِثْلُهَا كَذَلِكَ قَالَ الْمَاهِرُ الكَاشِفُ الغَيْنِ

قوله: (فَسِرٌّ بِسِرٍّ وَالعَلَائِنُ مِثْلُهَا): أي أن على المكلَّف أن يتوب إلى الله تعالى من كلِّ ذنب كما سبق تقريره، فالتوبة من الذنوب السرية التي عملها المرء في الخفاء تكون بالسر بينه وبين الله تعالى، ومن الذنوب العلنية تكون التوبة علنية.

قوله: (كَذَلِكَ قَالَ الْمَاهِرُ الكَاشِفُ الغَيْنِ): أي هذا التشريع في التوبة السرية تكون بالسر من الذنوب السرية، والتوبة تكون بالعلانية من الذنوب

(١) السالمي، منظومة أنوار العقول في معرفة الأصول، ص٥٤.

الجهرية إنما هو ما قرره قائد الغرّ المحجلين وإمـام المتقين مزيل كل جهل وغين، وكاشف كلّ ضلالٍ وإشكال، ويعني بالماهر الكاشف لكل إشكال هو المشرِّع الكريم لأمته أي رسـول الله ﷺ، وفيه إشـارة إلى ما قرره الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ في قوله في وصيته لمعاذ بن جبل: «وما عملتَ من سوءٍ فأحدث لله فيه توبة: السر بالسر، والعلانية بالعلانية»[1].

وهكذا بيَّن العلماء من هذا الحديث الشـريف أن المشروع في التوبة من الذنوب التي عملها المرء في السـرّ بينه وبين الله أن تكون سرية، والتوبة من الذنوب التي عملها في الجهر جهرية، كما يقول الإمام السالمي:

والتوب مثـل الذنب عـن نبينا　　　سـرًّا وجهرًا هكـذا قـد بُيِّنا[2]

❁ ❁ ❁

(١) المعجم الكبير للطبراني، من حديث عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل، رقم الحديث: ٣٣١.
(٢) السالمي، منظومة أنوار العقول في معرفة الأصول، ص٥٤.

الباب الحادي عشر

في ذكر التقية

قال الناظم:

١٠٧- وَقَالُوا تُقَاةُ الْمَوْتِ فِي الْقَوْلِ جَائِزٌ وَفِي الفِعْلِ مَحْظُورٌ وَلَيْسَ بِمُمْكِنِ

قوله: (وَقَالُوا تُقَــاةُ الْمَوْتِ فِي الْقَوْلِ جَائِـزٌ): أي أن العلماء قالوا ونصُّوا في كتبهم ومصنفاتهم على أن التقية خوفًا من الموت تكون جائزة بالقول فقط؛ وذلك لدفع أكبر الضررين بأخفهما، فالمحافظة على النفس البشرية أوجب وآكد من المحافظة على غيرها، والتقية بالقول لدفع أكبر الضررين وهو الموت دلَّ القرآن الكريم عليها، ومنه استدل العلماء على جوازها، قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقال أيضًا: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، فالإكراه علـى الكفر بالقول مع إيمان القلب تقية من الموت المحتَّم على صاحبه، فيجـوز له أن يترخص بالتقية للإبقاء على نفســه حيًّا، أما إن لم يرضَ ذلك واختار الموت على الكفر باللسان مع اطمئنان القلب بالإيمان فهو لا شكَّ أعظم درجة عند الله تعالى إن كان يطيق ذلك.

من ذلك ما جرى لعمار بن ياسر ﵁: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله ما تركت حتى نلتُ منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف تجدُ قلبك؟» قال: مطمئنًا بالإيمان، قال: «إن عادوا فعد»[١].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، باب: المكره على الردة، رقم الحديث: ١٦٨٩٦.

والتقية تكون بالقول وتكون بالفعل، أما بالفعل فسيأتي الحديث عنها في شرح الشطر الثاني من هذا البيت، أما التقية بالقول: فمنها الجائز، ومنها الممنوع، ومنها المختلف فيه، كما سنذكر ذلك[1]:

أما الموضع الجائز منها: ما كان القول ليس فيه ضررٌ على أحدٍ من البشر، وكان المجبور قد أكره على القول به؛ فإنه يجوز له في هذا الموضع أن يدفع عن نفسه ما يخشاه من القتل ونحوه بالقول الذي طلب منه، ولو كان شركًا.

وأما الموضع الممنوع منها: فهو ما إذا كان في القول ضررٌ على أحدٍ من البشر كإتلاف نفس الغير، أو قطع عضوه؛ فإنه لا تجوز لأحدٍ التقية في هذا الموضع؛ إذ لا يحلُّ لأحدٍ أن ينجيَ نفسه بضرر غيره؛ إذ ليست نفسه أولى بذلك من نفس غيره.

وأما الموضع المختلف فيه منها: فهو ما إذا كان في ذلك القول إتلافٌ لمال الغير؛ كأن يدل الجبار على مالٍ لغيره أن يضيعه، أو يقتله الجبار؛ فإنَّ بعضًا قد أجاز له أن يدله على ذلك مع اعتقاد الضمان له، وبعضٌ منع من ذلك،... والجواز في هذا الموضع أظهر من المنع؛ لأن المال لا يقاوم النفس، والله ﷻ أعلم.

وقوله: (وَفِي الفِعْلِ مَحْظُورٌ وَلَيْسَ بِمُمْكِنِ): أي أن العلماء قالوا ونصُّوا في مصنفاتهم أن التقية لا تجوز بالفعل، فلا يجوز فعل الحرام تقيةً، كحرق نفس الغير أو قتلها أو تغريقها، لو كان ذلك يؤدي إلى قتل نفس المرء نفسه إن لم يفعل ذلك؛ إذ ليست نفسه بأشد حرمة من نفس غيره.

وإنما يجوز التقية بالفعل في الأشياء التي أبيح فعلها للمضطر، كأكل الميتة ونحوها، ويرى الإمام السالمي ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ

---

(١) انظر/ السالمي، بهجة الأنوار، ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

إمكانية التفصيل في قضية التقية بالفعل الذي يُكره عليه الإنسان، فيقول في **«بهجة الأنوار»**:

«إما أن يكون به ضرر بالغير: كحرق النفس وغرقها وقتلها، **وإما أن يكون ليس فيه ضرر بالغير:** لكن فيه إتلاف لمال الغير، **وإما أن يكون ليس فيه ضررٌ بالغير ولا إتلاف لماله.**

فإن كان فيه ضررٌ بالغير فهو الممنوع اتفاقًا، وإن كان فيه إتلاف لمال الغير فيخرج فيه الخــلاف المذكور في جــواز التقية بالقول، بشــرط ضمان ذلك المتلف، والذي ليس فيه ضرر بالغير ولا إتلاف لماله نوعان:

أحدهما: فعل لا يقبل الجبر والإكــراه: بمعنى أنه لا يتأتى فعله عند ذلك كالزنا؛ فــإن فعله لا يصدر إلا عــن اختيار من الرجــل دون المرأة، فلا يحل للرجل التقية به، ولا للمرأة أن تساعد عليه.

وثانيهما: فعل يقبل الإكراه والجبر: وذلــك كأكل الميتة وأكل الدم وأكل لحم الخنزير ونحو ذلك مما أبيح لنا فعله في الاضطرار إليه، فأجاز التقية به قوم، ومنعها به آخرون»[1].

قال الناظم:

١٠٨ـ عَلَى أَنَّهُ فِي القَوْلِ بِالشَّرْطِ حُكْمُهُ ... طُمَأْنِينَةُ الإِيمَانِ فِي القَلْبِ بِالسَّكْنِ

قوله: (**عَلَى أَنَّهُ فِي القَوْلِ بِالشَّــرْطِ حُكْمُهُ**): أي أن التقية جائزة بالقول إن خِيفَ على النفس من الموت المحتوم، وكانت التقية هنا بقول الشرك والكفر بالله تعالى، فالقــول بجوازها لا يكون إلا بشــرط اطمئنــان القلب بالإيمان وسكونه إليه، كما قال الناظم في الشطر الثاني من هذا البيت.

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣.

فقوله: (طُمَأْنِينَةُ الإِيمَانِ فِي القَلْبِ بِالسَّكْنِ): فهو كما قلنا أن القول بجواز التقية بالقول في الشرك عند خوف الموت لا يكون جائزًا إلا بشرط طمأنينة القلب بالإيمان، بدليل قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وكما ذكرنا قصة الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فلم يتركوه حتى سبَّ النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله ما تركت حتى نلتُ منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف تجدُ قلبك؟» قال: مطمئنًا بالإيمان، قال: «إن عادوا فعد»[1]، فمع تحقق اطمئنان القلب رَخَّصَ له النبي ﷺ في العودة لما طلبوه حفاظًا على نفسه من الموت.

قال الناظم:

١٠٩ـ تَعَاهَدْ لِمَكْنُونِ الصُّدُورِ سَرَائِرًا   سَتُسْأَلُ عَنْ مَطْوِيِّهَا بِالتَّعَنْعُنِ

قوله: (تَعَاهَدْ لِمَكْنُونِ الصُّدُورِ سَرَائِرًا): أي راقب أيها المكلَّف ما يكنه ضميرك وصدرك من مكنوناتٍ وأسرارٍ لا يطلع عليها أحدٌ إلا الله تعالى، (تَعَاهَدْ): بمعنى راقب وفتش واحفظ باستمرار، ويراد به صون القلب مما يخفيه من مكنونات الكفر أو الرياء التي تودي به في الدنيا والآخرة، ـ فإن الله تعالى مطلعٌ على ما تكنه ضمائرنا من أسرار، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ويقول تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣ ـ ١٤].

وقوله: (سَتُسْأَلُ عَنْ مَطْوِيِّهَا بِالتَّعَنْعُنِ): أي أن كلَّ ما تكنه الضمائر وتطويه الصدور سيُسأل عنه المكلَّف يوم القيامة؛ إن كان ينطوي على

(١) السنن الكبرى للبيهقي، باب: المكره على الردة، رقم الحديث: ١٦٨٩٦.

شـــركٍ بالله تعالى أو جحدٍ لشـــيء من أمور الدين، فسيُســـأل عنه بالدقة والمبالغة، ولهذا عبّر الناظم عن ذلك بكلمة (بِالتَّعَنْعُنِ): أي سيُسأل عنه بعن وعن، أي عن هذا وعـــن ذاك وعن ذلك، وهذا تعبيـــرٌ يفيد المبالغة وشدة الســـؤال ودقة التحري والتوثق، ومدى التوغل في السؤال عن كل ما دقَّ وجلَّ، والله المستعان.

قال الناظم:

١١٠- فَمَا اسْطَعْتَهُ وَاسْطَعْتَ مِنْ ذَاكَ ضِدَّهُ   فَإِنَّــكَ مَأْخُــوذٌ بِــهِ فَتَحَصَّـــنِ

قوله: (فَمَا اسْطَعْتَهُ وَاسْـطَعْتَ مِنْ ذَاكَ ضِدَّهُ): أي كلُّ عمل استطعت فعله وتركه، ولم يكن عليك عسـيرًا أو لم تكن مضطرًا إليه ضرورة تفقدك الإرادة عن ضدها؛ فإنك لا شـكَّ مأجور أو مأزور على فعـل ما فعلت، وعلى ترك ما تركت إن وافـق الحق أو خالفه، و(الاسـتطاعة): هي القـدرة على الأداء باختيار وإرادة من غير اضطرار.

وقوله: (فَإِنَّكَ مَأْخُوذٌ بِهِ فَتَحَصَّنِ): أي أن المكلَّف مؤاخذٌ على ما اكتسبه من خيرٍ وشـرٍ، فيثاب على الطاعة والخير، ويعاقب على المعصية والشـر، فكلُّ ما يسـتطيع المكلَّف فعله وتركه من الخير والشر هو مؤاخذ عليه حسب حكم الشرع الحنيف في فعله وتركه، فعلى المكلَّف التحصن والتحفظ والتفطن لذلك جيدًا، ولا يكون في هذا الأمر ساهيًا أو متوهمًا أن لا يسأل عما فعل وترك.

قال الناظم:

١١١- فَهَذَا عَلَى الإِيجَازِ فَــرْقٌ وَفَيْصَلٌ   عَلَى مُضْمَرَاتِ الصَّدْرِ خُذْ ذا وَلا تَنِ

قوله: (فَهَذَا عَلَى الإِيجَازِ فَـرْقٌ وَفَيْصَلٌ): أي فهذا الـــذي ذكرته لك أيها المكلَّف من أنك مؤاخـــذ بما فعلته وما تركتـــه إن كان فعلك أو تركك طاعة

فتثاب عليه بالأجر والثواب الجزيل، وإن كان فعلك أو تركك معصية فتجازى عليها بالعقاب المهين، فهذا الذي ذكرته لك على رغم إيجازه واختصاره إلا أنه الفيصل والفرق بين الأمور، حتى تكون على بينةٍ من أمورك كلها.

قوله: (عَلَى مُضْمَرَاتِ الصَّدْرِ): أي هذا البيان هو القول الفصل فيما يخص مكنونات الصدور وطوايات الضمائر وما تحويه السرائر من العقائد والنوايا المستورة، فإنه مؤاخذٌ بما في طياتها من خيرٍ أو شرٍ، يوم القيامة يكشف المستور ويبلى ما في الصدور من خيرٍ وشرٍ.

وقوله: (خُذْ ذا وَلا تَنِ): أي خذْ هذه الأحكام وهذا التوضيح المبني على الأدلة الشرعية الصحيحة، وإن كان موجزًا ولكنه فيه الكفاية والقول الفصل في هذه القضية، فخذ ولا تتوانَ في أخذه واعتقاده والعمل به: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]:

وخذ بكتاب الله حسبك إنه ... دليل مبين للطريق خفيرُ
فما ضلَّ من كان القُران دليله ... وما خاب من سير القُران يسيرُ
تمسك به في حالة السُّخط والرضا ... وطهر به الآفات فهو طهورُ
وحارب به الشيطان والنفس تنتصر ... فكافيك منه عاصم ونصيرُ[1]

❁❁❁

(١) أبو مسلم البهلاني، القصيدة النهروانية.

الباب الثاني عشر

في ذكر قواعد الدين

قال الناظم:

١١٢- وَلَا يُعْبَـدُ الرَّحْمَـنُ إِلَّا بِأَرْبَـعٍ دَعَائِمَ صِدْقٍ ضَـعْ قَوَاعِدَهَا وَابْنِ

قوله: (وَلَا يُعْبَـدُ الرَّحْمَـنُ إِلَّا بِأَرْبَعٍ): أي أن عبادة الله تعالى لا تكون صحيحة ومقبولة إلا إذا توفرت فيها شروطٌ أربعة لا بدَّ منها، وهذا فيه حثٌّ من الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ على طلب العلوم الشرعية والتفقه في دين الله تعالى؛ لأن الله تعالى لا يقبل العبادة غير الصحيحة، والعبادة الصحيحة هي تلك التي تكون وفق ما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ، وقد دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على ضرورة العلم الشرعي من أجل أداء العبادة على الوجه المطلوب من المكلَّف.

وقوله: (دَعَائِمَ صِدْقٍ ضَعْ قَوَاعِدَهَا وَابْنِ): و(الدَّعَائِمُ): هي الأعمدة التي يقوم عليها الشيء، أي لا بدَّ أيها المكلَّف من دعائم أربعة لقيام العبادة الصحيحة، وهذه الدعائم هي قواعد وشروط صحة العبادة التي يتقرب المكلَّف بأدائها طاعة لله ولرسوله ﷺ، وفي هذا البيت تشويق من الناظم للقارئ للتطلع إلى معرفة هذه الدعائم الأربعة التي أشار إليها في بيته هذا.

قال الناظم:

١١٣- عُلُـومٌ وَأَعْمَـالٌ وَوَرْعٌ وَنِيَّـةٌ فَمَا اخْتَـلَّ مِنْهَا فَالثَّلَاثَـةُ لَا تُغْنِ

قوله: (عُلُومٌ وَأَعْمَالٌ وَوَرْعٌ وَنِيَّةٌ): أي أن دعائم عبادة الله تعالى الصحيحة الأربعة التي أشرنا إليها في البيت السابق هي: علومٌ، وأعمالٌ، ونيةٌ، وورعٌ.

أما العلوم: فهي جمع علم، والمراد به هنا: العلم المتعلّق بالدين، سواءً ما تعلّق بالاعتقاد أو الأعمال أو الأخلاق، وسواء ما يتعلّق بالتحلي أو التخلي؛ إذ الدين لا بدَّ لممارسته من إتقانه، ولا يمكنه إتقانه إلا بالعلم[1].

وأما الأعمال: فهي جمع عمل، والمراد به: العمل الصالح الموافق لحكم الله تعالى، وذلك لأن دين الله تعالى ليس نظريًا، وإنما هو منهج تطبيقي عملي.

وأما الورع: وهو اجتناب المحرمات جميعها، وحقيقة الورع هي التقوى، وهي الترفع عن جميع ما حرم الله رغبة فيما عند الله من الأجر والثواب.

وأما النية: وهي إخلاص العمل لله وحده، وهي روح العمل؛ إذ لا قيمة له بدونها.

وقوله: (**فَمَا اخْتَلَّ مِنْهَا فَالثَّلَاثَةُ لَا تُغْنِ**): أي أن هذه القواعد والدعائم التي تقوم عليها صحة العبادة لله تعالى إذا اختل واحدٌ منها، وَفَقَدَ صحته فإن الثلاثة الباقية دونه لا تغني في صحة العبادة المتقرب بها المكلّف شيئًا؛ إذ تكون غير مقبولة بل مردودة على صاحبها؛ لأنه كما قلنا أن هذه القواعد هي بمثابة الأركان التي تقوم عليها صحة العبادة.

وقد ذكر الإمام السالمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه القواعد الأربع في منظومته «غاية المراد» حينما قال:

قواعد الدين علمٌ بعده عملٌ ونيةٌ ورعٌ عن كل ما حُظلا[2]

❁ ❁ ❁

(١) الخليلي، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، ص١٠٧.

(٢) السالمي، منظومة غاية المراد في نظم الاعتقاد، ص٨.

الباب الثالث عشر

في ذكر مغريات ومكائد إبليس وكيفية التخلص منها

قال الناظم:

١١٤ـ فِخَاخُ عَزَازِيلَ اللَّعِينِ ثَلَاثَةٌ دِمَاءٌ وَأَمْوَالٌ وَفَرْجٌ لِمَنْ يَزْنِ

قوله: (فِخَاخُ عَزَازِيلَ اللَّعِينِ ثَلَاثَةٌ): (فِخَاخُ): المكائد والحبائل والحيل، (عَزَازِيلَ اللَّعِينِ): هو إبليس الملعون من رحمة الله تعالى، أي أن مكائد وحبائل الشيطان الرجيم المطرود من رحمة الله تعالى إلى الأبد، إنما هي ثلاثة أمور وهي: الدماء والأموال والفروج، وسيأتي ذكرها بالتفصيل في الشطر الثاني من هذا البيت.

وقوله: (دِمَاءٌ وَأَمْوَالٌ وَفَرْجٌ لِمَنْ يَزْنِ): أي أن حبائل إبليس وحيله ومكائده التي يغوي بها عباد الله تعالى فيوقعهم في المعصية إنما هي بالأمور الثلاثة التي سبق ذكرها: الدماء والأموال والفروج.

أما الدماء: فهو الإغراء لهم بسفك دماء بعضهم البعض، فالإغراء بسفك الدماء إنما هو من عمل الشيطان ووسوسته، بأن يزين لهذا المرء قتل أخيه بغير حق؛ وذلك بتأجيج نار الحقد والبغض طوال الوقت في صدر القاتل ليوصله إلى قتل أخيه الإنسان.

أما الأموال: فهو يغري المرء ويحبب إليه اغتنام الأموال الكثيرة التي يجنيها من وراء المكيدة بأخيه، فالسرقة والسطو والاختلاس والغلول من

أجل أخذ الأمـــوال بطريقة غيـــر مشـــروعة كلُّ ذلك إنمـا هـــو من عمـل الشيطـان فحسب.

أما الفروج: فهو بإغراء المرء بالزنى وتزيين النساء في قلبه حتى تصل به الشهوة إلى الوقوع في الفاحشة، وكلُّ ذلك من خطوات الشيطان، مع ما جبل عليه الإنســان من حبِّ ذلك كله، كما أخبرنا الله تعالى بذلك في قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

قال الناظم:

١١٥ـ تَعَفَّفْ عَنِ الأَمْوَالِ مَا اسْطَعْتَ جَاهِدًا ... لِقَبْضٍ وَبَسْـطٍ أَوْ لِظَهْرٍ وَفِي بَطْنِ

وفي هذا البيت والأبيـات التي تليه يبيِّن الناظـم رحمه الله بعدما بيَّن مكائد الشيطان وحبائله التي يوقع بها الناس في المعصية، والمتمثلة في أكل الأموال وسفك الدماء وانتهاك الفروج المحرمة، فيبدأ الناظم بموعظة في أكل الأموال بغير وجه حق.

فيقول: (**تَعَفَّفْ عَنِ الأَمْوَالِ مَا اسـطَعْتَ جَاهِـدًا**): أي يا أيها المكلَّف إن أردتَ النجاة في الدنيـا والآخرة والفرار من مكائد الشـيطان، فأول الأمر أن تتعفف عن أموال الناس من الأكل الحرام مجتهدًا في ذلك، ما اسـتطاع إلى ذلك سبيلًا ولا بدّ، وهذا التعفف يكون باجتناب أكل أموال الناس أو بإتلافها، فعليك أيها المكلَّف الكفُّ عن أموال غيرك قدر طاقتك وجهدك وقدرتك، قال الله تعالـى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وهذا التعفف عن أموال الناس يكون تعففًا عامًا، أي يشمل ما كان إتلافه بالأكل أو اللبس أو الأخذ أو الإعطاء والتبذير، ولهذا بيَّن الناظم ذلك في الشطر الثاني لهذا البيت.

فقال: (لِقَبْضٍ وَبَسْطٍ أَوْ لِظَهْرٍ وَفِي بَطْنِ): القبض: هو الأخذ والقُنية والاكتساب والادخار والاقتناء، أي يجب عليك أيها المكلَّف أن تتعفف عن أخذ أموال الناس وإتلافها بسلبها من أصحابها وتملكها واستهلاكها، و(البسط): هو البذل والإعطاء والصرف والتبذير، أي ويجب عليك أيضًا التعفف عن أموال الناس عن إتلافها بدفعها وإعطائها للغير، أو تبذيرها حتى تنفد ولا يبقى منها شيء، وهذه الأموال كان مما يظهر على الإنسان من لباس وزينة، أو كانت هذه الأموال ممن لا يظهر كالأكل والشرب، أي تعفف بصفة عامة عن كلِّ أموال الناس سواءً ما يلبس منها وما يُتزين به، أو ما يؤكل ويشرب من الأطعمة والمشروبات، فلا يجوز للإنسان أن يتصرف في مال غيره بغير وجه حق، وفي تعبير الناظم رحمه الله بالظهر والبطن، يريد بهما ما ظهر من الأموال وما بطن عن المشاهدة منها، وفي ذلك كياسة وحذاقة وحصافة وبلاغة؛ لأن في ذكر الظهر والبطن طباق، وفي ذكر القبض والبسط طباق آخر، فيكون بذلك قد غطَّى جميع ما يمكن إتلافه من أموال الناس، والتي يجب التعفف عنها.

ومن وقع في شيء من إتلاف أموال الناس فعليه التوبة وضمان ما أتلف من أموالهم، ما لم يكن مستحلًا وقت أخذه تلك الأموال، ففي ضمان ما أخذ وقت استحلاله خلاف يسير عند العلماء.

قال الناظم:

١١٦- وَنَقِّ يَدَيْكَ البَتَّ عَنْ سَفْكِ قَطْرَةٍ مِنَ الدَّمِ لَا تَلْقَاهُ مُنْغَلِقَ الرَّهْنِ

قوله: (وَنَقِّ يَدَيْكَ البَتَّ عَنْ سَفْكِ قَطْرَةٍ مِنَ الدَّمِ): بعدما حَذَّرَ الناظم المرء المكلَّف من المغبة والمكيدة الأولى من مكائد الشيطان الرجيم ألا وهي أكل مال الناس بغير وجه حق، في هذا البيت يُحَذِّره من التلطخ بقطرةٍ من سفك دم إنسانٍ بغير وجه حق، و(نقِّ): أي طهر أيها المكلَّف يديك اللتين تبطش بهما

من أن تقتل بهما أبدًا إنسانًا بغير وجه حق، فقطرة دم من إنسان يلحق صاحبها العذاب الأليم العظيم الأبدي في نار جهنم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وقوله: (لَا تَلْقَاهُ مُنْغَلِقَ الرَّهْنِ): أي أن قطرة واحدة من دم الإنسان لو سفكت بغير وجه حق فإن القاتل يلقى نفسه رهينة بما اكتسبت لا تنفك عنها، وذهب عنها كل خير عملته؛ لأنه أُحبط بذلك القتل الجائر، ويبقى الذنب العظيم، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

وهنا ملحظ مهمٌ جدًّا وهو أننا معاشر الإباضية نقول بعصمة دم المسلم ولا يجوز سفك دمه أبدًا، إلا بما دلَّ عليه الشرع الحنيف، وذاك مرده إلى وليّ الأمر - إمام المسلمين أو قاضيه الذي يقوم مقامه -، وليس لأحدٍ أن يسفك دم أحدٍ من المسلمين، ففي ديانتنا التي ندين بها لله تعالى حتى نلقاه، **أن دم المسلم حرامٌ لا يحل أبدًا** إلا إن وقع فيما دلَّ عليه الدليل أنه يبيح دمه، فمردُّه حينها إلى القضاء الشرعي.

بل مَن ارتدَّ عن الإسلام - فضلًا عن أن يخالف في مسألة خلافية بين الأمة -، مَن ارتدَّ رأسًا، فالإباضية لا يقولون بالقتل من أول الأمر، بل تُقام عليه الحجة ويُدعى إلى الدخول فيما خرج منه؛ فإن امتنع حينها طُبِّق عليه الحدُّ الشرعي الوارد في حديث رسول الله ﷺ.

يقول العلامة أبو الحسن البسيوي من أئمة الإباضية في «مختصر البسيوي»: «والمرتدُّ يُدعى إلى الدخول فيما خرج منه، فإن امتنع قتل، وإن حارب حورب، ولا يَحلُّ منه إلا ما أحلَّ الله ورسوله لقوله: «من بدل دينه فاقتلوه»، ووُقِفَ عمَّا سوى ذلك، وإذا مات المرتدُّ فماله لولده الصغار، الذين

ولدوا في حال محاربته بعد ارتداده، وإن كان ماله حيث كان مسلمًا؛ فإن ماله لولده الذين كانوا في بلده وهو مسلم، ومات وهم صغار وخلَّفهم في دار الإسلام، وإن كان له مالٌ في دار الحرب، ومالٌ في دار الشرك ومالٌ في بلاد الإسلام: فماله من بلد الحرب لولده من بلد الحرب، وماله من بلد الإسلام لولده الصغار من بلد الإسلام، وإن مات ولا وارث له فماله لأهل دينه، من أهل حرب المسلمين...»[1].

يقول الدكتور محمود آل هرموش في كتابه «**مقاصد الشريعة بين المذهب الإباضي والمذاهب الإسلامية الأخرى**» بعد هذا الكلام: «هذا هو الورع في دماء وأموال المسلمين، ثم قارن بين قوله هذا وقول ابن خزيمة: «ومَن لم يقرّ بأن الله مستوٍ فوق عرشه فوق سبع سماواته، فهو كافر حلال الدم، وكان ماله فيئًا[2]»[3].

ويقول الذهبي في موضع آخر: «قال أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه: سمعت ابن خزيمة يقول: القرآن كلام الله تعالى، ومَن قال: إنه مخلوق، فهو كافر، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، ولا يدفن في مقابر المسلمين»[4].

---

(١) البسيوي، أبو الحسن علي بن محمد بن علي البسياني (حي في ٣٦٣هـ)، كتاب مختصر البسيوي، تقديم: فضيلة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، دار الحكمة ـ لندن، الطبعة الثانية: ٢٠١٣م، ص ١٣ (الباب الثامن: في الجهاد).

(٢) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج ١٤ ص ٣٧٣.

(٣) آل هرموش، محمود مصطفى عبود، مقاصد الشريعة بين المذهب الإباضي والمذاهب الإسلامية الأخرى، تقديم وإشراف: عبد الله بن محمد بن عبد الله السالمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، الطبعة الأولى: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ج ٣ ص ٢٠١.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤ ص ٣٧٤.

يقول ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» في مسألة الجهر بالنية: «الجهر بلفظ النية ليس مشـروعًا عند أحد من علماء المسلمين ولا فعله رسول الله ﷺ ولا فعله أحدٌ من خلفائه وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، ومَن ادعى أن ذلك دينُ الله وأنه واجبٌ؛ فإنه يجب تعريفه الشريعة واستتابته من هذا القول، فإن أصرَّ على ذلك قُتل»[1].

يقول الدكتور الهرموش في «مقاصد الشـريعة»: «فكيف يقتل المسلم في مسألة خلافية في موضوع مشكل كمسائل المتشـابهات في الكتاب والسنة، ـ سـبحانك ربي ـ هذه جرأة على دماء الناس وأموالهم، إن ما قرره البسياني ـ وهو من أئمة الإباضية ـ هو الحق في دين الإسلام، وهو الذي نطق به القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [فاطر: ١٨]..»[2].

قال الناظم:

١١٧ ـ وَطَهِّرْ مِنَ الْفَحْشَـاءِ ثَـوْبَ دِيَانَةٍ تَسَـرْبَلْتَهُ وَالْبَـسْ دُرُوعَ التَحَصُّنِ

قوله: (وَطَهِّرْ مِنَ الْفَحْشَـاءِ ثَوْبَ دِيَانَةٍ تَسَـرْبَلْتَهُ): وبعدمـا حَذَّرَ الناظمُ المكلَّفَ من المكيدتين الأولى والثانية من مكائد الشيطان الرجيم، شَرَعَ في التحذير له من المكيدة الثالثة وهي مكيدة الإغراء بالزنى، (وَطَهِّرْ): فعل أمرٍ من الطهارة، أي نظِّف، (الْفَحْشَاءُ): أي فاحشة الزنى، وسميت فاحشة لفحشها وعظمها، (ثَوْبَ دِيَانَةٍ تَسَـرْبَلْتَهُ): كناية عن الصحيفة البيضاء التي لم تسـود بمعصية كبيرة فهي نقية كالثوب الأبيض غير المدنس، وكنى بثوب الديانة أي

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج ٢٢ ص ٢٣٦.

(٢) آل هرموش، مقاصد الشريعة بين المذهب الإباضي والمذاهب الإسلامية الأخرى، ج ٣ ص ٢٠٢.

ثوب الدين والإيمان الذي يلبســه المكلّف بمجرد إيمانه ودخوله في حضيرة الإسلام العظيم، فالأصل طهارة هذا الثوب ولا يدنسه شيء إلا معاقرة الذنوب والمعاصي، فإن تاب منها تطهـر ثوب إيمانه الذي يكســوه ورجع إلى نقائه وصفائه، وإن لم يتب بقي الثوب مدنسًا إلى أن يموت على دنسه هذا فيدخل النار عياذًا بالله تعالى من النار.

وقوله: (وَالْبَسْ دُرُوعَ التَحَصُّنِ): أي يا أيها المكلّف البس الدروع المحصنة لك من الوقوع في الفواحش المهلكة، وفيه كناية عن التحصن بالزواج الشرعي للمســتطيع، أو الإكثار من الصيام، كما أرشــد لذلك حديث رســول الله ﷺ للشباب، حيث قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[1].

قال الناظم:

١١٨ - فَهَذِي سِــهَامٌ قَاتِلَاتٌ لِذِي الوَرَى نَجَا مَنْ نَجَا مِنْهَا، سَعِيدًا عَلَى الأَمْنِ

قوله: (فَهَذِي سِهَامٌ قَاتِلَاتٌ لِذِي الوَرَى): أي أن هذه المكايد الشيطانية التي حذّرناك منها وأوصيناك بعدم الوقوع فيها والاقتراب منها لتحافظ على سلامة دينك ونقاء صفحتك، هي بمثابة السهام القاتلة لبني الإنسان التي لا تقتل روحه من بدنه، بل تقتل إيمانه فيصيبه الهلاك يوم القيامة والخلود في نار جهنم.

وقوله: (نَجَا مَنْ نَجَا مِنْهَا، سَــعِيدًا عَلَى الأَمْنِ): أي مَن صان نفســه عن الوقوع في هذه المكايد لم تصبه السهام القاتلة، بل هو من الناجين في الدنيا والآخرة، (نَجَا): أي سَلِمَ، ويأتي سعيدًا آمنًا يوم القيامة؛ لأنه من المتقين، والله

(١) رواه البخاري، باب: من لم يســتطع الباءة فليصم، رقم الحديث: ٥٠٦٦/ رواه مســلم، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفســه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، رقم الحديث: ١٤٠٠.

تعالى يقول في حـق المتقيـن: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣].

قال الناظم:

١١٩ ـ حَذَارِ حَذَارِ مِنْ مَظَالِمِ خَلْقِهِ   تَقُدُّ بِرَغْمٍ مِنْ أَدِيمِ الذِي يَجْنِي

قوله: (حَذَارِ حَذَارِ مِنْ مَظَالِمِ خَلْقِهِ): أي الحذرَ الحذرَ بمعنى خذوا الحذر خذوا الحذر، من تحمل تبعات ومظالم العباد، فالظلم ظلمات يوم القيامة كما جاء في الأثر، ومن تكبد مظالم في الدنيا من أكل الحرام أو الغلول فسيأتي وهذه المظالم يوم القيامة في عنقه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

قوله: (تَقُدُّ بِرَغْمٍ مِنْ أَدِيمِ الذِي يَجْنِي): أي أن هذه المظالم تقطع وتشق أديم نجاة الجاني يوم القيامة، فشبه نجاة الجاني بجسم له (أديم) أي جلد، وكأن هذه المظالم والتبعات والحقوق التي اقترفها هذا المرء كالحِراب الحادة ذات النصل الحاد فتمزق إيهاب وجلد المكلَّف الذي يحمل في عنقه جنايةً على أحدٍ من عباد الله تعالى، فلا ينجو يوم القيامة من العذاب والمؤاخذة.

وفي هذا البيت من التحذير والتنبيه البالغ ما يكفي للإنسان العاقل إلى أن ينتبه لنفسه جيدًا، ويراقب مأكله ومشربه وملبسه وبضعه حتى لا يقع في الحرام، وفيه من الواعظ ما تكفي المكلَّف الفطن الحذر الشديد من الموبقات والمهلكات ومكايد الشيطان، والسير على الصراط المستقيم بالإيمان الخالص والعمل الصالح.

❁❁❁

الباب الرابع عشر

في ذكر أنواع أعمال الإنسان والنجاة في علمها

قال الناظم:

١٢٠ـ نَجَاةُ امْرِئٍ مَقْرُونَةٌ بِثَلَاثَةٍ حَلَالٍ حَرَامٍ شُبْهَةٍ لَمْ تيقنِ

قوله: (نَجَاةُ امْرِئٍ مَقْرُونَةٌ بِثَلَاثَةٍ): (النجاة): هي السلامة من المخوف، أي أن نجاة المكلَّف من ما يُخاف عليه منه في الدنيا والآخرة والآخرة أعظم، من العذاب والنكال به والعار والفضيحة في الآخرة، تكون مقرونة ومشروطة بثلاثة أمور لا بدَّ منها لتحقق النجاة والسلامة، وسيأتي ذكر الثلاثة في الشطر الآتي.

فقوله: (حَلَالٍ حَرَامٍ شُبْهَةٍ لَمْ تيقنِ): أي أن الأمور الثلاثة التي تكون بها نجاة المرء المكلَّف من العذاب والنكال والعار في الدنيا والآخرة، هي: معرفة الحلال ومعرفة الحرام ومعرفة الشبهة.

وذلك لأن معرفة الحلال تدفع إلى تعاطيه وإتيانه طلبًا للأجر والمثوبة من عند الله تعالى، ومعرفة الحرام تدفع صاحبها إلى اجتنابه وتوقيه طلبًا للسلامة من العقاب الشديد المترتب على فعله، ومعرفة الشبهات تدفع الإنسان إلى مزيد الاحتياط والسؤال عنها قبل الخوض فيها والإقدام عليها، فبهذه الأمور الثلاثة تحصل النجاة للمكلَّف يوم القيامة، كما سنذكر في شرحنا للأبيات القادمة في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

قال الناظم:

١٢١ـ فَنَاهِيكَ عَبْدًا أَمَّهَا وَاعْتَنَى بِهَا وَلَازَمَهَا مَدَى الْحَيَاةِ بِدَيْدَنِ

قوله: (فَنَاهِيكَ عَبْدًا أَمَّهَا وَاعْتَنَى بِهَا): (نَاهِيكَ): أي غايتك وكفايتك ونهاية مقامك أيها المكلَّف قصدك وتوجهك إلى معرفة هذه الأمور الثلاثة المذكورة سابقًا، واعتناؤه بها وعملك بمقتضاها، وهذا غاية كفايتك ونهاية علو مقامك معرفتك واعتناؤك بمهماتك الدنيوية والأخروية المتضمنة في الأمور الثلاثة السابقة.

وقوله: (وَلَازَمَهَا مَدَى الْحَيَاةِ بِدَيْدَنِ): أي هذه الأمور الثلاثة التي فيها نجاتك أيها المكلَّف لازمها واستصحبها في حياتك كلها، وليكن ملازمتك لها ديدنك اليومي طوال هذه الحياة ما دمت حيًّا فيها، فمن ظفر بأسباب النجاة في الدنيا والآخرة حاز الخير كله، وهدي إلى صراطٍ مستقيم، وكان من الموفقين والمؤيدين.

قال الناظم:

١٢٢ـ خُذِ الْحِلَّ وَاتْرُكْ مَا الْحَرَامُ سَبِيلُهُ وَقِفْ دُونَ أَدْنَى شُبْهَةٍ لَمْ تُيَقَّنِ

قوله: (خُذِ الْحِلَّ وَاتْرُكْ مَا الْحَرَامُ سَبِيلُهُ): أي افعل الحلال بعدما عرفته وبان لك رشده في جميع أمورك أيها المكلَّف، في الأكل والشرب والبيع والشراء واللباس والنكاح والمال، فإن فعلت ذلك وتحريته كنت بذلك قد حققت الجانب الأول والسبب الأعظم من أسباب النجاة في الآخرة، وهو جانب التحلي بالطاعة وفعل كل ما هو حلال.

وعليك كذلك أيها المكلَّف مع هذا ترك كلّ ما هو محكوم عليه شرعًا بالحرمة وعدم الجواز، فجانب الحرام وابتعد عنه فضلًا عن قصده وإتيانه، فإن

فعلتَ ذلك حققت جانب التخلي وهو أهمُّ من الأول؛ لأنه مقدَّم عليه، كما يقال: التخلي قبل التحلي، فلا يتحلى من لا يتخلى.

وقوله: (وَقِفْ دُونَ أَدْنَى شُبْهَةٍ لَمْ تُيَقَّنِ): أي كذلك على أن تحقق بعد ذينك الأمرين ثالثهما وهو اتقاء الشبه وعدم الوقوع فيها، و(الشُبهةُ): هو ما لم يتيقن كونه حرامًا أو حلالًا[1]، والأصل في الشُّبه الاتقاء لأن احتمال الحرمة موجودًا وهو مقدَّم على احتمال الحل فكيف إن تساويا في الاحتمال، وأصل أحكام هذه الأمور الثلاثة حديث رسول الله ﷺ: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[2].

وهذا الحديث حُقَّ أن يعدَّ من جوامع الكلم الذي أوتيه رسول الله ﷺ، فقد جمع فيه جوامع أسباب النجاة في الدنيا والآخرة، وذلك لأن الأمور ثلاثة: أمر بان رشده فاتبعه، وأمر بان غيه فاجتنبه، وأمر أشكل عليك حكمه فدعه.

قال الناظم:

١٢٣- وَأَمَّا حَرَامُ اللهِ لَيْسَ يُحِلُّهُ تَدَاوُلُ أَيْدٍ بِالتَمَلُّكِ وَالْقَنِّ

قوله: (وَأَمَّا حَرَامُ اللهِ لَيْسَ يُحِلُّهُ): أي إن ما حرمه الله تعالى فهو حرام للأبد ما لم يأتِ تحليله من الله تعالى، ولن يكون يومًا من الأيام حلال بعد ورود

---

(١) الجرجاني، التعريفات، ص١٢٧.

(٢) رواه مسلم، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم الحديث: ١٥٩٩.

النص الشرعي القاطع على تحريمه ولم يأتِ ما ينقضه أو ينسخه، فالحرام عند الله لا يحله ممارسة العباد له أو غير ذلك.

وقوله: (تَـدَاوُلُ أَيْدٍ بِالتَمَلُّـكِ وَالْقَنِّ): أي إن الحرام فـي دين الله تعالى لا يمكن أن يكون حـلالًا بمجرد تداول الناس وممارسـتهم لـه، وتملكوه وأخذوه ظلمًـا وغصبًا وأصبح في حكم الظاهر للنـاس من ملكهم فهو يبقى حرامًا في دين الله تعالى.

وهنا لفتة لا بدَّ من التنبه لها وهي أن مَـن أكل أموال الناس بمهارة التحايل التي يتقنها، والواسطة الكبيرة التي معه من الناس، ولحنِ الخطاب الذي يحاج به، وكياسة العقل التي يراوغ بها، والصكوك المزورة التي بين يديه يقدمها للقاضي فيوهمه بصدقها، فيقضي له بالحق الذي ليس له، فيظن هذا الآكل لأموال الناس بعبقريته وبكياسـته تلك بأنه إن أفلت من المحكمة الدنيوية التي اسـتطاع فيها خداع عقول البشر من القضاة وغيرهم، أنه سالم عند الله يوم القيامة، لأنه حصل على هذا المال بحكم الحاكم الشـرعي، وما درى هذا المغـرور الجهول أنه إن أفلت من محكمة الدنيا بهذا الأكل الحرام فلن يفلت من محكمة قاضيها الله تعالى يوم القيامة، قاضيها الذي يعلم السرَّ وما أخفى منه، والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، قـال الله تعالى محذِّرًا من ذلـك عباده: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقـرة: ١٨٨]، ويقول تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

والنبي ﷺ يقول: «إنما أنا بشر مثلكم تختصمون إليَّ فأحكم بينكم، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئًا فإنما أقطع له قطعة من نار»[1].

---

(١) مسند الربيع بن حبيب، كتاب الأحكام، رقم الحديث: ٥٨٨، / ورواه البخاري، باب: موعظة

قال الناظم:

١٢٤ـ وَلَيْسَ يُرَاعَى فِيهِ غَيْرُ بَيَانِهِ وَلَوْ طَارَ فِي الآفَاقِ شَطْنًا عَلَى شَطْنِ

قوله: (وَلَيْسَ يُرَاعَى فِيهِ غَيْرُ بَيَانِهِ): أي أن الحرام في دين الله تعالى إنما قامت حجته وتحريمه بدليل قطعي مبيَّن في كتاب الله تعالى أو على لسان أنبيائه ﷺ، ولا يراعي في حكم غير دليله، فلا تداوله بين الناس، وكثرة ممارسيه ومقترفيه من تعطيه حكم الحلال أو تبدله عن حرمته المتقررة بالنصِّ المبيَّن لها.

وقوله: (وَلَوْ طَارَ فِي الآفَاقِ شَطْنًا عَلَى شَطْنِ): أي أن هذا الحرام لا يحله انتشاره في الآفاق ومدى تعاطي الناس له وتناوله بينهم، فالحرام في دين الله تعالى حرام، ويبقى حرامًا للأبد ما لم يأت ما ينقض هذا الحكم بنص قطعي من الله تعالى، (شَطْنًا عَلَى شَطْنِ): أي بُعدًا على بُعدٍ، وفيه كناية عن مدى انتشاره وتداوله بين الناس.

قال الناظم:

١٢٥ـ فَمَنْ حَادَ عَنْ هَذَا تُبَدَّلُ دَالُهُ بِنُونٍ فَأَضْحَى هَاوِيًا هُوَّةَ الْحَيْنِ

قوله: (فَمَنْ حَادَ عَنْ هَذَا تُبَدَّلُ دَالُهُ بِنُونٍ): أي من لم يقل بما قلته وحررته وبينته من أن الحرام في دين الله تعالى لا يتبدل إلى أن يكون حلال بمجرد تداوله بين الناس وكثرة انتشاره، فيقال هو حرام مجهول العين معذور فاعله، كلا بل بعدما قامت الحجة به فهو حرام لا يتبدل إلى حلال مهما كثر مقترفوه وشسع انتشاره، فمن حاد عن هذا الحكم وهذا القول الحق، فقد تبدلت دال

= الإمام للخصوم، رقم الحديث: ٧١٦٨، / ورواه مسلم، باب: الحكم بالظاهر، واللحن بالحجة، رقم الحديث: ١٧١٣.

حياده إلى نون هلاكه، أي تبدل حرف الدال من (حاد) إلى حرف النون (حان)، وحان أي هلك، ونزل في حفرة بعيدة من الهلاك.

وقوله: (أَضْحَى هَاوِيًا هُوَّةَ الْحَيْنِ): أي بعدما يحيد عن الحق والصواب، يحين في الهلاك فيضحى هاويًا أي ساقطا من شاهق، (هُوَّةَ الْحَيْنِ): هي الحفرة السحيقة العميقة بعيدة القعر، و(الحَيْنُ): هو الموت والهلاك والخسران المبين في الآخرة.

❁ ❁ ❁

الباب الخامس عشر

في ذكر المراصد السبعة

قال الناظم:

١٢٦ - وَمِمَّا شَجَانِي ذِكْرُ سَبْعِ مَرَاصِدٍ لِسَبْعِ سُؤَالَاتٍ فَيَا رَبِّ نَجِّنِي

قوله: (وَمِمَّا شَجَانِي ذِكْرُ سَبْعِ مَرَاصِدٍ): أي مما أثار شجون خوفي وأحزنني عند تذكري مراصد الأسئلة السبعة التي يسأل عنها المرء يوم القيامة، وكأنه يشير إلى مراصد مراقبة وهي محطات أسئلة سبعة يُسألها المرء يوم القيامة.

وقوله: (لِسَبْعِ سُؤَالَاتٍ فَيَا رَبِّ نَجِّنِي): أي مما يخيف الناظم مراصد السؤالات السبعة تلك التي يُسألها المرء يوم القيامة، وفي قوله: (فَيَا رَبِّ نَجِّنِي): فيه إشارة إلى فظاعة تلك الأسئلة وأجوبتها وهولها.

وقول الناظم هذا بناءً على قضية القول بوجود جسر منصوب على جهنم فيه مواقف ومحطات يسأل فيها الناس عن أعمالهم، فمن نجا منها بجواب صحيح فقد نجا من جهنم، ومسألة الجسر المنصوب على جهنم مسألة خلافية بين العلماء من أصحابنا، فأثبت حقيقته على جهنم بعض منا، ونفاه جمهورنا والخلاف فيها سهل يسير.

يقول الإمام السالمي في «بهجة الأنوار» في مسألة الجسر المنصوب على جهنم: «غاية الأمر أن هذه المسألة ومسألة الميزان ليستا من المسائل القطعية؛

لعدم ورود القاطع فيهما، وإنما هما من المسائل الظنية، فلا يجب اعتقاد شيء منها، ولا يخطأُ القائل فيها برأيه والله أعلم»[١].

قال الناظم:

١٢٧ـ فَذَلِــكَ أَدْهَى مَا يَمُــرُّ عَلَى الفَتَى   إِذَا قِيلَ يَــا عَبْدِي تَقَــدَّمْ وَلَا تَنِ

قوله: (فَذَلِكَ أَدْهَى مَا يَمُرُّ عَلَى الفَتَى): أي أن مراصد السؤالات التي يمرُّ عليها المرء المذكورة آنفًا هي من أصعب وأدهــى وأخوف الأهوال التي تمرُّ على الفتى.

وقوله: (إِذَا قِيلَ يَــا عَبْدِي تَقَدَّمْ وَلَا تَنِ): أي حينمــا يقال للعبد تقدم ولا تتأخر ولا تتوانى، وهذا كما قلنا مبني على قول من قال بوجود جسرٍ منصوب على جهنم يمرُّ عليه الناس، وأكثرنا على نفيه.

قال الناظم:

١٢٨ـ فَمَنْ مِــنْ مُجْدِّنَا يَجِــيءُ بِوَاحِدٍ   فَدَعْ سَبْعَةً مَن مَنْ وَمَنْ مَنْ وَمَنْ مَنْ مَنِ

قوله: (فَمَنْ مِنْ مُجْدِّنَا يَجِيءُ بِوَاحِدٍ): أي فمَن ذا المجدُّ المطيع منا معاشر المكلَّفين مَن يستطيع المجيء بجواب سؤالٍ واحدٍ بسلام، وفيه كناية عن مشقة الأمر وعسره.

وقوله: (فَدَعْ سَــبْعَةً): أي إن كنا نشــكُّ في المجد الماهــر العامل منا أن يستطيع الإتيان بجواب سؤالٍ واحدٍ بســلام ودون مشقة بالغة، فدعني إذًا من إتيان السبعة كاملة، نسأل الله تعالى العافية والسلامة والنجاة.

---

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص١٦٤.

وأما قوله: (مَن مَنْ؟ وَمَنْ مَنْ؟ وَمَنْ مَنْ مَنِ؟): فمَن الأولى (استفهامية) ومَنْ الثانية (موصولة)، وكأنه يقول: مَن الذي يستطيع الإتيان بجواب واحدٍ من الأسئلة فضلًا عن السبعة كلها، مَن هذا الذي، مَن هذا الذي، مَن؟ أي من هو الذي يستطيع ذلك مَن الذي مَن الذي أجيبوني؟!.

❁ ❁ ❁

الباب السادس عشر

في ذكر الميزان والصراط وعذاب القبر وورود النار

قال الناظم:

١٢٩- فَأَمَّـا مَوَازِيـنُ الْقِيَامَـةِ عَدْلُـهُ   لَقَدْ صَرَّحَ الْقُـرْآنُ بِالْحَقِّ وَالْوَزْنِ

قوله: (فَأَمَّا مَوَازِينُ الْقِيَامَةِ عَدْلُهُ): أي أن الموازين يوم القيامة إنما هو عين العدل، فالوزن يوم القيامة القسط أي العدل وهذا الذي نطق به القرآن الكريم، كما سيذكر الناظم في الشطر الآتي.

قوله: (لَقَدْ صَرَّحَ الْقُرْآنُ بِالْحَقِّ وَالْـوَزْنِ): أي أن القرآن الكريم صرَّح بأن الوزن يوم القيامة هو العدل، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ويقول تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]، وسيتكلم الناظم عن حقيقة هذا الوزن يوم القيامة.

قال الناظم:

١٣٠- فَـوَزْنُ أَفَاعِيـلِ الْعِبَـادِ تَمَيُّـزٌ   لِيَنْظُرَ فِي عُقْبَى مُسِـيءٍ وَمُحْسِنِ

قوله: (فَوَزْنُ أَفَاعِيلِ الْعِبَادِ تَمَيُّزٌ): أي أن حقيقة وزن أفعال العباد يوم القيامة إنما هي تمييز هذه الأعمال وفرزها، فيُميَّز العمل الحسن فيثاب فاعله الحسنى، ويُميَّز العمل السيء فيعاقب فاعله العسرى.

وقوله: (لِيَنْظُرَ فِي عُقْبَى مُسِيءٍ وَمُحْسِنِ): أي أن ثمرة تمييز الأعمال إلى خير وشـر، أو إلى صالحة وسـيئة، هي الحكم على فاعلي هذه الأعمال بما يستحقونه من جراء أعمالهم، قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فيثاب المحسن على عمل الصالح، ويعاقب المسيء على عمل الطالح.

قال الناظم:

١٣١ـ وَلَيْسَ بِمِيـزَانِ العَمُـودِ وَكِفَّـةٍ بَلِ الـوَزْنُ لِلنِّيَّاتِ مِـنْ كُلِّ دِيِّنِ

قوله: (وَلَيْسَ بِمِيزَانِ العَمُودِ وَكِفَّةٍ): أي أن وزن أعمال العباد لا يكون بآلة حسية لها عمودٌ وكِفتان على قول، أو عمودٌ وكفتان ولسانٌ على قول آخر، بل الوزن يوم القيامة هو العدل والقسط كما أخبر الله تعالى به، فلا يمكن القول بأن هناك ميزانًا ذا قضيبٍ وكفتين يوم القيامة لوزن أعمال العباد، وكيف يكون هذا الميزان، وأعمال العباد منها القولي والفعلي ومنه النوايا الحسنة والخبيثة؛ وإذا كان العالم الآن يستهجن استعمال هذا الميزان التقليدي (عمود وكفتين)، فكيف بدقة أعمال العباد والتي تحتاج إلى دقة كبيرة لأنها تتعلق بأمرٍ مصيري للعباد.

وقوله: (بَلِ الـوَزْنُ لِلنِّيَّاتِ مِـنْ كُلِّ دِيِّنِ): أي لكن الـوزن، و(بل) هنا اسـتدراكية، أي بل الصحيح أن الـوزن للأعمـال المقصودة بنيـةٍ من كل المتدينين، وليس بميزان ذي عمود وكفتين

قال الناظم:

١٣٢ـ فَأَمَّـا الصِّـرَاطُ الْمُسْـتَقِيمُ فَدِينُهُ صِرَاطُ طَرِيـقٍ وَاضِحٍ عَـنْ تَبَيُّنِ

قوله: (فَأَمَّا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ فَدِينُهُ): أي أن الصراط المستقيم المذكور في كتاب الله تعالى كما في قولـه تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، هو دين الله الإسلام، ومنهجه القويم، وطريقه المستقيم الذي لا عوج فيه.

وقوله: (صِرَاطُ طَرِيقٍ وَاضِحٍ عَنْ تَبَيُّنِ): أي أن صراط الله تعالى المستقيم هذا واضحٌ جليٌّ غاية الوضوح والتبين فلا غموض فيه، وهو طريق موصل إلى جنة الله تعالى العظمى.

قال الناظم:

١٣٣ـ فَهَـذَا طَرِيقٌ بَـانَ مِنْ دَارِ مُسْـلِمٍ إِلَى دَارِ خُلْدٍ مُسْـتَقَرُّ ذَوِي الأَمْنِ

قوله: (فَهَذَا طَرِيقٌ بَانَ مِنْ دَارِ مُسْـلِمٍ): أي أن طريـق الله تعالى وصراطه المستقيم واضحٌ جليٌّ يبدأ من دار المسلم الدنيا وينتهي إلى جنة الله تعالى في الدار الآخرة، وكأنه جسـر يصل بين الدارين، يسـير المرء عليه سالمًا معافى حتى يدخل الجنة، فهو طريق مضمون وسهل الارتياد.

وقوله: (إِلَى دَارِ خُلْدٍ مُسْـتَقَرُّ ذَوِي الأَمْنِ): أي أن الصراط المستقيم ممتد من دار المسـلم المتبع له إلى دار الخلود في الدار الآخـرة، إلى دار الأمان ومسـتقر الرحمة والكرامة لذوي الأمن، الذين وعدهم الله تعالى بالأمن يوم القيامة؛ لأنهم لم يتلوثوا بظلم أنفسهم بالبقاء على المعاصي، بل تطهروا منها حبًا لله ورغبة فيما عنده، فأحبهم الله وهداهم وأسكنهم مستقر رحمته، قال الله تعالى مولانا الحق في حقهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قال الناظم:

١٣٤ـ تُحَرِّكُهُ مَمْشَـاهُ سَـعْيٌ سُـكُونُهُ سَيُؤْجَرُ فِي تِلْكَ الْمَسَاعِي بِمَا يَعْنِ

قوله: (تُحَرِّكُهُ مَمْشَاهُ سَعْيٌ سُكُونُهُ): أي أن كل أفعال الإنسان في الدنيا من حركاته وسكناته ومشـيه وسعيه وقوله وكل شـيء يحدثه فإنه مجزيٌّ به يوم القيامة، وقد دلت النصوص الشرعية الكثيرة على ذلك.

وقوله: (سَيُؤْجَرُ فِي تِلْكَ الْمَسَاعِي بِمَا يَعْنِ): أي أن كلّ ما يعمله المكلّف من حركاته وسكنات وأقوالٍ ومشي وسعي وأخذ وإعطاء يجازى عليه بحسب نيته فيه، فما كان نيته فيه صالحة أُجِرَ عليه وأثيب، وإذا كانت نيته سيئة عوقب على فعله بسبب نيته؛ لأنما «الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى»[1]، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

قال الناظم:

١٣٥ـ وَأَمَّا عَذَابُ الْقَبْرِ ثَبَّتَ جَابِرٌ وَضَعَّفَهُ بَعْضُ الأَئِمَّةِ بِالْوَهْنِ

قوله: (وَأَمَّا عَذَابُ الْقَبْرِ ثَبَّتَ جَابِرٌ): أي أما عذاب القبر المشار إليه في بعض النصوص الشرعية، بل وفي بعضها التنصيص عليه، فإن إمام المذهب الإمام أبا الشعثاء جابر بن زيد حكم بثبوته.

قوله: (وَضَعَّفَهُ بَعْضُ الأَئِمَّةِ بِالْوَهْنِ): أي أن بعض علماء المذهب المقتدى بهم ضعَّف قضية عذاب القبر للميت العاصي بدليل واهٍ ضعيف لا يحسن الاعتماد عليه، فالحق مع الإمام جابر ومن قال بقوله من علمائنا، يقول الإمام السالمي في مثل ذلك:

ثم عذاب القبر مما جاء به تواتر الأخبار معنًى فانتبه
واعتقدنَّ صدقه ولا تحل تعذيب ميتٍ لوجوه تُحتمل[2]

«المراد بـ(عذاب القبر): هو عذاب الميت مطلقًا؛ كان مدفونًا أو في بطون السباع والطيور، أو في بطون الحيتان، أو على وجه الأرض، وعبّر عن هذا كلّه بعذاب القبر؛ لأنه غالب في الموتى، وإذا ثبت عذاب القبر ـ بما سيأتي ـ ثبت

---

(١) مسند الربيع بن حبيب، باب: النية، رقم الحديث: ٢ / هكذا اللفظ عن الإمام الربيع (الأعمال بالنيات)، وعند غيره (إنما الأعمال بالنيات).

(٢) السالمي، منظومة أنوار العقول في معرفة الأصول، ص ٣٣.

أيضًا نعيمه لمن أراد الله تنعيمه فيه من أهل السعادة؛ إذ لا قائل بالفرق بينهما، وعذاب القبر قد وردت في ثبوته الأحاديث النبوية، وأشارت إليه الآيات القرآنية؛ فمن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ دالٌّ على أن ذلك العرض قبل يوم القيامة، وهو المطلوب، وأما الأحاديث النبوية فقد قال صاحب «المعالم» - العلامة عبد العزيز الثميني رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «إنها مما تواتر معنًى»، أي: معنى عذاب القبر قد بلغ حدَّ التواتر في الأحاديث التي جاءت به وإن اختلفت عباراتها، فمن تلك الأحاديث قوله ﷺ: «عذاب القبر حق»[١]..[٢].

قال الناظم:

١٣٦ - وَأَمَّا وُرُودُ النَّاسِ للنَّارِ إِنَّهُ ... وُرُودُ يَقِينِ العِلْمِ وَاللَّمْحِ بِالْعَيْنِ

قوله: (وَأَمَّا وُرُودُ النَّاسِ للنَّارِ إِنَّهُ): أي أما ورود الناس المذكور والمشار إليه في كلام بعض العلماء وما جاء في إشارة بعض النصوص كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، إنما هو ورود حضور ومشارفة وورود نظر ورؤية، لا ورود دخول لأهل الطاعة.

قوله: (وُرُودُ يَقِينِ العِلْمِ وَاللَّمْحِ بِالْعَيْنِ): أي أن هذا الورود المذكور في هذا النص السابق، وما نصَّ عليه بعض العلماء إنما هو ورود يقين ومعرفة وعلم ورؤية عين، لا دخول حقيقي، وهذا الكلام على هذا القول إنما هو لأهل الطاعة فقط.

---

(١) رواه البخاري، باب: ما جاء في عذاب القبر، رقم الحديث: ١٣٧٢.

(٢) السالمي، بهجة الأنوار، ص ١٥٥ - ١٥٦.

وأما مسألة الورود الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١]، فقد حررنا الكلام فيها في كتابنا «**إن الله لا يخلف الميعاد**» فقلنا بما فتح الله علينا ما نصه[1]:

«أنهم جعلوا الورود المذكور (واردها) هو الدخول في نار جهنم، وجعلوا الضمير (ها) في كلمة (واردها) يعود إلى النار، وجعلوا الورود إلى النار عامًا لكل الناس (المتقين منهم والكافرين)، ثم ينجي الله المتقين (وهم عندهم مَن كان في قلبه ذرة إيمانٍ من عصاة المسلمين) ويذر الظالمين (وهم عندهم الكافرون المشركون) في النار يجثون على ركبهم من هول المصير. والجواب على هذا الاستدلال: الردُّ على هذا الاستدلال سيكون بتوجهين:

أولهما: بأن هذه الآيات وردت في منكري البعث بعد الموت، وهم بالآخرة كافرون.

وثانيهما: بأن الورود يكون إلى أرض المحشر والبعث، لا الورود إلى النار والدخول فيها.

أولًا: الخطاب في الآيات لمنكري البعث والحشر بعد الموت

إن هذه الآيات التي استدل بها القائلون بالورود إلى النار هي آيات من سورة مريم، وهي جوابٌ سيق لمنكري البعث والحساب بعد الموت، وردٌّ على الكافرين بيوم القيامة يوم الجمع على أرض المحشر، وهذا ظاهرٌ جليٌّ لا يحتاج إلى مزيد تفكير، وإنما يحتاج إلى الرجوع إلى بداية السياق القرآني الذي وردت فيه هذه الآيات، ليعلم الإنسان مناسبتها وسببها، ولا يصح اقتطاع الآيات القرآنية عن سياقها الذي وردت فيه، لأن ذلك سيؤدي إلى تغيير المعنى

---

(١) البوصافي، إن الله لا يخلف الميعاد، ص٣٠ ـ ٣٩.

والمراد بالسياق القرآني، وعند الرجوع إلى بداية السياق القرآني الذي وردت فيه هذه الآيات نجده يتحدث عن إنكار الكفار للبعث والحشر بعد الموت، وإنكارهم الجمع على أرض المحشر، وكيف أن الله تعالى يردُّ عليهم مقيمًا عليهم الحجة، مُقسِمًا بربوبيته بأنه حاشرهم والشياطينَ على أرض المحشر حول جهنم، وسيجثون على ركبهم من هول ذلك اليوم، ثم يؤكِّد ذلك الجمع بأنهم واردوها (أي أرض المحشر) لا محالة من ذلك وبلا شكٍّ فيه.

فالله تعالى يقول في هذه الآيات: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٦ - ٧٢].

فبعدما ذكر الله ﷻ إنكارهم والردَّ عليهم، حقَّق الموقف وحسمه بقوله: (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا)، فبيَّن أن هذا الخطاب لمنكري البعث السابق ذكرهم، لأن (منكم) للبيان أي: وإن منكم يا منكري البعث المخاطبين سابقًا إلا واردها أي أرض المحشر.

ثانيًا: المقصود بالورود هو الورود إلى أرض المحشر

وهذا التوجه أليق بسياق الآيات إن أصروا أن الخطاب لجميع الخلائق، فنقول: إن الورود هو ورود الجميع إلى أرض المحشر، ثم ينجي الله تعالى الذين اتقوا إلى الجنة، ويجثو الظالمون (عصاة المسلمين والكافرون) على ركبهم من هول ذلك اليوم، فلا تقلهم أقدامهم عندما يدنو موعد قذفهم في النار، ويوقنون أن مصيرهم إليها، ثم تسحبهم الملائكة زمرًا فتوردهم النار مثواهم الأخير عياذًا بالله تعالى.

ويمكن بحث هذه القضيــة من جوانب عدة من حيــث المدلول اللغوي لكلمات هذه الآيات، لأن هذا القرآن نزل بلسانٍ عربي فصيحٍ، وهو يخاطب العرب الأقحاح، الذين يحملون الكلمات ومواقــع العبارات محاملها العربية الأصيلة، فنستعرض الآن كلمات هذه الآيات بعد ذكرها:

يقول الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٦٦ ـ ٧٢].

وسنستعرض النقاش في كلمات هذه الآيات السابقة كما سيأتي:

ـ فقوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، أي وإن منكم يا منكري البعث إلا وارد أرض المحشــر، والله تعالى جامعكــم فيها، وهذا المعنى حســب ما يقتضيه الســياق القرآني من الردِّ على إنكارهم البعث والحشــر، وســيتأكد بمدلول ومعاني الكلمات الآتية بعده، بأن الورود إلى أرض المحشر لا إلى النار.

ـ وقوله: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾، جثيًا أي يجثون على ركبهم من هول ما عرفوا من مصيرهــم ومثواهم الذي ســيقذفون فيه، ولا يمكــن القول أن الجثيان على الركب ســيكون في نار جهنم، فلا جثيانَ هناك ولا وقتَ له، بل هنا عذابٌ شديدٌ أليمٌ لا يُفتَّر عنهم لحظة، ولا هم يُنظرون ليجثوا حتى يفرغوا من جثيانهم!!.

ـ وحتى تتيقنَ أن الجثيانَ يكون على أرض المحشر بعدما ينجي الله تعالى المتقين إلى الجنة، فيجثو الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي والكفر على ركبهم، انظر إلى قوله تعالى قبل ذلك: ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ فقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن جثيانهم يكون حول جهنم.

ولا قائلَ من العرب أن (حول) بمعنى (في) أو بمعنى (داخل جهنم)، فالمعنى الصحيح أنهم يجثون على أرض المحشر من الخوف والهول والهلع، عندما يوقنون أن مصيرهم إلى النار التي تتميز غيظًا عليهم وتشيط غضبًا منهم، وتزفر حنقًا فترمي بالشرر وتقذف بالزبد، ثم يساقون زمرًا إليها ويكبون فيها خالدين أبدًا، لا خروجَ ولا موتَ ولا نعيمَ، ولا شفيقَ ولا حميمَ، ولا شفيع يُطاع فيهم.

- وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾، إن القرآن الكريم دقيقٌ في تعبيراته وألفاظه، فلا عبثَ في كلماته ومعانيها، ولا يمكن القول أن القرآن يورد بعض الكلمات في غير مواقعها العربية الصحيحة، فانظروا إلى قوله: ﴿نُنَجِّى﴾ والنجاة من الشيء تخالف الوقوع فيه ثم الخروج منه، بل النجاة عدم الوقوع في المكروه المحذور، وكيف تكون النجاة من النار بعد الدخول فيها؟ وهل هكذا النجاة بعدما رأوا الفزع الأكبر وقذفوا في غياهب النيران الحارقة؟!

فهل كلمة ﴿نُنَجِّى﴾ تعبيرٌ سليمٌ عند مَن يقول بأن الورود بمعنى الدخول في النار؟!.

كلا، بل النجاة للمتقين تُفسّرها الآيات التالية: كما في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤]. وقوله: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣]. وقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]. وقوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. إن هذه الآيات هي التي

تُفسر معنى النجاة كقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ومَن قُذف في نارٍ حامية، تصهر الجلود والعظام، أفلا يكون في خوفٍ وفي حزنٍ؟!!. كقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] فهم بعيدون عن النار لا تمسهم ولا تقربهم. وكقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢]، لا يسمعون مجرد حسيس النار لسلامتهم منها وبعدهم عنها. وكقوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فلا هم يحزنون ولا يخافون فهم آمنون مطمئنون. وكقوله: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] فهم آمنون من فزع يوم القيامة العظيم. وكقوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وزحزح عنها ليس بعد قذفه في غياهب بطنها، وإنما زحزح عنها كليًا، ولم يقل (زحزح منها) وشتان بين (زحزح عن النار) و(زحزح من النار).

ـ وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾، على القول بأن هذه الآيات في الورود إلى النار، معنى ذلك أن المتقين يدخلون النار (ثم) يُنجّون منها، وكلمة (**الذين اتقوا**) يدخل تحتها كلُّ متقٍ، فالأنبياء والرسل والشهداء والصديقون والصالحون من عباد الله تعالى كل هؤلاء متقون ومن ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾، و(ثم) هنا إما أن تكون للمهلة الزمانية، أي يُنجَّون منها بعد مهلة من الزمن. أو كانت (ثم) للمهلة الرتبية فالنجاة تكون بعد مرتبة دخولهم النار واحتراقهم بها.

وهذا لعَمري مخالفٌ للنصوص القرآنية التي وَعَدَ الله تعالى فيها المتقين الموفين بأن لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، ووعدهم الأمن بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فإن قيل: إن المتقين الذين سينجيهم الله تعالى من النار بعد دخولهم فيها هم الموحدون مرتكبو الكبائر والآثام ما دون الشرك بالله، وأن الظلم في الآية هو الشرك، فما لم يخالطهم الشرك مع إيمانهم فهم ممن لهم الأمن.

قلنا: إن هذا القول لا يستقيم أبدًا، فلا يُقبل أن يُقال إن آكل الربا تقيٌ من المتقين، والزاني تقيٌ، وشارب الخمر تقيٌ، والعاق لوالديه تقيٌ، وقاتل النفس المحرمة تقيٌ، وآكل أموال الناس بالباطل تقيٌ، فإن كان هؤلاء أتقياءَ بررة، فقد انعكست الموازين وانقلبت الدواوين والأحكام، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فمرتكبو الكبائر من الموحدين (كتارك الصلاة تهاونًا، ومانع الزكاة تهاونًا، والعاق لوالديه، وشارب الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتامى ظلمًا، والزاني، وفاعل الفواحش المحرمة... وغيرها من المعاصي والكبائر)، ماذا يقال فيهم؟!.

- **فإن قيل إن مَن ذُكر سابقًا أتقياء:** فهي فريةٌ بلقاء، ليس عليها دليلٌ صحيحٌ، ويأبى الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنون ذلك: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: ٣٤ - ٣٦]، ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة: ١٨].

- **فإن قيل هو فاسق،** فنقول إن الله تعالى يقول في الذين فسقوا: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة: ٢٠].

- **فإن قيل هو فاجر،** فنقول إن الله تعالى يقول في الفجار: ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۞ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۞ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٤ - ١٦].

- **فإن قيل هو عاصٍ،** فنقول إن الله يقول في الذين عصوا: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣].

- **فإن قيل هو منافق،** فنقول إن الله تعالى يقول في المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥].

- **فإن قيل هو مكتسبُ سيئة،** فنقول إن الله تعالى يقول فيهم: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١].

❁ ❁ ❁

الباب السابع عشر

في ذكر ثواب العمل والعقاب

قال الناظم:

١٣٧ - وَلَيْسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ يَجْتَمِعَا مَعًا   بِبِنْيَـةِ عَبْـدٍ مُكْـرَمٍ أَوْ مُهَـوَّنِ

قوله: (وَلَيْسَ الرِّضَا وَالسُّـخْطُ يَجْتَمِعَا مَعًا): أي أنه يسـتحيل أن يجتمع الضدان الرضا والسخط في قلب إنسـان في هذا الوجود مهما كان حاله، كما لا يكون العبد مرضيًا عنه مسـخوطًا عليه من الله تعالـى في آن واحدٍ، وعليه لا يكون المكلَّف طائعًا عاصيًا في آن واحدٍ، وعليه فالجزاء يوم القيامة واحد فقط، إما جنة عالية وإما نار حامية.

وقوله: (بِبِنْيَةِ عَبْدٍ مُكْرَمٍ أَوْ مُهَوَّنِ): أي لا يجتمع الرضا والسخط، والطاعة والمعصية (ببنية) أي جسم إنسان مكلَّف مهما كان هذا الإنسان، كان معظمًا عند النـاس أو كان مهانًا، وعليه فتنسـحب عليه أحكام الـدار الآخرة التي لا محابـاة فيهـا لأحدٍ مـن النـاس دون أحـدٍ، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، فكلٌّ رهين عمله يوم القيامة: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

قال الناظم:

١٣٨ - فَأَحْكَامُ تِلْكَ الدَّارِ لَيْسَـتْ كَهَذِهِ   وَمَنْ دَخَلَ النِّيرَانَ أُخْزِيَ فِي السِّجْنِ

قوله: (فَأَحْكَامُ تِلْكَ الدَّارِ لَيْسَتْ كَهَذِهِ): أي أن أحكام تلك الدار الآخرة دار الثواب والعقاب، دار المثوى الأخير والمستقر الدائم ليست كأحكام هذه الدنيا

من حيث الإكرام والإهانة لبني الإنسان، فالمكرم في الآخرة هو من أطاع الله تعالى ورسوله ﷺ بإيمانٍ صحيح وعملٍ صالح، والمهان في الدار الآخرة هو من عصى الله تعالى ورســوله ﷺ بتضييع الإيمان أو عدم الوفاء به من حيث العمل الصالح، أما معايير الإكــرام والإهانة في الدنيا فهي من وضع البشــر وتقوم على أعرافهم، ولهذا يبدأ الناظم رحمه الله بذكر بعض الأمثلة على اختلاف أحكام المكلَّفين في الآخرة.

وقوله: (وَمَنْ دَخَلَ النِّيرَانَ أُخْزِيَ فِي السِّجْنِ): أي من دخل يوم القيامة نارَ جهنم من المكلَّفين بسبب عصيانه لله تعالى ورسوله ﷺ، وانحرافه عن المنهج القويم، فإنه في خزي أبدي وسجنٍ سرمدي لا خروجَ له منه أبد الآبدين.

قال الناظم:

١٣٩ـ فَيَا عَامِلَ الطَّاعَــاتِ بِالْعَزْمِ قَاصِدًا ثَوَابًا بِــدَارِ الْخُلْدِ بُشْــرَاكَ فَلْتَهْنِ

قوله: (فَيَا عَامِلَ الطَّاعَاتِ بِالْعَزْمِ قَاصِــدًا): أي أيها العبد المكلَّف المطيع العامل بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ الممتثل للأوامر بالفعل وللنواهي بالترك، وكان عملك هذا وطاعتك برغبة منك فيما عند الله تعالــى، عاملًا بعزم ونية صادقة قاصدًا بذلك الأجر والثواب من الله تعالى يوم القيامة.

وقوله: (ثَوَابًا بِدَارِ الْخُلْدِ بُشْرَاكَ فَلْتَهْنِ): أي أن ما عملته أيها المكلَّف من الطاعة والوفاء بدين الله تعالى برغبة منك ونيــة صادقة قاصدًا الثواب من الله تعالى في دار الخلد يوم القيامة، فأبشر لن يضيع الله تعالى عملك وإيمانك، بل وعدك الحسنى وزيادة من النعيم المقيم، فقد بشرك الله تعالى بذلك في كتابه العزيز بما يسرك في الدنيا والآخرة فلتهن ولتفرح ولتسر بما بشرك الله تعالى به، فإن الله تعالى لا يضيع أجر محسن وعامل، قال الله تعالى وهو أصدق من قال وأبر من وعد: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠].

قال الناظم:

١٤٠ـ وَيَا كَادِحًا فِي السَّعْيِ يَطْمَعُ رَاغِبًا مَحَامِدَ هَذَا الْخَلْقِ حَسْبُكَ بِالأَيْنِ

قوله: (وَيَا كَادِحًا فِي السَّعْيِ يَطْمَعُ رَاغِبًا): أي ويا أيها المكلَّف الكادح المتعب نفسه في السعي الحثيث، الطامع الراغب في ثناء الناس عليه فحسب، الحريص في أي عمل يقوم به على رضى الناس وثنائهم عليه، أبشر بنتاج كدحك وطمعك هذا من الخسران والردّ.

وقوله: (مَحَامِدَ هَذَا الْخَلْقِ حَسْبُكَ بِالأَيْنِ): أي يا من تعمل العمل وتطمع من ورائه مَحمدة الخلق وثناءهم عليك، فحسبك ما تجده يوم القيامة من الخسران والتعب والهلاك، وقد أخبرنا الله تعالى عن هذا الصنف من الناس ـ ونعوذ بالله أن نكون منهم ـ بقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، فمن عَمِلَ رغبة في حمد الناس له فكأنه لم يعمل شيئًا بل لم يعمل شيئًا: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال الناظم:

١٤١ـ وَيَا طَالِبَ الثِّنْتَيْنِ أَخْسِرْ بِسَعْيِهِ فَلَا مِنْ شَرِيكٍ لِلإِلَٰهِ الْمُهَيْمِنِ

قوله: (وَيَا طَالِبَ الثِّنْتَيْنِ أَخْسِرْ بِسَعْيِهِ): أي يا أيها المكلَّف الطالب للأمرين معًا للثواب في الدار الآخرة والثناء من الناس في الدنيا أقصر فما أخسرك بسعيك هذا؛ لأن التوجه بالعمل الواحد إلى غايتين اثنتين محبط لقبول العمل عند الله تعالى، لما يشعر به هذا التوجه من المساواة بين طاعة الله تعالى وطاعة غيره، فيمحق الله هذا العمل المشين وهذا القصد الفاسد، فيرده على وجه فاعله؛ لأنه أغنى الأغنياء عن الشرك.

وقوله: (فَلَا مِنْ شَرِيكٍ لِلإِلَهِ الْمُهَيْمِنِ): في هذا الشطر تعليلٌ لسبب ذلك الخسران في الآخرة في ذلك السعي المتوجه به إلى طلب الرغبة في ثواب الآخرة والنجاة وطلب الثناء من الناس وحمدهم معًا في آن واحد، أن هذا الخسران إنما بسبب أنه من الشركة مع الله تعالى غيره، والله تعالى لا شريك له في توجيه الأعمال إليه تعالى؛ أشرك العبد مع الله تعالى غيره ردَّ الله إليه عمله ولم يقبله، فهو الإله المهيمن على كل شيء المالك لكل شيء، فكيف يشارك في تصرفه ملكه؟!، تعالى الله علوًا كبيرًا عن ذلك.

❁ ❁ ❁

الباب الثامن عشر

في ذكر النهي عن الغيبة والنميمة والحسد والكذب

قال الناظم:

١٤٢- وَمِمَّا يُزِيلُ الفَـرْضَ وَالنَّفْلَ غِيبَةٌ   لِـكُلِّ أَخِـي بَـرٍّ بِغَيْبَـةِ أَوْ عَيْنِ

قوله: (وَمِمَّا يُزِيلُ الفَرْضَ وَالنَّفْلَ غِيبَةٌ): أي أن مما يُذهب ويزيل ثواب العمل الصالح مـن فرض ونفل ارتكاب كبائر الذنـوب أو الإصرار على صغائرها، ومن أمثلة الذنوب التي تحبط ثواب العمل الصالح ولا ينتفع به صاحبه فـي الآخرة، بل يجده هبـاءً منثورًا، الغِيبـة، و(الغِيبـة): هي ذكـرك أخاك في غَيبته بما يكره بما كان فيه حقًا، فإن لم يكن فيه ما قلتَ فهو بهتان.

وقوله: (لِكُلِّ أَخِي بِرٍّ بِغَيْبَةِ أَوْ عَيـنِ): أي أن الغِيبة المحرمة التي تحبط ثواب العمل الصالح يوم القيامة، هي ذلك الذكر للمرء المحسن الصالح بما فيه من النقائص الخَلْقية والخُلُقية بقصد الاستنقاص في غَيبته وعدم حضوره، بما يراد به الاستنقاص ويفهمه الناس سواء كان لفظًا صريحًا أو كتابة أو إشارة أو بحركة يدٍ أو رأسٍ أو غمـزة عينٍ، فكل ذلك يؤدي إلـى الغيبة المحرمة، وقوله: (أَوْ عَيْنِ): أي وفي حالة حضوره ومعاينته، وكذا ذكرك أخاك بما يكره ويؤلم ولو في حضوره؛ لأن النصيحة في الملإ فضيحة لا يحتملها قلب إنسان مهما كان، ولهذا أطلق الحديث ولم يقيد إلا بعد الاسـتفهام فَصَلَ حيث جاء عن رسـول الله ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك

أخاك بما يكره» قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[1].

وقد حذَّر الله تعالى المؤمنين من الغيبة وأغلظ في التحذير والتنفير منها بتشبيه من يغتاب أخاه كمن يأكل لحم أخيه ميتًا، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وفي هذه الآية من الزجر والتنفير ما لا يخفى على عاقل.

يقول الإمام الثميني رَحِمَهُ اللَّهُ في «النور»: «... ولقوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، المشتمل على أمور خمسة مقتضية لمزيد التنفير هي: كونه لحمًا، وكونه ميتًا، وكونه نيًا، وكونه من آدمي، وكون ذلك الآدمي أخًا، وإنما قال ميتًا لأن المغتاب إذا كان غائبًا ولا يقدر على الدفع عن نفسه كالميت، أي كما حرمتم أكله وهو ميت عند الضرورة حرموا غيبته، وكما أنكم تكرهون أكله وهو ميت عند الضرورة أكرهوا أكله وهو حيٌّ بالوقوع في عرضه وهو حيّ»[2].

واستثنى العلماء ذكر المرء بما فيها ويكره في ستة مواضع من أجل مراعاة تحقيق المصلحة في هذا الذكر بهذه الصفة المكروهة، وهذه الحالات الست هي المجموعة في هذين البيتين:

القدح ليس بغيبة في ستة ... مُتَظَلِّم ومُعرِّف ومُحذِّرِ
ولمُظهر فسقًا ومستفتٍ ومَن ... طلَب الإعانة في إزالة منكرِ

أي ستة أشخاصٍ وهم: الذي يطلب حقه، والمعرّف بغيره، والمحذِّر من شر أحدٍ، والفاسق، والسائل عن حكم الشرع، ومَن يطلب إعانة غيره في إزالة منكر من المنكرات.

---

(١) رواه مسلم، باب: تحريم الغيبة، رقم الحديث: ٢٥٨٩.

(٢) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

قال الناظم:

١٤٣ـ فَفَاكِهَـةُ القُـرَّاءِ فَاحْـذَرْ شَـهِيَّةٌ   تُذِيبُ أُجُـورَ القَـارِئِ الْمُتَهَكْمِنِ

قوله: (فَفَاكِهَـةُ القُرَّاءِ فَاحْذَرْ شَـهِيَّةٌ): أي أن ما يتفكهُ ويسـتلذ به القراء وطلاب العلم فـي حديثهم ومطارحاتهـم وكتاباتهم من الوقـوع في عيوب الأساتذة والمشايخ وأصحاب الآراء التي لا تروق لهم، تفكهًا يروق لأنفسهم وتشتهيه، وإياك أيها المكلَّف الراشـد الكيس الحذر من الانجراف معها فإنها شهية المأخذ في جوٍّ من الرفاهية والتنفيس عن النفس، ولكنها الداء العضال والآفة اللسانية المهلكة، فالحذرَ الحذر!.

وقوله: (تُذِيبُ أُجُورَ القَارِئِ الْمُتَهَكْمِنِ): أي أن التفكهَ بالوقوع في أعراض الناس الذي يمارسـه بعض القـراء والمتعلمين على مـن يخالفونهم الآراء والأمزجة، يذيب ويذهب بأجر العمل الصالح لهذا القارئ المتفيهق المتهكم والمتهكمن على غيره بالقول الساخر والقدح اللاذع، وما درى هذا المسكين أنه يصهر ثواب أعماله الصالحة كلها بحرارة ونار هذا الفعل المشين الذي يقوم به، ويصدر من لسانه، وترعف به نفسـه أنه وبالٌ عليه يوم القيامة يوم تجتمع الخصوم بين يدي الله رب العالمين.

قال الناظم:

١٤٤ـ لَقَدْ حَرُمَتْ فِي الأَرْبَعِ الكُتْبِ كُلِّهَا   وَأَكَّدَهَـا الرَّحْمَـنُ فِي قَوْلِـهِ لَنِ

قوله: (لَقَدْ حَرُمَتْ فِي الأَرْبَـعِ الكُتْبِ كُلِّهَا): أي أن هـذه الغِيبة والقدح والفكاهة بتلـك الطريقة المذكورة في الأبيات السـابقة محرمـةٌ في الكتب السـماوية الأربعة التي أنزلها الله تعالـى على أنبياءه ورسـله، وهي: **التوراة والإنجيل والزبور والقرآن**، فليس من الشرائع السابقة شريعة واحدةٌ تبيح الغِيبة

والقدح في الآخرين، بل هذا شيء محرم في دين الله تعالى في جميع شرائعه المنزلة على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

وقوله: (وَأَكَّدَهَا الرَّحْمَنُ فِي قَوْلِهِ لَنِ): أي أن الله تعالى المتصف بالرحمة بعباده أكد تحريم الغيبة والفكاهة بقوله (لن)، ولعل الناظم يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢]، والله أعلم بمراده.

قال الناظم:

١٤٥ـ فَمَا مَرَّ يَوْمٌ لَمْ نُسَوِّدْ بَيَاضَهُ بِغِيبَةِ مَنْ لَمْ يَأْذَنِ الشَّرْعُ بِالطَّعْنِ

قوله: (فَمَا مَرَّ يَوْمٌ لَمْ نُسَوِّدْ بَيَاضَهُ بِغِيبَةِ): أي أن من كثرة الولع في الخوض في أعراض الناس وأحوالهم بقصدٍ أو بغيره، فما يمرُّ يومٌ من أيام عمر الإنسان إلا ويسوِّدُ صحيفته البيضاء بسواد الغيبة المحرمة، وقلَّ مَن ينجو من هذه المغبة في زماننا هذا، فما تمر سحابة نهار اليوم إلا وفي الرصيد سواد غيبة مؤمنٍ لا تجوز غيبته، ولا يمرُّ سجاف ليل دامس إلا وتقبح صحائفنا فيه بالغيبة المحرمة.

قوله: (بِغِيبَةِ مَنْ لَمْ يَأْذَنِ الشَّرْعُ بِالطَّعْنِ): أي أن غيبتنا التي لا يسلم منها يوم واحد من أيام عمرنا هي في مَن لا تجوز غيبته أصلًا، ولم يأذن الشرع الحنيف بلعنه والوقوع في عرضه والطعن فيه، فكان هذا أشدَّ وقعًا في الأمر.

قال الناظم:

١٤٦ـ وَأَمَّا النَّمِيمَاتُ القَوَاطِعُ إِنَّهَا لَكَالنَّبْلِ فِي الأَهْدَافِ دَرِّعْ وَجَنِّنِ

قوله: (وَأَمَّا النَّمِيمَاتُ القَوَاطِعُ إِنَّهَا): أي إذا كانت الغيبة والفكاهة بالأعراض مصهرات للأجور ومحبطات للأعمال الصالحة؛ فإن (النَّمِيمَات): جمع النميمة، وهي الوشاية بقصد إيغار الصدور وتأجيج الحقد ونار الضغينة،

هي أعظم فتكًا بالأجر والثواب بما لا يستهان به، وهي كذلك من مقطعات المودة والألفة بين الناس، ولهذا عبَّر عنها بكلمة (القَوَاطِع): لأنها تقطع أواصر المودة وأوصال الألفة والأخوة بين الناس، وتشتت المجتمع وتحزبه بما تغرس فيه من الضغائن والأحقاد.

وقوله: (لَكَالنَّبْلِ فِي الأَهْدَافِ دَرِّعْ وَجَنِّنِ): فيه تشبيه بليغٌ ودقيقٌ موكدٌ؛ إذ شبَّه النميمات القاطعة للمودات بين الناس، بأنها كالنَّبل وهي السهام المطلقة من مراميها قاصدة نحور العدو ومقاتله، شبهها بذلك مع التأكيد، أي بإضافة كاف التأكيد، فقال: (لَكَالنَّبْلِ)، أي السهام التي تصيب أهدافها المسددة إليها، (دَرِّعْ وَجَنِّنِ): أي فخذ الحيطة بالتدرع والتستر عن إصابتها القاتلة المحتومة لمن أصابت.

ومعنى البيت: أن النميمة تؤثر في صاحبها الضرر كما يؤثر الرامي بالسهم في الهدف، وعلى العاقل التحفظ من إصابتها لمقاتله في الدنيا والآخرة.

قال الناظم:

١٤٧- تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ظُبَاتُهَا كَشُعْلَةِ نَارٍ أُوقِدَتْ فِي الْمُجَرَّنِ

قوله: (تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ظُبَاتُهَا): أي إن النميمة تقطع أي تُذهب بحدة شفرتها ووقعها أواصر المودة والترابط بين الناس، وتكسب أصحابها الهوان والذلة والضعف، كما لو قطعت أعناق الرجال منهم، وفيه كناية عن شدة التمزق والتشرذم الذي يلقاه المجتمع المنتشرة فيه هذه النميمات بين أفراده رجالًا ونساءً.

قوله: (كَشُعْلَةِ نَارٍ أُوقِدَتْ فِي الْمُجَرَّنِ): أي أن النميمات تقطع أواصر المودة والألفة والأخوة بين أبناء المجتمع كشعلة النار إن وضعتْ في شيء تشتعل فيه، فإنها تمزقه وتقطع ترابط أليافه وروابطه المتينة بضرامها فيه، كما

أن النار لا تبقي شـيئًا في الهشـيم اليابس، ولا في البناء القائم، والعروش الباذخة، والعمارة الراسخة، فتأتي عليها عن بكرة أبيها، ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقـرة: ٢٥٩]، فأنـى أن ترجع تلك الروابط وتلـك الأخوة وذلك التآلف بعدما مزقتهن النميمة وأخواتها، وأوغرت الصدور على بعضها، فأنى لها الرجعى.

قال الناظم:

١٤٨ـ فَحَسْـبُكَ يَـا حَسَّـادُ نِعْمَـةَ رَبِّهِ عَلَى عَبْدِهِ نَـارُ الْجَحِيـمِ بِأَقْمَنِ

قوله: (فَحَسْبُكَ يَا حَسَّـادُ نِعْمَةَ رَبِّهِ عَلَى عَبْدِهِ): أي حسبك أيها الحاسد: المتمني زوال نعمة الله تعالى عن خلقه سـواك وانتقالها حصرًا إليك، بل أيها الحسَّـادُ كثيرُ الحسـدِ على ما أنعم الله تعالى على عباده مـن صنوف النعم، يكفيك من أنواع العذاب نارًا حامية تبوء بها وتصطليها في الآخرة.

وقوله: (نَارُ الْجَحِيمِ بِأَقْمَنِ): أي حسـبك من العذاب يوم القيامة إن لم تتب من النميمـة والغيبة والوقوع في أعراض الناس نـارُ الجحيم الحامية، عياذًا بالله منها ومما يقرب إليها من قول وعمل واعتقاد، (بِأَقْمَنِ): أي بزيادة أحقية واستحقاق لهذا العذاب غير المنقطع، وكأنه يقول له في البيت: وأنت أحق بها وأهلها.

قال الناظم:

١٤٩ـ رَضِيتَ بِأَنْ تَنْسَـلَّ مِنْكَ مَحَاسِنٌ وَتَبْقَى بِغَيْرِ الدِّينِ بِالوَغْرِ وَالضَّغْنِ

قوله: (رَضِيتَ بِأَنْ تَنْسَلَّ مِنْكَ مَحَاسِنٌ): أي رضيت وأحببت أيها الحاسد نعمة ربه على عباده المنعم عليهم، أن تذهب عنك حسناتك كما ينسل الماء من بين أصابع الكف، بسبب حسـدك وعداوتك وعدم رضاك عن أفعال الله

تعالى، لأن الحاسد يرى أنه أحق بتلك النعمة من غيره، وفي ذلك تخطئة ضمنية لله تعالى في توزيعه نعمه على من يشاء من عباده.

وهذا الحسد هو الذي أوقع إبليس في اللعنة والطرد من رحمة الله تعالى إلى الأبد، فهو حسد آدم عليه السلام عندما فضّله الله على الملائكة ومن باب أولى على الجن، فحسده على هذه النعمة وهذا المتبوأ الذي أكرمه الله تعالى به فكان ذلك سببَ هلاكه، قال الله تعالى عنه في كتابه العزيز ممتنعًا عن السجود لآدم: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقوله: (وَتَبْقَى بِغَيْرِ الدِّينِ بِالوَغْرِ وَالضِّغْنِ): أي أيها الحاسد بعدما تذهب عنك حسناتك وتتفلت من صحائفك، وتتطاير ستبقى بغير دين ولا قيمٍ ولا حسنات، وذلك (بِالوَغْرِ): أي بالغل والحسد والحقد، (وَالضِّغْنِ): أي الحقد والعدوان، فلا يكسب أجرًا ولا يستفيد ثوابًا يوم القيامة، فيأتي خائب اليدين.

قال الناظم:

١٥٠ - يَبِيتُ ذَوُو النَّعْمَاءِ فِي فَضْلِ رَبِّهِمْ وَحَاسِدُهُمْ فِي الْغَمِّ لِلرُّبْعِ وَالثُّمْنِ

قوله: (يَبِيتُ ذَوُو النَّعْمَاءِ فِي فَضْلِ رَبِّهِمْ): أي أن أرباب النعمة وأصحابها الذين أنعم الله تعالى عليهم بصنوف النعم يمسون يتقلبون في نعماء الله تعالى، وفي فضله عليهم وما حباهم به وبوأهم إياه من الخير العميم والفضل العظيم وصنوف النعيم، ويشقى في الوقت نفسه حاسدهم على نعمة ربهم عليهم.

فبين ذلك بقوله: (وَحَاسِدُهُمْ فِي الْغَمِّ لِلرُّبْعِ وَالثُّمْنِ): أي أنهم ينعمون بصنوف النعم التي أكرمهم الله تعالى بها ويموت حاسدهم ومتمني زوال نعمتهم بغمه وحزنه وقهره وبنار حسده، (لِلرُّبْعِ وَالثُّمْنِ): أي يموت بغمه في حسده الأرباع والأثمان، وهو كناية والله أعلم عن تقصيه أحوال الناس

وحسدهم على نعمهم التي أكرمهم الله تعالى بها صغيرها وأصغرها، فالحسود ناره لا تخمد حتى تأتي على أخضره ويابسه، وكما قال الشاعر:

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها ... إن لم تجدْ ما تأكله[1]

قال الناظم:

١٥١ ـ فَحَشْوُ فَمِ الكَذَّابِ أَخْشَنُ كَكْتَةٍ ... لِتَدْنِيسِهِ عِطْرَ الْمُرُوءَةِ بِالنَّتْنِ

قوله: (فَحَشْوُ فَمِ الكَذَّابِ أَخْشَنُ كَكْتَةٍ): أي أن ما يملأ الكاذب ـ المخبر المخالف كلامه للواقع والحقيقة ـ به فمه من الكلام المخالف للواقع أخشن: أي أشد غلظة من (كَكْتَةٍ) ـ بكافين أوَّله وتاءين مثناتين فوقيتين آخره ـ بمعنى التراب، أي كالتراب النتن ذي الرائحة الخبيثة الكريهة.

وقوله: (لِتَدْنِيسِهِ عِطْرَ الْمُرُوءَةِ بِالنَّتْنِ): أي أن هذا الكذَّاب بكلامه هذا الذي يملأ به فمه ويفوه به وهو مخالف للواقع والحقيقة على سبيل العمد، يلوِّث ويشوِّه بكلامه هذا معاني المروءة ـ وهي كمال الرجولة وغاية الاحتشام والنزاهة ـ وخصالها، فتذهب عنه مروءته ونزاهته بما وقع فيه مما ينفر النفوس عنه ولهذا شبهه بالنتن، أي الرائحة الخبيثة التي لا تطاق، والمنبعثة من قبيح الفعل والقول الذي أتى به هذا الكذَّاب.

ومعنى البيت أن ما يفوه به فم الكذَّاب كثير الكذب وهو المخبر بما خالف الواقع والحقيقة من الكلام، أغلظ وأخشن من التراب الجراش، وفيه كناية عن شدة التوبيخ والتقريع لهذا الكذَّاب الذي أخل ولوث عطر المروءة التي يتحلى بها المرء في نطقه وأفعاله وأخلاقه وسجاياه بهذا الكلام المنتن الملوث للأسماع، الذي يذهب بالمروءة والنزاهة.

---

(١) البيت منسوب إلى عبدالله بن المعتز.

قال الناظم:

١٥٢ـ عَلَـى أَنَّ عُقْبَـاهُ الوَعِيـدُ وَأَنَّـهُ كَلِصٍّ وَلِصُّ الْعَقْلِ أَدْهَى شُوَيْطِنِ

قوله: (**عَلَى أَنَّ عُقْبَاهُ الوَعِيدُ وَأَنَّهُ كَلِصٍّ**): أي أن ما يملأ الكذّاب به فمه ويحشوه به من الكذب مع ما يوصف به من الخشونة والنتن، ومع إذهابه بالمروءة والنزاهة فإن مع هذا عاقبته الوعيد الشديد بالنار يوم القيامة، وأنه في ذلك كاللص السارق أموال الناس بغير وجه حق؛ فإن اللص يسرق المال وهذا الكذّاب يسرق الأنفس، فيميل بها إلى ما لا يليق بها وبإنسانيتها ومروءتها.

وقوله: (**وَلِصُّ العَقْلِ أَدْهَى شُوَيْطِنِ**): أي أن الكذّاب بكذبه هو أشدُّ في السرقة من اللصّ السارق للأموال؛ لأنه لصٌّ يسرق العقول والأنفس، وهذا أشد وأدهى وأعظم شيطنة، (**شُوَيْطِنِ**): تصغير شيطان، أي أن لصَّ العقول في فعله هذا كالشيطان في دهائه وعظم جرمه.

قال الناظم:

١٥٣ـ فَهَـذِي خِـلَالٌ مُحْقَـرَاتٌ غوَائِلٌ وَقَـدْ يَزْدَرِيهَا كُلُّنَا لَـمْ يَقُلْ قِطْنِ

قوله: (**فَهَـذِي خِلَالٌ مُحْقَـرَاتٌ غوَائِلٌ**): أي أن كلَّ هذه الخصال السيئة المذكورة سابقًا من الغيبة والنميمة والفكاهة والكذب التي يستهين الناس بها وخطرها، ويرونها من المحقرات الصغيرة في أعينهم؛ إنها لهي الكبائر عند الله تعالى، والمهلكات لفاعليها، ولهذا قائل بأنها (**غوَائِلٌ**): أي تغتال أصحابها بالهلاك يوم القيامة وتأخذهم على حين غفلةٍ منهم عن خطرها في الدنيا.

وقوله: (**وَقَدْ يَزْدَرِيهَا كُلُّنَا لَمْ يَقُلْ قِطْنِ**): أي ومع كونها غوائل ومهلكات فإنه قد لا يأبه بها وبخطرها جميعنا معشر المكلَّفين، بل وكلُّنا لم يقل يكفيني ما فيها من الوعيد لأتركها وأزيلها من أخلاقي، (**قِطْنِ**): بمعنى يكفيني منها ما أتيت منها سابقًا عن وقتي هذا.

قال الناظم:

١٥٤ـ فَهَـذَا الذِي قُلْنَـاهُ فِي دِيـنِ رَبِّنَا عَلَى ذَاكَ نَحْيَا فَادْخُلُـوهُ بِلَا إِذْنِ

قوله: (فَهَذَا الذِي قُلْنَاهُ فِي دِينِ رَبِّنَا): أي أن كلَّ ما ذكرناه من أول القصيدة من بداية قولنا: (فأول علمٍ يلزم العبد فرضه)، إلى هنا، أي إلى هذا البيت الذي شـرحناه قبل قليل، فكلُّ ما ذكرناه من أحكامٍ جملة وتفصيـلًا، التي بيَّنا بها ما يلزم العبد المكلَّف اعتقادًا وقولًا وفعلًا، فكلُّ ذلك الذي قلناه وذكرنا والذي هو من شريعة ربنا تبارك وتعالى ودينه الحنيف الذي أكرمنا به، والذي نتمسك بـه إلى آخر يـومٍ مـن حياتنـا: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقوله: (عَلَى ذَاكَ نَحْيَا فَادْخُلُوهُ بِلَا إِذْنِ): أي أن تمسـكنا بما قلناه جملة وتفصيلًا ما دمنا أحياء في هذه الدنيا وحالـة انتقالنا إلى الدار الآخرة، وبعثنا بعد الموت، وهذا ميثاق غليظ نتمسك به وعروة وثقى لا تنفصم، (فَادْخُلُوهُ بِلَا إِذْنِ): أي فعملوا بها أيها المكلَّفون بلا طلب اسـتئذان ولا إذن، لما فيها من الحق المبين والصراط المستقيم.

وأرى الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا البيت وصل إلى نهاية تحريره مادة القصيدة، وبعد هذا الباب يدخل في آخر بابٍ من أبواب القصيدة ـ حسب تقسيمنا لها ـ، وهو باب خاتمة القصيدة، الـذي خصصه بذكر نعم الله تعالـى عليه وآلائه تعالى السـابغات، ابتداءً من اعترافه بالله تعالى ربًا وخالقًا وبالإسـلام دينًا ومنهجًا والنبي محمد ﷺ نبيًا ورسولًا وهاديًا، والكعبة الغراء قبلة ومقصدًا، كما سنذكر في الباب القادم، وهو من أحسن ما قال ونظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ ❁ ❁

الخـاتمـة

في ذكر أخلاقيات الناظم واعترافه بفضل الله عليه

قال الناظم:

١٥٥ـ إِلَى اللهِ أَدْعُو لَيْـسَ عِنْدِي تَخَالُجٌ وَلَا مِرْيَةٌ فِي الدِّينِ فَارْضَ أَوِ احْزَنِ

قـوله: (إِلَى اللهِ أَدْعُو لَيْسَ عِنْدِي تَخَالُجٌ وَلَا مِرْيَةٌ فِي الدِّينِ): أي توجهـي في الدعـوة إلى الله تعالـى وحـده توجـهٌ لا يخالطـــه تـــرددٌ ولا يخالجـه شـــكٌّ ولا مريةٌ ولا ريبٌ، لأنـــه دعوة إلى ديـــن الله تعالى الحـــق المبين والصـراط المستقيم، فدعوتي إليه منطقٌ سديدٌ، وفـي ذلك قـال الله تعـالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

قوله: (فَارْضَ أَوِ احْزَنِ): أي كـــن راضيًا أيها المكلَّف بما دعوتك إليه في هذه القصيدة؛ لأنه دعوة إلى ديـــن الله تعالى وأحكامه، فـــإن رضيتَ وقبلتَ وعملتَ كنتَ من السعداء في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وإن رفضتَ وسخطتَ وحزنتَ ولـم تعمل كنت من الأشـــقياء في الدنيا والآخرة، قال الله تعالـــى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

قال الناظم:

١٥٦ـ رَضِيتُ بِهِ رَبًّا وَأَحْمَدَ عَبْدَهُ رَسُولًا وبالإِسْلَامِ دِينًا لِدَيِّنِ

قوله: (رَضِيتُ بِهِ رَبًّا وَأَحْمَدَ عَبْدَهُ رَسُولًا وبالإِسْلَامِ دِينًا لِدَيِّنِ): أي أما أنا ـ أيها المكلَّفُ ـ فقد رضيتُ وقبلتُ بالله تعالى ربًا أي مربيًا لي ومالكًا، و(الربُّ): مأخوذٌ من ربَّه يربه بمعنى نمَّاه أو أصلحه أو ملكه، ويقال أيضًا: ربَّبه ورباه، ويطلق الربُّ على الملك.. ويطلق على المالك(١).

ورضيتُ أيضًا بأحمد أي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ وهو عبدٌ لله تعالى رضيتُ به رسولًا من رسله اصطفاه بالرسالة إلينا، (عَبْدَهُ): العبد: هو المملوك لسيده، وأراد به التنويه أن محمدًا لا يخرج عن أصل العبودية لله تعالى؛ إذ ليس بين الله وأحدٍ من خلقه حسبٌ ولا نسبٌ، بل العبودية له وحده تعالى، (رَسُولًا): والرسول: رجل أوحي إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه(٢)، فهدانا الله به سبل الرشاد وأقامنا على خير عماد، وبصرنا بمصائر العباد يوم المعاد، فأخرجنا به من الظلمات إلى النور، ومن الغواية إلى الهداية.

ورضيتُ أيضًا بالإسلام دينًا، وأنه شرع الله تعالى وهدايته للناس كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وارتضاه لنا دينًا فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، ولا يقبل من الناس غيره فقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، و(الإِسْلَامُ): هو مجموعة الأعمال الصالحة والأقوال الحسنة والاعتقاد الخالص والمعاملات الصحيحة التي شرعها الله تعالى لعباده ليعيشوا وفقها في هذه الحياة، وفق ضوابط حددها لهم.

---

(١) الخليلي، جواهر التفسير، ج١ ص٢١٩.

(٢) البوصافي، بغية الراقي في شرح خلاصة المراقي، ص٧٩.

وقوله في آخر البيت: (لِدَيِّنِ): أي كلُّ ما ذكرناه من خصال الإسلام وتفاصيله فذلك دين المرء الذي ارتضاه الله تعالى له إن كان يبغي دينًا يتبعه، ويبغي منهجًا يدين به ويعبد الله وحده من خلاله، وإن لم يفعل فهو مفترٍ على الله تعالى الكذب وظالمٌ لنفسه وموبقها، لأنه يرى راياتِ الإسلام الخفاقة ومعالمه الظاهرة وسلطانه القاهر وعظمته الباهرة، ويسمع عنه وعن أحكامه ويدعى إليه ولاعتناقه بألطفِ عبارةٍ وأرقِّ تعبيرٍ، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصف: ٧].

قال الناظم:

١٥٧- وَبِالْكَعْبَةِ البَيْتِ الْمُحَرَّمِ قِبْلَةً وَبِالْمُحْكَمِ الشَّافِي إِمَامًا فَبَيِّنِ

قوله: (وَبِالْكَعْبَةِ البَيْتِ الْمُحَرَّمِ قِبْلَةً): أي رضيتُ أيضًا بالكعبة وهي البيت الحرام الذي وضعه الله تعالى في مكة المكرمة قِبلة لي، و(القبلة): هي ما قابل وقوبل، أو ما شخص ليقصد ويقابل، أي رضيتُ بالكعبة المشرفة قبلة لي أتوجَّه إليها عند صلاتي.

وقوله: (وَبِالْمُحْكَمِ الشَّافِي إِمَامًا فَبَيِّنِ): أي ورضيتُ أيضًا بالمحكم المنزل على رسول الله ﷺ ألا وهو القرآن الكريم، وهو الشافي لما في صدور الخلق من مرض عبادة الأوثان والأصنام، وأنه الإمام المبين والقائد إلى الصراط المستقيم، (الْمُحْكَمُ): هو ما اتضح معناه[1]، ويراد به واضحٌ في أحكامه حازمٌ في تعاليمه، فلا غموض فيه ولا تردد، وهو الشافي لما في الصدور من الأحقاد والضغائن والشرك والشك، وهو إمامٌ قائد للنفوس لما فيه سعادتها في الدنيا والآخرة، (فَبَيِّنِ): أي اطلب منه البيان والتوضيح لكل تفاصيل حياتك

---

(١) السالمي، بهجة الأنوار، ص١٤٧.

وعبادتك فلم يفرط فيه من شيء، كما قال الله تعالى عنه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال الناظم:

١٥٨ـ وَبِالدَّعْوَةِ الغَرَّاءَ كَالشَّمْسِ نِحْلَةً   أَئِمَّتُنَا زُهْرٌ كِرَامُ التَّدَيُّنِ

قوله: (وَبِالدَّعْوَةِ الغَرَّاءَ كَالشَّمْسِ نِحْلَةً): أي ورضيتُ أيضًا بالطريقة التي دعى الله تعالى عباده إليها، و(الغَرَّاءُ): من الغرة وهي بياض في الجبين، فهي غراء أي بيضاء ناصعة لا شوائب تشوبها، كالشمس في نصاعتها وشعاعها لا تخفى على ذي عينين بصير، (نِحْلَةً): ديانة، وأصل النحلة الهبة، أي هبة من الله تعالى لي ومنته عليَّ بأن رضيت بها ديانة ومنهجًا، أي أن الديانة بهذه الدعوة التي دعى الله تعالى هي نحلتي ومنة الله تعالى علي في التوفيق إليها، وهي ديانتي التي أفخر بها وأدين.

وقوله: (أَئِمَّتُنَا زُهْرٌ كِرَامُ التَّدَيُّنِ): أي مقتديًا في ذلك كلّه بالأئمة العدول الأخيار الأبرار، رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، المقتدى بهم في تلك الدعوة والطريقة المحمدية، من أهل الحق والصدق، والاستقامة في الدين وصلاح النية والقول والعمل، المنزهين الله تعالى عمّا لا يليق من الصفات، المثبتين له كمالاتها على الإطلاق؛ إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، المقرِّين لنبيه محمد ﷺ بالرسالة الحقة، والكمال الإنساني، والبلاغ المبين، وحسن القدوة، المطيعين له فيما أمر ونهى مما ثبت عنه ﷺ، الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، الباذلين أرواحهم فدًى للإسلام والشريعة، المجاهدين في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم وأقلامهم وألسنتهم حتى يموتوا على ذلك شهداء لله وفي الله.

وقوله: (زُهْرٌ كِرَامُ التَّدَيُّنِ): وهم ـ أي أئمتنا المقتدى بهم في الدين ـ حسان كرام في ديانتهم لله ﷻ، ومتدينون عابدون في محاريب الطاعة والجهاد، أقاموا الشريعة الغراء في أنفسهم فأقامتهم في الدنيا مقام الرفعة والكرامة، آمنوا بالله ورسوله ودينه فأحبوه وهو لهم محب، وطبّقوه في حياتهم وتعاملاتهم وأحكامهم وأقوالهم وأفعالهم، أقاموا بالدين حياتهم وأفنوها به وفيه.

ومقصود الناظم رحمه الله الرضى بالدعوة والمنهج الذي سار عليه أئمة الإباضية ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ، فهم امتدادٌ للرعيل الأول، لرسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، فساروا على ما ساروا عليه ما بدلوا وما غيروا، وهم كما قيل فيهم:

هـمُ للأمـر بالمعـروف أهـلٌ وإنـكارٌ لمنكـر حيـن ثـارا
بهدي المصطفـى والصحب طُرًّا قـد اسـتهدوا فأورثهـم وقـارا
وهـم من عهـدِ جابر ابـن زيدٍ إمامهـمُ الـذي بالحـق سـارا
وعهـد أبـي عبيدة وهـو قطبٌ إمـامٌ بعـده حـاز اشـتهارا
وعهـد ربيعنـا المشـهور علمًا سـما من بعـده لمـا اسـتنارا
وكان فتـى إباضٍ عمـدةً من مشـورةِ جابـرٍ يحمـى الذمارا
شـجاعًا لا يبالـي مـن طغـاةٍ إذا مـا اسـتوعدوه رأوا دمـارا
لـذاك سـموا إذا انتسـبوا إليـه بمذهبهـم وقـد أَلْفَـوْهُ جـارا
فعـزَّ بـذاك مذهبهـم وعـزُّوا وهـم كانـوا الأئمـة والخيـارا
وكانـت بصـرة للعلـم دارًا وبعد إلـى عُمـان العلـم طارا
فمـن آل الرحيـل فتـى رحيلٍ وذُريـةٌ لـه كانـوا مـدارا
فذلكـمُ محمـدُ مـع بنيـه فتـى محبوبـه الزاكـي نجـارا
وموسـى جابـرٍ وفتـى علـيٍّ أئمتنـا وقـد نالـوا اقتـدارا

بشيرٌ هاشمٌ وكذا منيرٌ أناروا بالعلوم الغر دارا
وكان أبو سعيدٍ قطبَ علمٍ كمثل أبي محمد لا يجارا
وكان الصلتُ نجل خميس بحرًا كمثل أبي الحواري لا يبارا
وأصبح فيهمُ الصبحي حَبرًا وأضحى فيهم الشقصي منارا
وجاعد وابنه علمين كانا وكم قتلا بسرهما الشرارا
وبعدهما الخليلي المفدى إمامًا قدوة في العلم صارا
وصالحُ كان ذا علمٍ وحزمٍ وعيسى ابنه الحامي الذمارا
ومنهم ماجد العبري حَبرٌ وعامرُ كاسمه عمر الديارا
وخاتمة الجميع فتى حُميدٍ هو النور الذي من بعدُ نارا
هو القطب الذي دارت عليه رحى الدين القويم بحيث دارا
هو العلم الشهير وليس يخفى ضياء شمسه سطعت نهارا
وهذي نبذة في ذكر بعضٍ قد اشتهروا ذكرتهم اختصارا
وأرض عُماننا كم من بحورٍ بها في العلم زاخرةٍ غزارا[1]

قال الناظم:

١٥٩ ـ سُبِقْنَا إِلَى شَرْحِ الْعُلُومِ وَنَظْمِهَا كَفَانَا الأُولَى مَا أَلَّفُوا كُلَّ مَا فَنّ

قوله: (سُبِقْنَا إِلَى شَرْحِ الْعُلُومِ وَنَظْمِهَا): أي أن الأولين من الأئمة وأهل العلم سبقونا في مضمار العلم وخدمة الدين، فشرحوا العلوم ونظموها ونثروها، وقد أصّلوا مسائل المذهب وفرَّعوا عليها، وقرروها وحرروها، حتى لم تبقَ قطُّ مشكلة، فحازوا قصبات السبق في ميادين العلم والحق.

---

(١) قصيدة «أراني كلما قطعوا المزارا» ـ للشيخ الفقيه الأديب سيف بن محمد الفارسي ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ.

وقد قلتُ في كتاب «**الرسـالة الرضية**»: «... علـى أن في الإباضية علماء جهابذة، حملوا رايات العلم ودعوة الحق إلى الخلق، ساروا على النهج القويم والطريق المستقيم، فمنهم من علا منابر العلم خطيبًا مصقعًا، ومنهم من تصدَّر حلقات الذكر مفتيًا ومعلمًا، ومنهم من أضنى حياته في سراديب العلم والعبادة والتعليم، وحلقات التربية حتى حاز قصبات السبق»(١).

ولعلماء الإباضية مؤلفات تئنُّ من ثقلها وكثرتها البعران الجلاد، وهي أكثر من أن تحصى في مختلف الفنون الشرعية والأدبية والتاريخية والأصولية: منها «**ديوان الإمام أبي الشعثاء جابر بن زيد**» قيل عنه أنه حِمل خمسة أبعرة وهو مفقود لا ندريه. ومنها كتاب «**الجامع الصحيح**» للإمام الربيع بن حبيب وهو من أصحِّ الكتب الحديثية على الإطلاق(٢).

ولله درُّ الشيخ خلف بن سنان الغافري أحد قضاة الإمام سيف بن سلطان عندما قال:

لنـا كتـب فـي كل فـن كأنها ... جنانٌ بها من كل ما تشتهي النفسُ
جرى حبها مني ومـن كل عالمٍ ... ذكي الحجى والفهم حيث جرى النفس
فلا أبتغي ما عشـت خلًّا مؤانسًا ... سواها فنعم الخل لي وهي الأنس
ولسـتُ أُرَجِّي أن يفوز بمثلهـا ... علـى غابر الأيام جـن ولا إنس
ثلاث مئـين ثم سـبعون عدها ... وتسـعة آلاف لهـا ثمن بخس(٣)

---

(١) البوصافي، راشد بن سالم بن راشد، الرسالة الرضية في مسائل صلاة الإباضية، سلطنة عُمان، مسقط، الطبعة الثانية: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ج١ ص٩٣.

(٢) البوصافي، راشد بن سالم بن راشد، الرسالة الرضية في مسائل صلاة الإباضية، ج١ ص٩٨.

(٣) الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان، العقود الفضية في أصول الإباضية، دار اليقظة العربية، في سوريا ـ ولبنان، بدون ذكر الطبعة وتاريخها، ص٢٧٥ ـ ٢٧٦.

قوله: (كَفَانَا الأُولَى مَا أَلَّفُوا كُلَّ مَا فَنٍّ): أي أن الأولين من الأئمة والرعيل الأول من أهل العلم كفونا مؤنة البحث عن المسائل الدينية بما ألفوه من مصنفات وكتب وموسوعات المختلفة في جميع فنون الشريعة، في أصول الدين ومسائل الديانة، وفي الفقه وأصوله، واللغة وأدابها، والقرآن وتفسيره، والحديث وشروحه، وغيرها من الفنون من العلوم الشرعية، وقد جمعوها في كتبهم وصنفوها وشرحوها بما لا مزيد عليها.

ومعنى البيت أن الذي منعني من الإكثار من مسائل المذهب في هذه القصيدة تصنيف الأولين فيه ما لا مزيد منها، لا قصور باعي وقلة متاعي، فقصده الاعتذار عن عدم الإكثار والتواضع بأن ما ذكره سبقه غيره إليه(١).

وليس مراد الناظم رحمه الله التقليل من مقدرة المتأخرين على الإتيان بأفضل ما جاء به المتقدمون، كلا والله، فلكل زمانٍ رجاله، والناظم نفسه دليلُ ذلك، فقد نظم هذه القصيدة وسبكها بما لم يأتِ به الأوائل.

وقد قلتُ سابقًا في غير هذا الكتاب: «... وما هناك من شيء أضر على العلم وأهله وطلابه ـ ممن أخلص فيه لله تعالى ـ من مقولة: «لم يترك المتقدمون للمتأخرين شيئًا»، فكم أضرت هذه المقولة العلم ولم تنفعه قط، فخلَّفت بعدها رجالًا يرفعون العلماء فوق أقدارهم البشرية، حتى تكون سيئاتهم عندهم حسنات، وأخطاؤهم عندهم من جملة الصواب، فلا يقفون على خطأ في تأويلٍ ولا فوات دليلٍ إلا وقفوا عنده ولم يجاوزوه إلى التصحيح والاعتذار بعدم الاتباع لمن قال به وأخطأ فيه، فكان صوابهم صوابَ من قبلهم وخطؤهم خطأهم.

وهذا المسلك لعمري هو ما أضر بتقدم عجلة البحث والاجتهاد، وأضر بالعلماء المتقدمين أنفسهم، الذين لو رفعوا رؤوسهم من قبورهم ووجدوا

---

(١) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

ركود العلـم على ما حبروه وقالوه، فلـم يجدوا إلا ناثرًا لنظمهم أو شـارحًا لمجمل نثرهم أو محشّيًا على شروحهم أو محققًا لمتونهم أو مقدسًا لأرائهم، ولو مُكنوا من القول لأنكروا ذلك ولطلبوا ممَن جاء بعدهم أن ينظر فيما قالوه وكتبوه كنظرهم فيما كتبه وقاله مَن قبلهم، فهكذا يُخدم العلم وتتصل حلقاته ويكون المتأخرون بررةً بالمتقدمين، يواصلـون بناء الصرح العلمي لبنة فوق أخرى، وما أبلغ ما قاله العلامـة النحوي ابن مالك الطائـي صاحب الألفية المشهورة في علم النحو: «وإذا كانت العلوم مِنحًا إلهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستبعدٍ أن يُدَّخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثيرٍ من المتقدمين»(١).

ويقول أبو عثمـان الجاحظ فـي مثل ذلـك: «... وقد قالـوا: ليس من ما يسـتعمل الناس كلمة أضرَّ بالعلم والعلماء ولا أضرَّ بالخاصة والعامة من قولهم: «ما ترك الأول للآخر شـيئًا»، ولو اسـتعمل الناس معنى هذا الكلام، فتركوا جميع التكلف، ولم يتعاطوا إلا مقدار ما كان في أيديهم، لفقدوا علمًا جمًا ومرافق لا تُحصى، ولكن أبى الله إلا أن يقسـم نعمه بين طبقات جميع عباده قسـمة عدلٍ، يعطي كل قرن وكل أمة حصتها ونصيبها على تمام مراشد الدين، وكمال مصالح الدنيا»(٢).

ولو سَـلَكَ الناس هذا المسـلك بهذا الفهم لتُرك العمل وعُطلت المواهب وهُمشـت الملكات وحُنط العقل المسـتنير بنور العلم الذي حباه الله صاحبَه، ولبقيتْ الدنيا إلى يومنا جامدة على ما كانت عليه من بداية أنفاس البشـرية من عهد أبينا آدم عليه السلام، ولكن أبى الله تعالى إلا أن يقيّض لكل زمانٍ رجاله، يبعثون

---

(١) ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، سنة النشر: ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص٢.

(٢) الجاحظ، الرسائل ج٤ ص١٠٣.

فيه همة الأمم، ويرفعون للعلم مناره ويورون ناره، وينقبون عن مكنوناته وحقائقه ودقائقه، ويرفعون راياته عالية خفاقة تلوح في وجه الجهل العابس المكفهر.

وفي المقابل لا ينسَ الإنسانُ العلماءَ المتقدمين وما قدَّموه من تضحيات، أولئك القوم الذين كانت لهم اليد الطولى والسبق الأسنى في الوصول إلى مكنونات العلم، فهم وصلوا إلى العلم والزمانُ غضٌّ فتي، لاحت فيه بوارق الجهل واحلولكت ظلماته، فخدموا العلم بأذهانهم وأبدانهم، فتعبت منهم الكواهل وتقرَّحت منهم الكواحل، نفوسهم أتعبت في العلم أبدانهم، وأبدانهم أتعبت في العلم أنفسهم، طلبوا العلمَ فطلبهم العلمُ وخدموه فخدمهم، وشمَّروا لأجله وتجلَّدوا، فجلدوا الأرض بحوافر ركابهم سعيًا لطلبه، وقطعوا الفيافي والقفار التماسًا لأثره..»(١).

قال الناظم:

١٦٠ـ خَلِيلَيَّ جِدًّا فَالْعُلُومُ كَثِيرَةٌ وَهَذَا غُرَابُ المَوْتِ يَنْعِقُ بِالبَيْنِ

قوله: (خَلِيلَيَّ جِدًّا فَالْعُلُومُ كَثِيرَةٌ): الخليل هو الصاحب، أي صاحبيَّ ـ ويصح الخطاب لصاحبٍ واحدٍ ناداه بالتثنية ـ اجتهدا في طلب العلوم وتحصيلها؛ لأنها كثيرة جدًا والعمر قصير، لا ينبغي للمكلَّف العاقل أن يفرط في طلب العلم وتحصيله، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، كما جاء ذلك عن رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة.

وقوله: (وَهَذَا غُرَابُ المَوْتِ يَنْعِقُ بِالبَيْنِ): أي وهذا غرابُ البَين وهو الفراق، ينعق ويصيح ويؤذن بالبين وهو الموت والرحيل، إذ العرب تكني عن الموت بنعيق غراب البَين، كما يقول الشاعر:

---

(١) ذكرتُ ذلك في بحثي في «الأحداث السياسية بين الصحابة ومن بعدهم وموقف الإباضية منها»، وهو لا يزال في طور الإعداد والتأليف.

إذا ما غراب البيـن صاح فقل له ترفق رمـاك الله يا طيـر بالبعد
لأنت لـدى العشـاق أقبح منظر وأشـنع للأبصار من رؤية اللحد
تصيـح ببين ثـمّ تغمز ماشـيا وتبرز في ثوب من الحزن مسود
إذا صحت صاح البين وانقطع الرجا كأنك من يوم الفراق على عهد(١)

قال الناظم:

١٦١- رَواحِلُ هَـذَا الْعُمْـرِ حَسْـرَى طَلَائِحٌ وَلَمْ نَقْضِ أَوْطَارَ الشَّـبِيبَةِ بِالضَّنِّ

قوله: (رَواحِلُ هَذَا الْعُمْرِ حَسْرَى طَلَائِحٌ): أي أن رواحلنا التي نسير عليها ونرتحل بها لقطـع ما بقيَ من أعمارنـا المقدرة لنا في هـذه الحياة رواحل (حَسْـرَى طَلَائِحٌ): أي تعبة أعياها المسير، وتشبيهه سرعة مضي عمر الإنسان في هذه الحياة بالرواحل الكليلة التي يفوتها السبق للحصول على أكبر فائدة وأعظم عائدة، لا يستطيع المرء إدراك ما يجب إدراكه قبل فوات الأوان.

وقوله: (وَلَمْ نَقْضِ أَوْطَارَ الشَّبِيبَةِ بِالضَّنِّ): أي بسبب إعياء رواحل أعمارنا عن السبق في ميادين الخير وكذا في تحقيق ما نريد تحقيقه من المآرب؛ فإننا لم نستطع أداء وقضاء رغبات وحاجات مرحلة الشباب كما نريد، إلا والمشيب أغار أنيابه في إيهاب أعمارنا، (بِالضَّنِّ): أي بالبخل والشح عن تقديم ما يسرنا في الآخرة، ويكون لنا ذخرًا نسعد بلقائه يوم القامة، عندما العمر عمر شباب وبذل وعطاء، فقد جاوزنا مرحلة الشـباب والفتوة وها نحن نضلع بالمشيب، ولم نحقق مآرب شبابنا، فآهٍ على ما مرَّ من شبابنا، وليتَ وليتٌ غير نافعة، كما يقول الشاعر:

ألا ليـتَ الشـباب يعـود يومًا فأخبـره بما فعـل المشـيبُ(٢)

---

(١) انظر/ الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

(٢) البيت منسوب إلى أبي العتاهية وقيل لغيره.

وقال شاعرٌ آخر:

ليت الشّباب هو الرّجيع إلى الفتى والشّيب كان هو البديء الأول[١]

ويقول ثالث:

فليت شبابا لا يزال ولم أقل بكاظمة ليت الشباب يعود[٢]

ويقول رابع:

ليت الشبابَ الذي ولت نضارتُهُ أعطانِي الحِلمَ فيما كان أعطاني[٣]

وفي البيت موعظة بليغة في أن الشباب سريعة رواحله، متقضية أيامه، لا تسعف من تباطى وتوانى في كسب الحسنات وتحقيق الحاجات، وأن المشيب واقع لا محاله، مستصحبًا معه الضعف والهوان والتحسر على ما ضاع من العمر، والتمني لما فات من الشباب.

قال الناظم:

١٦٢ـ **وَلَمْ نَأْلُ جُهْدًا فِي احْتِطَابٍ يَؤُدُنَا إِلَى اللهِ نَشْكُو مَا بِنَا مِنْ طَخَى الرَّيْنِ**

قوله: (**وَلَمْ نَأْلُ جُهْدًا فِي احْتِطَابٍ يَؤُدُنَا**): أي مع أن رواحل العمر لا تسعفنا لتحقيق حاجاتنا ومآربنا في مرحلة الشباب، فسرعان ما يفوتنا عمر الشباب فنتحسر على ذهابه سريعًا دونما عمل نفرحُ به ونسعد، فمع ذلك كلّه إلا أننا (**وَلَمْ نَأْلُ جُهْدًا**): أي لم ندخر جهدًا نستطيع بذله في (**احْتِطَابٍ يَؤُدُنَا**): أي في اكتساب وجمع ما سيئ إلينا من قبيح الفعال، وما يحملنا آثام الذنوب والمعاصي، ويدنس قلوبنا من السواد والقسوة، فلم نتعظ بتصرُّم الأعمار، ولا

---

(١) لم أقف على نسبته.

(٢) لم أقف على نسبته.

(٣) البيت منسوب لابن مجير الأندلسي.

بذهاب نضارة الشباب، ومجيء ضعف المشيب، بل بقينا سادرين فيما اكتساب المآثم والآثام.

وقوله: (إِلَى اللهِ نَشْكُو مَا بِنَا مِنْ طَخَى الرَّيْنِ): أي أن شكوانا لا نبثها إلا إلى الله تعالى وحده الذي يعلم السر وأخفى، إذ إلى الله تعالى المشتكى وبثُّ الأحزان: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، نشكو ونرفع إليه تعالى ـ وهو أعلم بنا من أنفسنا ـ ما بنا من (طَخَى الرَّيْنِ): أي دنس المعاصي التي رانت على قلوبنا فدنستها، وفي هذه الشكوى من الناظم ضراعة محتاجٍ مفتقرٍ معترفٍ بالذنب والخطيئة، غير مبرئ نفسه من العصيان والانحراف، طالبًا وراغبًا أن يأخذ الله تعالى بيده، ويطهر قلبه مما علاه من الران الذي ران بقلبه من دنس المعاصي والآثام، وهذا من تواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن جعل نفسه من المكتسبين للذنوب، من أجل تربية نفسه على الإنابة والاعتراف بالتقصير، وما يشعر به قلة الطاعة، وعدم استقامة أهل زمانه كما يقول في البيت الآتي، فرحمه الله رحمة واسعة.

قال الناظم:

١٦٣ـ وَأَكْثَرُ مَا أَشْكُوهُ سَيْرُ زَمَانِنَا ... عَلَى القَهْقَرَى دِينًا وَدُنْيَا عَلَى هَوْنِ

قوله: (وَأَكْثَرُ مَا أَشْكُوهُ سَيْرُ زَمَانِنَا عَلَى القَهْقَرَى): أي أعظم شيء أشكوه وأرفع إلى الله تعالى حاجتي في أن يزيله، سيرَ أهل زماننا وعصرنا الشاملين لي ـ وما أبرأ نفسي من ذلك ـ إلى الخلف والتراجع في أمور دينهم ودنياهم، وهذا السير القهقرى أصبح يقلق الناظم ويقضُّ مضجعه غيرة على دين الله تعالى، وإشفاقًا على أهل زمانه وعلى نفسه.

وقوله: (دِينًا وَدُنْيَا عَلَى هَوْنِ): أي أن مشيهم القهقرى والتراجع إنما في أمور الدين والدنيا معًا، فهم متخلفون أعمالهم الدينية من الطاعات واجتناب

المحرمات، وفي أمورهم الدنيوية من طلب الكسب الحلال والبعد عن الكسب الحرام، (عَلَى هَوْنٍ): على توانٍ وتأخر في هذا التقهقر والتخلف، وهذا يورثهم البقاء الدائم المستمر على هذا الحال، ما بدوره يورثهم الهوان والذُّل في دينهم ودنياهم.

قال الناظم:

١٦٤ـ فَفِي كُلِّ عَامٍ فِي الرَّذَالَةِ سَعْيُنَا بَلَى كُلُّ يَوْمٍ فِي الوَرَاءِ وَلَا نَثْنِ

قوله: (فَفِي كُلِّ عَامٍ فِي الرَّذَالَةِ سَعْيُنَا): أي أننا ـ معاشر المقصرين في ديننا ودنيانا ـ من أهل هذا العصر نسير ونسعى كل عام سادرين في الرذائل والقبائح، وهذا ما يوغر ويزيد مشينا على القهقرى في زمان نحتاج فيه إلى التقدم والتمسك بقيمنا وديننا.

وقوله: (بَلَى كُلُّ يَوْمٍ فِي الوَرَاءِ وَلَا نَثْنِ): أي بلى ـ حرف إيجاب ـ هذا هو الواقع حقًا، وليس الأمر هكذا فحسب بل وفي كل يوم من أيام هذه السنين نسير فيه القهقرى إلى الخلف والوراء متخلفين عما يجب أن نحققه من صالح العمل وطيب الكسب، (وَلَا نَثْنِ): أي ولا نتراجع عما نحن عليه، بل نسير فيه إلى الوراء سيرًا حثيثًا، ولا نتعظ ولا ندرك ولا نرعوي.

قال الناظم:

١٦٥ـ أُرَانِي عَلَى السِّتِّينَ عَامًا وَنَيِّفًا بِمَعْرَكَةِ الْمَوْتَى كَهُدْنٍ عَلَى دَخْنِ

في هذا البيت وما بعده يُقبل الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ على نفسه ملتفتًا إليها مخاطبًا إياها على وجه الخصوص، ومذكرًا لها بعمره الطويل الذي عاشه وقد بل الستين عامًا من عمره الزاهر وزاد عليها قليلًا، إلا أن تذكيره لنفسه أراد به التوبيخ والتقريع والاتهام، لا المدح والثناء وحاشاه عن ذلك.

فلهذا يقول: (أُرَانِي عَلَى السِتِّينَ عَامًا وَنَيِّفًا): أي أعلم أني في الستين عامًا من عمري، بل زيادة قليلة على الستين عامًا، وهذا تذكيرٌ لنفسه ووعظٌ لها، لأن تدكر وتنظر في عمرها الذي قد فات.

وقوله: (بِمَعْرَكَةِ الْمَوْتَى كَهُدْنٍ عَلَى دَخنٍ): أي ستين عامًا ونيفًا فوقها وأنا في صراعٍ مريرٍ ومعركةٍ ضروس مع الموت، أو أنه شـبَّه حاله عند هذا العمر بالموتى الذين فاتهم من كمال الطاعة وما أصابهم من الحسرة على قلة الزاد والبضاعة، (كَهُدْنٍ عَلَى دَخنٍ): كأني في هدنة وهي الصلح، ولكنها على حقد وغلبة وقهر، وفي ذلك إشارة إلى أن من بلغ الستين عامًا فهو إلى الموت في أي لحظة، وأن هـذه الهدنة غير مأمونة، وفـي خوفٍ من تقلبهـا وارتفاعها وتلاشيها.

قال الناظم:

١٦٦- حَقِيقٌ عَلَى مَنْ حَازَهَا طَيُّ فُرْشِـهِ بِجِـدٍ وَكَـدٍّ يَسْـتَعِدُّ لِمُمْكِـنِ

قوله: (حَقِيقٌ عَلَى مَنْ حَازَهَا طَيُّ فُرْشِـهِ): أي جديـرٌ بمن بلغ هذا العمر (الستين) وما بعده أن يشـتغل بالعمل الصالح، وواجب عليه أو حقٌ عليه أن يترك ما لا يليق به، وأن يشـتغل بما هو أنفع له في ميعـاده ومنقلبه، فالعمر قصيرٌ، وهو قد دنى من الموت ومن القبر، (طَيُّ فُرْشِهِ): عَبَرَ بطي الفُرش جمع فراش، كناية عن الاجتهاد في العبادة والتشـمير لها ومفارقـة الراحة والدعة استعدادًا للرحيل للدار الآخرة.

وقوله: (بِجِدٍ وَكَدٍّ يَسْـتَعِدُّ لِمُمْكِنِ): أي حريٌ بمن بلغ الستين ونيفها أن يطوِيَ فراشه مجتهدًا بالجد والكدِّ في العمل الصالح استعدادًا للأمر الممكن وقوعه عقلًا ونقلًا ألا وهو الموت المحتوم، إذ هو الحق اليقين الذي لا مرية فيه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

قال الناظم:

١٦٧ـ مُنَـايَ مِنَ الدُّنْيَـا قُوَيْتٌ وَسُـتْرَةٌ وَخِدْمَةُ عِلْمٍ يَا لَهَا شَـرَفُ الخِذْنِ

قوله: (مُنَايَ مِنَ الدُّنْيَا قُوَيْتٌ وَسُتْرَةٌ): أي وبعدما بلغتُ هذا العمر (الستين) ونيَّفتُ عليه قليلًا فإن الذي أتمناه الآن من هذه الحياة قريبة الزوال والرحيل، شـيئًا من المأكول والمشـروب لأقتات به تقوم به بنيتي وجسدي، ولا أكون عرضة للأمراض والهزال والهلاك من الجوع والعطش، بل يكفيني ما أسد به رمقي من غير توسع وزيادة، إذ لا حاجة لي في التوسع في المأكل والمشرب، وكذا يكفيني ثوبٌ أستتر به ما يجب ستره عليَّ شرعًا وما لا يليق بي إظهاره، من غير توسعٍ ولا شهرة في لباسي، إذ لا حاجة لي بثياب الشهرة، فإن المرء الذي يجد قوته الذي يكفيه وسـتره الذي يغطيه كفاه غبطة من غيرة في عيشه هذا، قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»[١].

وقوله: (وَخِدْمَةُ عِلْمٍ يَا لَهَا شَرَفُ الخِذْنِ): أي أن الذي أتمناه فيما بقيَ لي من عمرٍ في هذه الحياة الدنيا أن أجتهد قدر وسـعي وطاقتي في خدمة العلم ونشر العلوم، بما يورث لي الأجر العظيم، فإن الاشتغال بنشر العلم ومسائل الدين وأحكام الشـريعة بين الناس لهو من أعظم الشرف والمكانة لهذا المرء في حياته، ولهذا قال الناظم مبيِّنًا غاية هذا الشرف: (يَا لَهَا شَرَفُ الخِذْنِ): أي يا لخدمة العلم من شرفٍ فاقت به على أصحابها وأخدانها وأمثالها من الأعمال الصالحة، ولهذا قال بعضهم:

منـاي مـن الدنيـا علـوم أبثها وأنشـرها في كل بادٍ وحاضرِ[٢]

---

(١) رواه الترمذي، برقم: ٢٣٤٦.

(٢) البيت منسوب لابن حزم الظاهري الأندلسي.

قال الناظم:

١٦٨ـ تَمَـامُ الْمُنَا فِيهَـا بِصُحْبَـةِ طَاعَةٍ عَلَى سَدَكِ الأَوْطَانِ بِالأَمْنِ وَاليُمْنِ

قوله: (تَمَامُ الْمُنَا فِيهَا بِصُحْبَةِ طَاعَةٍ): أي كمال أمنيتي من هذه الحياة مع القوت والستر وخدمة العلم والدين هو ملازمتي للطاعة ومداومتي عليها، وهي غاية أمنياتي وكمالها، لأن الكرامة للإنسان هي الموت على الاستقامة.

وقوله: (عَلَى سَـدَكِ الأَوْطَانِ بِالأَمْنِ وَاليُمْنِ): أي مـن تمام ما أتمناه أن يحصل لي مع خدمتي للعلـم وملازمتـي للطاعة وإتياني بهـا وبعدي عن المعصية، إقامتي وملازمتي لبلادي ووطني آمنًا مطمئنا فيها، لا أخشى خوفًا ولا ظلمًا، متنعمًا بموفور البركة والخير والرزق الحسـن من الله تعالى، وفيه إشارة إلى موجبات الحياة السـعيدة الهانئة، التي أشار الحديث الشريف إلى جوامعها بقوله ﷺ: «من أصبح منكم آمنا في سـربه معافى في جسـده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»[1].

قال الناظم:

١٦٩ـ وَمَـا ضَرَّنِي مَا فَاتَنِي مِـنْ نَعِيمِهَا إِذَا نَعِمَتْ عَيْنِي غَـدًا وَعُفِي عَنِّي

قوله: (وَمَا ضَرَّنِي مَا فَاتَنِـي مِنْ نَعِيمِهَا): أي لـم يضرني ولا آلمني ولا أوجعني ما فاتني ولـم أحصل عليه من لـذات هذه الحياة الدنيـا ونعيمها، والأصل في (الضر) هو الإصابـة المؤلمة، وأتى بها الناظم هنا على سـبيل الإخبار أنه لا يضرني مستقبلًا في الدار الآخرة ما لم أحصل عليه، وفاتني ولم أدركه من نعيـم الدنيا ما دمتُ قائمًـا بأمر ديني، مؤديًـا ما وجب عليَّ تجاه ربي سبحانه وتعالى.

(١) رواه الترمذي، برقم: ٢٣٤٦.

وقوله: (إِذَا نَعِمَتْ عَيْنِي غَدًا وَعُفِي عَنِّي): أي لا يضرني ولا يؤلمني إن فاتني ولم أحصل على بعض نعيم الدنيا إن رضيتْ عيني يوم القيامة بما سرتها رؤيته من الثواب، وإن عفا الله تعالى عني وأدخلني دار كرامته ومستقر رحمته، فأيُّ نعيمِ الدنيا يُؤسف عليه إن فاتني فيها، وقد أحلني الله تعالى دار الكرامة، وإذا كانت قراءة هذا المقطع القصير من كتاب الله تعالى تجعل المرء يطير شوقًا إلى ما وعده الله تعالى به، ألا وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧١]، فكيف بآيات الوعد الكثيرة في كتاب الله عز وجل، التي تبعث في النفوس الشوق والهمة العالية للتفاني في العمل الصالح، وقد سئل أحد فقيل له: صف لنا نعيم الجنة؟ أو قل لنا شيئًا يشوقنا إلى الجنة؟ فقال: فيها رسول الله.

قال الناظم:

١٧٠ـ حَلَبْتُ زَمَانِي أَشْطُرًا فَوَجَدْتُهُ سَرَابًا بِقَاعٍ مَا خَلَا الْعَمَلَ الْسُّنِ

قوله: (حَلَبْتُ زَمَانِي أَشْطُرًا فَوَجَدْتُهُ سَرَابًا بِقَاعٍ): أي اختبرتُ زماني الذي عشتُ فيه وأحواله وتفاصيله من حيث بقاءُ ما فيه ودوامه، لعلي أجدُ فيه شيئًا يدوم، فوجدته حقيقة أن دوامه وبقاؤه محال، فضلًا عن بقاء ودوام ما فيه ومَن فيه، فهو ظلٌّ زائل، وضيفٌ عابر، وسرابٌ بقاع ذاهب، وكطيف خيالٍ سرعان ما يتلاشى، ولا يبقى منه شيء إلا عمل صالح يأخذه الإنسان معه ليلقى ثوابه في الدار الآخرة فقط.

قوله: (حَلَبْتُ زَمَانِي أَشْطُرًا): مأخوذٌ من قول العرب في المثل: «حلب فلانٌ الدهر أشطرًا» أي جرَّب أموره حلوه ومره وخيره وشره[1]، قال ابن دريد في مقصورته:

---

(١) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

إني حلبتُ الدهرَ شطريه فقد أمرَّ لي حينًا وأحيانًا حلى[١]

ويقول الآخر:

مَا زَالَ يحلب هَذَا الدَّهْر أشطره يكون مُتبعا طورًا ومتبعا[٢]

وكنى الناظم بحلب شطر الدهر لأن أصل حلب ضرع الشاة يكون على أنصاف ومراحل لا دفعة واحدة، وفيه إشارة بالمعرفة الدقيقة والخبرة الواسعة في أمور الحياة وأحوال هذا الدهر.

وأما قوله: (مَا خَلَا الْعَمَلَ السُّنِ): أي يستثنى من الوصف السابق في أن هذا الدهر وأحواله لا بقاء لهم وكأنهم سراب بقاعٍ زائل العمل الصالح، الموافق للكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة، وعبر (بالسُّنِ): أي الموافق للسنة النبوية المشرفة، فما وافق السنة فإنه موافق للكتاب قطعًا، لأن السنة وحي موحى إلى النبي ﷺ، فالكل من عند الله تعالى، وصدق الله تعالى ورسوله ﷺ.

قال الناظم:

١٧١ـ سَفَائِنُهُ مَشْحُونَةٌ بِعَلَائِقٍ تَعُوقُ عَنِ الْمَأْمُولِ فِيهِ وَتَنْثَنِ

قوله: (سَفَائِنُهُ مَشْحُونَةٌ بِعَلَائِقٍ): أي النفوس الموجودة في هذا الزمان في الحياة الدنيا مشحونة مملوءة بأمور تعلَّقت بها وأحبتها كالمال والبنين والجاه والمنصب والرئاسة والشهرة والشهوة، فقد تعلَّقت بها الأنفس وشحنت بها، مع أنها ـ أي هذه الأمور ـ هي التي تعوق حركة هذه النفوس من تحقيق التقدم وحصول الأجور غالبًا.

---

(١) مقصورة أبي بكر ابن دريد.

(٢) البيت منسوب إلى لقيط بن يعمر.

وقد شبّه الناظم رحمه الله النفوس البشرية التي تعيش في زمان الحياة الدنيا بالسفن، لعلة الشحن والحمل والتحمل، فالنفوس تشحن بحب أمور الحياة الدنيا وزخرفها، كما أخبرنا الله تعالى بذلك حينما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، فتكون هذه النفوس حمّالة لتلك الرغائب والشهوات.

وقوله: (تَعُوقُ عَنِ الْمَأْمُولِ فِيهِ وَتَنْثَنِ): أي أن هذه العلائق التي شحنت النفوس بحبها من أمور الدنيا هي في الحقيقة تعوق وتصدُّ وتمنع أصحاب هذه النفوس من تحصيل النعيم الأخروي؛ بسبب أنها تلهي أصحابها عن أسباب السعادة في الآخرة حتى يأتيهم الموت، فهي تعوق هذه النفوس عن المأمول في هذا الزمان من العمل الصالح في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، (وَتَنْثَنِ): أي وترجع بها إلى الوراء والتقهقر المانع لها من استحقاق النعيم الأخروي المرجوء في الدنيا.

قال الناظم:

١٧٢ـ فَلَوْ كُنْتُ ذَا حَزْمٍ لَمَهَّدْتُ هُوَّةً   أَسِيرُ إِلَيْهَا عَنْ قَلِيلٍ بِهَا دَفْنِي

قوله: (فَلَوْ كُنْتُ ذَا حَزْمٍ لَمَهَّدْتُ هُوَّةً): أي لو كنتُ أنا ذا قوةٍ وعزمٍ وشدةٍ لهيأتُ تلك الحفرة الضيقة التي أوضع فيها بعد موت، ولأعددتُ قبري ومثواي في التراب، ولكن ضعفتُ وقلة قوتي وحيلتي وعزمي، فلم أكن بذي عزم وحزم على هذا الأمر؛ لأني ما زال قلبي متعلقٌ بالدنيا وغير راغبٍ في الآخرة وإلا لمهدت وهيأتُ قبري بيدي، ولكني غرني طول الأمل وأماني، وهذا منه رحمه الله تواضع من أجل هضم النفس وتقريعها، وعدم التساهل معها في الاغترار بالعمل الصالح المتقدم، وإلا فإنه استقام على دين ربه وأدى ما عليه رحمه الله وغفر له.

وقوله: (أَسِيرُ إِلَيْهَا عَنْ قَلِيلٍ بِهَا دَفْنِي): أي أن هذه الحفرة التي لم أقم بتهيئتها لأوضع فيها بعد موتي، أنا أسير إليها كل يوم بل كل لحظة سيرًا حثيثًا، وصائرٌ إليها بعد فترة قصيرة وزمنٍ قليل، فأدفن فيها وأقبر، وأكون رهينها إلى يوم القيامة، حيث يأذن الله تعالى ببعثتي للحساب الأخروي، وهذه حقيقة مصير كل حي، فالموت آتٍ والقبر هو المثوى.

قال الناظم:

١٧٣ـ سَأُنْعَى وَتَبْكِينِي بَوَاكٍ لِشَجْوِهَا   يَقُلْنَ أَبُو نَصْرٍ قَضَى أَجَلَ الدَّيْنِ

قوله: (سَأُنْعَى وَتَبْكِينِي بَوَاكٍ لِشَجْوِهَا): أي وعن قريب سيأتيهم خبر موتي ووفاتي، وسيبكي عليَّ أحبائي وأهلي، وستبكي عليَّ الباكيات والنوائح لحزنها عليَّ بعد موتي، وقد كنت أرفل بالحياة بينهم، والآن تخطفني الموت من بينهم، فسيصيبهم من هول الخبر الواصل إليهم من الحزن والذهول ما سيبكيهم عليَّ إشفاقًا ورحمة.

وقوله: (يَقُلْنَ أَبُو نَصْرٍ قَضَى أَجَلَ الدَّيْنِ): أي أن البواكي يقلن من فرط حزنهن عليَّ وذهولهن وشفقتهن: أبو نصرٍ قضى أجله المحدود له ونزل به الدَّين أي الموت، يعلن بذلك تحقق الخبر من الوفاة، وفي هذا البيت تذكير من الناظم أبي نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لنفسه أولًا بدنو أجله وقرب بلوغ خبر وفاته إلى الناس، وهي موعظة بالغة لكل من كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال الناظم:

١٧٤ـ فَيَا فَرْحَتِي إِنْ جِئْتُ للهِ بِالتِي   تَسُرُّ وَيَا حُزْنِي إِذَا حَاقَ بِي حَيْنِ

قوله: (فَيَا فَرْحَتِي إِنْ جِئْتُ للهِ بِالتِي تَسُرُّ): أي ما أعظم فرحتي وسروري إن جئتُ إلى الله يوم القيامة بالأعمال التي تسرني رؤيتها من أعمالي

الصالحة، فأفرح بها وتقر بها عيني وتطمئن بها نفسي، وأجزاها الجزاء الأوفى عند ربي.

وقوله: (وَيَا حُزْنِـي إِذَا حَاقَ بِي حَيْنِ): أي وما أعظم حزني وضيق صدري وحسرتي إن جئت إلى الله يوم القيامة وحاق بي عملي السيء وحلَّ بيّ الهلاك بسبب ما اجترحته من الذنوب والمعاصي، في هذا إشارة من الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ما تم تأصيله في أصول الدين عند الإباضية، أن من عمل صالحًا وجاء ربه تائبًا متقيًا هو من يسعد يوم القيامة، وأما من جاءه بغير توبة نصوح، مصرًا على كبائر الذنوب والمعاصي، هو الشقي يوم القيامة.

قال الناظم:

١٧٥ـ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُسَامِحَ رَبُّنَا بِعَفْوٍ وَإِلَّا فَهْيَ قَاصِمَةُ الْمَتْنِ

قوله: (فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُسَامِحَ رَبُّنَا بِعَفْوٍ): أي لا يوجد شيء من الأسباب الموصلة إلى رضاه وبلوغ دار كرامته إلا أن يتفضل علينا مولانا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بمغفرة ذنوبنا، وقبول توباتنا؛ إذ الله يغفر لمن تاب وأناب، وأن يجود علينا بإحسانه بالتجاوز عما لم نعلمه من ذنوبنا فلم نخصه بتوبة لفرط جهلنا به، فإنه لم يبق لنا من الأعمال الصالحة ما يبعث في نفوسنا السلوى والاطمئنان بالفوز يوم القيامة ما لم يعفو عنا الملك العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقوله: (وَإِلَّا فَهْيَ قَاصِمَةُ الْمَتْنِ): أي إن لم يعفو عني مولانا ولم يسامحنا ولم يغفر لنا ذنوبنا التي تبنا منها، لكفى بها أن تقصم وتقطع من هولها فقار ظهورنا، ويحل بنا الخسران والهلاك والعذاب المقيم غير المنقطع.

قال الناظم:

١٧٦ـ **خُذُوهَا وَخُطُّوهَا وَلَا تَــزْدَرُوا بِهَا وَلَا تَلْحَظُوا فِيهَا بِطَــرْفِ التَهَجُّنِ**

قوله: (**خُذُوهَا وَخُطُّوهَا وَلَا تَزْدَرُوا بِهَا**): وهنا يرجع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بخطابه لجميع الإخوان الذين خاطبهم بداية القصيدة، فيقول لهم: (**خُذُوهَا**): أي خذوا ـ يا راعكم الله ـ هذه القصيــدة النونية أخذ عناية واهتمــام؛ فإنها مبنية على أحكام الشريعة وأدلتها، وهي مسبوكة بأحرفٍ عربية وكلماتٍ بليغة فصيحة، حريٌ بها ألا تهمل لعلو شــأنها وعظيم خطرهــا، (**وَخُطُّوهَــا**): أي وقوموا بكتابتها ونشــرها وشــرحها والعناية بتدريســها للناس، لما فيها من الفوائد العلمية والفرائد الدينية، ما يصحح به الناس ديانتهم، وتستقيم حياتهم، (**وَلَا تَزْدَرُوا بِهَا**): أي واحذروا أيها الإخوان ـ سلمكم الله ـ أن تزدروها وتعيبوها أو تنقصوا من قدر ما فيها من أحكام، أو أن تعيبــوا ما جاءت به من ديانة فإنها موافقة لكتاب الله تعالى وسنة رســوله ﷺ، وفي ذلك حثٌّ لهم بتأكيد على الاهتمام بهذه القصيدة.

وقوله: (**وَلَا تَلْحَظُــوا فِيهَا بِطَرْفِ التَهَجُّــنِ**): أي ومع اهتمامكم وعدم تنقيصكم لهذه القصيدة وما جاءت به من أحكام وديانة، احذروا أيضًا أيها الإخوان ـ عافاكم الله ـ مــن أن تنظروا إليها وترمقوهــا بطرفٍ من المعيب بعيدٍ، أو تعتنوا بملاحظة وتتبع ما عســى أن تجدونه من اللحن والعيوب، فيصرفكم تتبعكم هذا عنها ويبعث في نفوسكم الاشــمئزاز منها، والطعن فيها، وبالتالي فيما جاءت به من أحكام فتتركونها وتتركوا أحكام الله تعالى ورسوله ﷺ من أجل هذا الازدراء، فتهلكون بترك الدين كله، فإياكم معاشر الإخوان فعل ذلك ثم إياكم.

قال الناظم:

١٧٧ـ وَأُنْشِــدُكُمْ بِــاللهِ أَنْ تَتَصَفَّحُــوا عَنِ الفَلَتَاتِ الصَّادِرَاتِ عَنِ اللَّكْنِ

قوله: (وَأُنْشِــدُكُمْ بِاللهِ أَنْ تَتَصَفَّحُوا): أي أناشــدكم بالله تعالى، وأسألكم وألح في طلبي منكم أيها الإخــوان ـ كنتم علماء ومتعلميــن ـ أن تتجاوزوا وتصفحوا عما عســاكم تجدونه من أخطاء في كلمات في القصيدة، أو لحن جلي وخفي، أو قصور أداء لمعنى، أو سوء نظم لمبنى، أو انحراف في السياق، أو اختلال في الوزن والقوافي، عن كلِّ ذلك وما شــابهه فاصفحوا وتجاوزوا وأنتم الكرام، من يقيل العثرة ويلتمس الأعذار.

قوله: (عَنِ الفَلَتَاتِ الصَّادِرَاتِ عَــنِ اللَّكْنِ): أي عن (الفلتات): جمع فلتة وهي ما تنفلت من اللســان دون فكرة ولا رويــة ودون أن يقصدها المتكلم، (الصادرات): أي الخارجات من اللسان بلا قصد، (عَنِ اللَّكْنِ): أي عن العي والعجز عن التعبير الصحيح، والألكن صاحب اللسان العاجز عن أداء اللفظ كما يريد، وهذا منه تواضعٌ جمٌّ.

قال الناظم:

١٧٨ـ فَيَــا رَبِّ عَفْوًا عَــنْ عُبَيْــدِكَ إِنَّهُ تَكَلَّــفَ شِــعْرًا بِالــرَّوِيِّ الْمُنَوَّنِ

قوله: (فَيَا رَبِّ عَفْوًا عَنْ عُبَيْدِكَ إِنَّهُ): أي يا من تملكني وتملك أمري كله، يا خالقي وموجدي في هذه الحياة أتوسل ضارعًا إليك أن تعفوَ عني أنا عبيدك الضعيف ـ فتح بن نوح ـ الذي كتب وتكلّف ما لا يطيق من هذا الشعر وهذه الأحكام والأصول، فأســألك يا مولاي محو ذنوبي وغفــران خطئي إن كنت أخطأت فيما أقدمت عليه، أو فيمــا قصرتُ فيما تناولتــه ونظمته من أصول الدين، وفروع الديانة.

وقوله: (تَكَلُّفَ شِعْرًا بِالرَّوِيِّ الْمُنَوَّنِ): أي أسألك يا ربي وخالقي أن تغفر لي تكلُّفي وإقدامي على نظم الشعر وأنا ضعيف فيه لا أجيده ولا أدريه، فلست بفارســه ولا نحريره، فتكلَّفتُ ما لا طاقة لي به من الشــعر المــوزون بقافية مختومة بحرف النون، (بِالرَّوِيِّ الْمُنَوَّنِ): أي بالفكر والروية في اختيار أواخره، بالوزن المضبوط المختوم آخره بالنون، بمعنى منوّن الآخر، أي مجعولًا نونًا، ولهذا سميت القصيدة بـ(النونية)؛ لأنها مختومة القوافي بحرف النون.

وهذا من تواضعه الجــمّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإلا فهو فارس الأدب والشــعر، وصنديد المحابر والدفاتر، من لا يجارى في مضمار الفقــه وأصول الدين ولا يبارى، وإذا لم يكن هو مَــن؟!!، ولم أقل ذلك مادحًا ـ وهو أهــل لكل ثناء ـ وإنما يشهد له على ذلك نتاجه العلمي الذي خلفه وراءه للأمة، وها نحن نرشف من معين علمه، وصدق من قال:

ومــا أنتقي التمجيــد فيك وإنما إليك اهتدى حرُّ الكلام الملائم[1]

قال الناظم:

١٧٩ - وَآخِـرُ قَوْلِـي الْحَمْـدُ للهِ وَحْدَهُ وَأَسْـتَغْفِرُ الرَّحْمَنَ مِـنْ خَطَأٍ مِنِّي

قوله: (وَآخِرُ قَوْلِي الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ): أي وآخر كلامي في هذه القصيدة المباركة هو أن أقول الحمد لله ربِّ العالمين وحده على ما تفضل به عليَّ من نعمة إتمام هذا القصيدة في (١٨٠) بيتًا، وأســأله تعالى أن يتقبلها مني بقَبول حســنٍ ورضى، وأن يكتب لها القَبول بين الناس إنه ســميع قريب مجيب الدعاء.

---

(١) أبو مسلم، ناصر بن سالم بن عديم الرواحي البهلاني (توفي: ١٣٣٩هـ)، ديوان أبي مسلم ـ القصيدة الميمية، عني بطبعه ونشــره صالح بن عيســى الحارثي، حققه ودققه عبد الرحمن الخذندار، مطابع دار المختار: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٣٢٤.

قوله: (وَأَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَنَ مِنْ خَطَإٍ مِنِّي): وأطلب المغفرة من الله الرحمن بعباده الرحيم بهم من أي خطأ كان مني في تحرير هذه القصيدة، أو من أي خطأ كان في حياتي كلها، فالله ستر عيوبي وأخطائي وهو وحده تعالى قادرٌ على مغفرتها وتكفيرها؛ إذ لا يعجزه ذنبٌ أن يغفره.

وهنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ استدرك بحمد الله تعالى هنا لفظًا ونية ما فاته من حمده له أول النظم لفظًا الجارية به العادة، كما سبق شرحه، وسلَّم على نبيه ﷺ[1].

قال الناظم:

١٨٠ - وَمِنِّي سَلَامُ اللهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ عَلَى أَحْمَدِ الْهَادِي إِلَى خَيْرِ مَوْطِنِ

قوله: (وَمِنِّي سَلَامُ اللهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ): أي وكذا مني طلبُ تحية وسلامٍ من الله تعالى أرفعهما إلى مقام النبي محمدٍ ﷺ، كلَّما ذرَّ أي طلع وأطل، شارقٌ أي ما يشرق من النجوم، وفي إشارة إلى رغبته في السلام والتحية على رسول الله ﷺ بكثرة لا تحصى عددًا، ولا تدرك حصرًا، يريد به التأبيد لاستمرار الأجر والثواب، ولينال بها شرف وأجر من صلى عليه وسلَّم ﷺ.

وقوله: (عَلَى أَحْمَدِ الْهَادِي إِلَى خَيْرِ مَوْطِنِ): أي أن سلامي وتحيتي التي أرجوها من الله تعالى إنما هو سلام عاطر على النبي محمدٍ ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وسمَّاه أحمد، تأسيًا بالقرآن الكريم لأنه اسم من أسماء رسول الله ﷺ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، المبعوث لهداية الناس جميعًا من عربٍ وأعاجم في موطنٍ على هذه الغبيراء.

---

(١) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

ويرى العلامة الثميني رضي الله عنه في شرحه لهذه القصيدة، أن الناظم رحمه الله فاته الجمع بين السلام والصلاة على رسول الله ﷺ وهذا خطأ وهو خلاف الأولى، واعتذر له بضيق النظم(١).

ولكنـــي أرى أن الناظم ولو لم يذكر لفظ الصـــلاة على النبي ﷺ كما هو المعمول به في النثر والنظـــم، إلا أنه حققها بالفعل، فدعـــاؤه وطلبه من الله الســـلام عليه هو دعاء، والصلاة في أصلها اللغوي هي الدعاء، فقولنا: «اللهم صلِّ على نبينا محمـــد»، إنما هو دعـــاء، فالناظم رحمه الله حقَّـــقَ الصلاة بالفعل والسلام باللفظ، والحمد لله على التوفيق.

❁❁❁

(١) الثميني، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، (مرقون).

الخاتمة

بعد جولة مفيدة سنحت بها أيام عمري قضيتها تحت ظلال أبيات ومعاني قصيدة الحبر العلامة والإمام الفهامة أبي نصر الملوشائي، ها هو سن القلم يقف بنا هنا ملقيًا رحله وعصا ترحاله عند هذا القدر من الكتابة، وقد جمعتُ ما سنح به الخاطر الفاتر والفكر العاثر مما تيسر لي من شرح أبيات هذه القصيدة، وكلام ناظمها.

والإمام الملوشائي ـ ناظم القصيدة ـ رجلٌ قد حلب الدهرَ شطريه، وأتلف في طلب العلم أطيبيه، وأجمع أهل عصره على كمال عقله، كما اجتمع العلماء على غزارة علمه، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وقد بدأتُ في شرح هذه القصيدة بداية شهر شعبان من سنة ١٤٣٨هـ، فواصلتُ الشرح بجهدٍ متقطع غير متواصل؛ لأني ما بين سفرٍ ومرضٍ واشتغالٍ بمهمٍ، ووظيفةٍ وتكاسلٍ وضعفِ همةٍ، وأنهيتُ الشرح ليلة اليوم الأول من شهر صفر لعام ١٤٣٩هـ/ الموافق له ٢١ من شهر أكتوبر ٢٠١٧م والحمد لله رب العالمين.

هذا وأسال الله تعالى الكريم أن يقينا شر المعاصي وسوء الآثام، وإن كان من وصايا يوصي بها الباحث في آخر هذا المطاف، فإني أوصي بالآتي:

ـ تشجيع طلاب العلم المبتدئين على دراسة هذه القصيدة وحفظها وفهمها الفهم الذي يمكنهم من العمل بها في ميدان الحياة، وأن يجعلوا هذه القواعد نصب العين وملأ الأذن.

ـ كما أوصي بخدمة هذا الشرح المتواضع على هذه القصيدة وجعله مقررًا يسير جنبًا إلى جنبٍ معها بالنسبة لطلاب العلم المبتدئين.

هذا وأسأل الله العلي القدير أن يبارك الجهود في خدمة العلم والمعرفة، وذلك من خلال نشر الخير بين الناس، ونسأله تعالى الإخلاص في القول والعمل، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

الفهارس العامة

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

١ - ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، منظومة المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه (الجزرية)، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢ - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣ - ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٤ ـ ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث ـ القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٥ ـ ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، سنة النشر: ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٦ ـ أبو مسلم، ناصر بن سالم بن عديم الرواحي البهلاني (توفي: ١٣٣٩هـ)، ديوان أبي مسلم ـ القصيدة الميمية، عني بطبعه ونشره صالح بن عيسى الحارثي، حققه ودققه عبد الرحمن الخذندار، مطابع دار المختار: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦.

٧ ـ أبو مسلم، ناصر بن سالم بن عديم الرواحي البهلاني (توفي: ١٣٣٩هـ)، نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، مكتبة مسقط ـ سلطنة عُمان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٨ ـ أطفيش، أمحمد بن يوسف بن عيسى اليزجني الجزائري (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، هيميان الزاد إلى دار المعاد، وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عُمان، الطبعة: ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

٩ ـ آل خليفين، أبو الوليد سعود بن حميد آل خليفين (توفي: ١٣٧٣هـ)،

كشف الكرب في ترتيب أجوبة الإمام القطب، وزارة التراث والثقافة ـ سلطنة عُمان، الطبعة الثانية: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

١٠ـ آل هرموش، محمود مصطفى عبود، مقاصد الشريعة بين المذهب الإباضي والمذاهب الإسلامية الأخرى، تقديم وإشراف: عبد الله بن محمد بن عبد الله السالمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، الطبعة الأولى: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

١١ـ البزجني، الحاج صالح بن عمر بن داود لعلي (توفي: ١٣٤٧هـ)، منظومة خلاصة المراقي إلى مبادئ طاعة الخلَّاقِ، اعتنى بإعادة طبعها وتسجيلها صوتيًا: جابر بن باسعيد بن موسى الحاج أسعيد، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١٢ـ البسيوي، أبو الحسن علي بن محمد بن علي البسياني (حي في ٣٦٣هـ)، كتاب مختصر البسيوي، تقديم: فضيلة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، دار الحكمة ـ لندن، الطبعة الثانية: ٢٠١٣م.

١٣ـ البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، حقق أصوله: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، بدون ذكر الطبعة.

١٤ـ البوصافي، راشد بن سالم بن راشد، الرسالة الرضية في مسائل صلاة الإباضية، سلطنة عُمان، مسقط، الطبعة الثانية: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

١٥ـ البوصافي، راشد بن سالم بن راشد، إن الله لا يخلف الميعاد، أشرف واعتنى بطبعه: إبراهيم بن يوسف بازين، الطبعة الثانية: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

١٦ـ البوصافي، راشد بن سالم بن راشد، بغية الراقي في شرح خلاصة المراقي، مكتبة خزائن الآثار، الراعي الإعلامي (موقع بصيرة الالكتروني)، الطبعة الأولى: ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

١٧ـ البوصافي، راشد بن سالم بن راشد، نفائس المنقول في شرح أنوار العقول، (مرقون ـ مازال في طور الإعداد).

١٨ـ البيجوري، إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي (المتوفى: ١٢٧٧هـ)، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ضبطه وصححه: عبد الله بن محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٩ـ التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م.

٢٠ـ الثميني، ضياء الدين عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز الثميني الحفصي المصعبي (ت: ١٢٢٣هـ)، كتاب النور.. شرح نونية أبي نصر في التوحيد، تقديم: مطهري الحاج محمّد بن الحاج سليمان بن بكير، مقدمة المقدم ص١ (مرقون.. لدى الباحث نسخة منه).

٢١ ـ الجرجاني، علي بـن محمد بن علي (ت: ٨١٦هـ)، التعريفات، وضع حواشيه محمد باسـل عيون السـود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة: الرابعة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٢٢ ـ الجعبيري، فرحات الجعبيري، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، مكتبة الاستقامة ـ سلطنة عُمان، الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٣ ـ الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان، العقود الفضية في أصول الإباضية، دار اليقظة العربية، في سوريا ـ ولبنان، بدون ذكر الطبعة وتاريخها.

٢٤ ـ الحارثي، صالح بن علي بن ناصـر (المتوفى: ١٣١٤هـ)، عين المصالح من أجوبة الشـيخ الصالح، مكتبة الضامري للنشـر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٢٥ ـ الحازمي، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أبَّ القلاوي الشـنقيطي)، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٢٦ ـ الخليلي، أحمد بن حمد بن سـليمان، جواهر التفسـير أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٧ ـ الخليلي، أحمد بن حمد بن سليمان، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، وزارة الأوقـاف والشـؤون الدينية (مكتـب الإفتـاء)، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٢٨ ـ الخليلي، سـعيد بن خلفان بن أحمد (ت: ١٢٨٧هـ)، أجوبة المحقق

الخليلي، تقديم سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، تحقيق المجموعة، مكتبة الجيل الوعد، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٢٩ ـ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٠ ـ الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، رتبه وضبطه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة ـ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣١ ـ السالمي، أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم (ت: ١٣٣٢هـ)، جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، تحقيق: أبو إسحاق أطفيش وإبراهيم العبري، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، سلطنة عُمان ـ السيب، الطبعة الثالثة عشر.

٣٢ ـ السالمي، أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم (ت: ١٣٣٢هـ)، طلعة الشمس شرح شمس الأصول، تحقيق عمر حسن القيّام، مكتبة الإمام السالمي، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

٣٣ ـ السالمي، أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم (ت: ١٣٣٢هـ)، مشارق أنوار العقول، تعليق: سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، مكتبة الإمام نور الدين السالمي ـ السيب، الحيل الجنوبية، بدون ذكر الطبعة.

٣٤ ـ السالمي، أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم (ت: ١٣٣٢هـ)، منظومة أنوار العقول في معرفة الأصول، إعـداد: اللجنة العلمية بموقع بصيرة، التدقيق النحوي: عامر بن المر الصبحي، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٣٥ ـ السالمي، أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم (ت: ١٣٣٢هـ)، منظومة شمس الأصول، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع ـ السيب، سلطنة عُمان، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٣٦ ـ السالمي، أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم (ت: ١٣٣٢هـ)، منظومة غاية المـراد في نظم الاعتقاد، إعـداد: اللجنة العلميـة بموقع بصيرة، التدقيق النحوي: عامر بن المر الصبحي، الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٣٧ ـ السالمي، أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي (ت: ١٣٣٢هـ)، بهجة الأنوار.. الشرح المختصر لمنظومة أنوار العقول، تحقيق: اللجنة العلمية بموقع بصيرة، تقديم: سلطان بن مبارك الشيباني، مكتبة خزائن الآثار ـ سلطنة عُمان، (موقع بصيرة)، الطبعة الأولى: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٣٨ ـ السكران، إبراهيم بن عمر السكران، سلطة الثقافة الغالبة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٣٩ ـ السـمين الحلبي، أبو العباس، شـهاب الدين، أحمد بن يوسـف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمـد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون ذكر الطبعة وتاريخها.

٤٠ ـ السيابي، أبو يحيى خلفان بن جُميّل بن مهيّل السمائلي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، جلاء العمى شرح ميمية الدما، صححه وعلق عليه: عز الدين التنوخي، وزارة التراث والثقافة: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٤١ ـ السيابي، أبو يحيى خلفان بن جُميّل بن مهيّل السمائلي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، بهجة المجالس (قصيدة القطرة الغيثية والوسيلة الإلهية)، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عُمان، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٤٢ ـ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (توفي: ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية ـ بيروت، بدون ذكر الطبعة: ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٤٣ ـ الشيباني، سليمان بن سعيد الشيباني، قصيدتا النونية والرائية.. نظم العلامة الشاعر الأديب أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي النفوسي، مكتبة خزائن الآثار ـ بركا، الطبعة الأولى: ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

٤٤ ـ عبد الجبار، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسدآبادي (المتوفى: ٤١٥هـ)، شرح الأصول الخمسة، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية.

٤٥ ـ العجلان، فهد بن صالح العجلان، التسليم للنص الشرعي والمعاوضات الفكرية المعاصرة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية: ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٤٦ ـ العسـقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشـافعي (المتوفي: ٨٥٢)، فتح الباري شـرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبدالله بن باز، المكتبة السلفية، بدون ذكر الطبعة.

٤٧ ـ الغصن، سليمان بن صالح الغصن، إعادة قراءة النص الشرعي واستهدافه فـي الفكر العربـي المعاصـر، دار كنـوز إشـبيليا، الطبعـة الأولى: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٤٨ ـ كتب متون الأحاديث المختلفة.

٤٩ ـ محمد عبـده، نهج البلاغـة، دار الكتاب العربي ـ سـورية، بدون ذكر الطبعة وتاريخها.

٥٠ ـ المقدم، محمد أحمد إسماعيل المقدم، علو الهمة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، تاريخ الطبعة: ١٤٣٤هـ/٢٠٠٣هـ.

✿✿✿

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية

١ ـ الفاتحة

٦ ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ص٢١٨

٢ ـ البقرة

٢٠ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ص٧٩

٢٧ ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ ص١٤٠، ١٥٧

٣٢ ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ص١٤٩

٤٠ ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ ص١٥٧

٤٨ ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ص١٦٩

٥٥ ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ص٧٨

٦١ ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ ص٥٠

٨٠ ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ ص١٦٤

رقم الآية

٨١ ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ص١٦٠، ١٦٣، ٢٢٧

٨٢ ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ص١٦٤

٨٢ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ص١٦٣

١٠٨ ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ص٥٠

١٢٣ ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ ص١٦٩

١٤٨ ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ ص٩٥

١٦٧ ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ص١٦١، ١٦٢

١٨٦ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ص٧٥

١٨٨ ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ ص٢٠١

١٨٨ ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ ص٢١١

٢١٤ ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ ﴾ ص٩٥

٢١٨ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ ص١٨٨

٢٢٣ ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾ ص٩٧

٢٥٤ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ص١٦٨

رقم الآية

٢٥٤ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ص١٧٠

٢٥٥ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ص٧٠

٢٥٦ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ص١٣٠، ٢٤١

٢٥٧ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ص١٦٢

٢٥٩ ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ص٩٧، ٢٣٧

٢٦٤ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ ص١٥٥

٢٦٨ ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ ص١٣٤

٢٦٨ ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ ص١٣٥

٢٨٥ ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ص١٧٨

٣ ـ آل عمران

٥ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ ص٧٥

١٤ ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ ص٢٠١. ٢٦١

١٩ ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ص٢٤٣

٢٨ ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ص٩٧، ١٠٥

٣٧ ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ص١٩٢

٥٣ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ ص١٧٤

رقم الآية

٧٧ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ ص٨٢

٨٥ ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ ص٢٤٣

١٠٦ ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ ص٨٣

١٦١ ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ ص٢٠٧

١٨٥ ﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ ص٢٢٥، ٢٢٦

١٨٨ ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ ص٢٣٠

١٩٤ ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ ص١٧٤

٤ ـ النساء

٢ ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴾ ص٥٠، ١٦٦

١٤ ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ ص١٦٠، ١٦٢، ١٦٧، ١٧٢

٢٩ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾ ص٢١١

٣٠ ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ ص١٦٦

رقم الآية

٥٢ ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ ص٢٣٥

٨٣ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ص١٣٨

٨٧ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ ص١٦٠

٩٣ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ص١٠٦، ١٦٠، ١٦٣، ٢٠٣

١٠٢ ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ص١٣٥

١٢٢ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ ص١٦٠

١٢٣ ـ ١٢٤ ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ص١٥٢، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ٢٢٨

١٢٦ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ ص٦٨

١٤٣ ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ ص١٥٧

١٤٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ ص١٠٥

١٤٥ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ص٢٢٧

٥ ـ المائدة

٣ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ ص٢٤٣

٧ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ص١٥٧

٣٧ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ص١٦١، ١٦٢

رقم الآية

٤٤ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ص١٠٦

٤٧ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ص١٠٦

٥١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ص١٠٥

٥٥ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ ص١٠٦

٥٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ص١٠٥

٦ ـ الأنعام

٣٨ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ ص٢٤٥

٨١ ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ ص٩٥

٨٢ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ص٢١٩، ٢٢٦

١٠٣ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ص٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠

١٠٤ ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ ص١١

١١٦ و١٤٨ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ص١٧١

١٢٨ ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ص١٦١

١٦٠ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ص٢١٨

١٦٢ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ص٩٢

رقم الآية

٧ ـ الأعراف

٨ ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ ص٢١٧

١١ ـ ١٨ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ص ١٤٩، ٢٣٨، ١٣٦،

٢٠ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ ص١٣٥

٢١ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ص١٣٥

٣٨ ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ ص٧٨

٤٣ ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ص١٣٥

١٠٣ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ص٧٥

١٤٣ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ص٧٧، ٨٠، ٧٨

١٤٥ ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ ص١٩٧

١٥٦ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ص١٠٨

١٨٧ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ص٩٧

رقم الآية

٨ ـ الأنفال

٤٨ ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ص١٣٥

٩ ـ التوبة

٣٢ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ص١٧٣

٣٦ ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ ص١٦٨

٧١ ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ ص ١٠٦

٩٦ ﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ص١٦٨

١١١ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ ص١٦٨

١٠ ـ يونس

٩ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ص١٣٩

٢٦ ـ ٢٧ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ص٨٣، ١٦١

٣٢ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ ص١٤١

٣٦ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ص١٧١

٤٨ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ص٩٥

رقم الآية

٦١ ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ص١١٧

٦٢ ـ ٦٤ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ص١٠٩، ١٦٠، ٢٠٧، ٢٢٥، ٢٢٦

١١ ـ هود

٢١ ـ ٢٢ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ ص١٦٧، ١٧٢

٦٩ ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ﴾ ص٤٣

١٠٦ ـ ١٠٧ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ص١٦١، ١٦٣

١٠٨ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ص١٦٣

١٢ ـ يوسف

٤٠ ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ص١٤٤

٦٤ ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ص٧٠

٨٦ ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ ص٢٥٤

١٣ـ الرعد

١٦ ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ص١١٦

٢٥ ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ص١٠٦، ١٤٠

رقم الآية

١٤- إبراهيم

٧ ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ص١٦٦

٢٢ ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ص١٣٥

٢٣ ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ ص٤٣

٤٨ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ ص١٦٤

١٥- الحجر

٢١ ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ص١١٥

٤٢ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ ص ١٣٧

١٦- النحل

٤٠ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ص٦٧، ٦٨

٦٠ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ص٩١

٩٧ ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ص٢٤٢

١٠٦ ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ ص١٩٢، ١٩٥

١٢٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ ص٧٠

١٧- الإسراء

٥٧ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ص١٨٧، ١٨٨

رقم الآية

١٨ـ الكهف

١٩ ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ص٩٥

٣٠ ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ص٢٢٩

١٠٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ ص١٥١

١٠٨ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ص١٦٢

١٩ـ مريم

٦٥ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ص٦٤

٦٦ ـ ٧٢ ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۞ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۞ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۞ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۞ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۞ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ص ٧٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤

٧٣ ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ ص٩٥

٢٠ ـ طه

٥ ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ ص٨٦

٤٩ ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ ص٩٤

٨٢ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ ص١٨٦

١٢٤ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ ص٢٤٢

٢١ ـ الأنبياء

٢٣ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ص١٤٢، ١٤٨

٢٨ ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ ص١٦٨، ١٦٩

رقم الآية

٤٧ ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ
مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ ص٢١٧

١٠١ - ١٠٣ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ
وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۞ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ص٢٢٥، ٢٢٦

٢٢ - الحج

١٧ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ
ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ص١٨٤

٢٣ - المؤمنون

١١ ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ص١٦٢

٦٠ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ ص١٨٨

٢٤ - النور

٢١ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴾ ص١٣٨

٣٩ ﴿ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ
حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ ص١٥٣، ١٧١

٢٥ - الفرقان

٢٣ ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ ص٢٣٠

٦٥ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ص١٦١، ١٦٣

٦٨ - ٦٩ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا
يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ
مُهَانًا ﴾ ص١٦١، ١٦٢

رقم الآية

٢٦ ـ الشعراء

٢٣ ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ص٩٤

٦١ ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ ص٧٨

٢٧ ـ النمل

٢٦ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ص٨٩

٨٩ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ ص٢٢٥، ٢٢٦

٢٨ ـ القصص

٧٧ ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ص١٣٤

٨٨ ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ ص ٦٧

٢٩ ـ العنكبوت

٥٧ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ص٢٥٦

٦٩ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ص٧٠

٣٢ ـ السجدة

٧ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ ص٨٧

١٨ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ ص٢٢٧

٢٠ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟
عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ ص ٢٢٧

٣٣ ـ الأحزاب

٤ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ ص١٣٣

٣٦ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن
يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ ص ١٤٦، ١٦٢

٣٦ ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ ص١٦٢

رقم الآية

٤٤ ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ ص٤٣

٣٤ - سبأ

١٦ ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ ص٥٠

٣٥ - فاطر

١٨ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ص٢٠٥

٣٧ - الصافات

٩٦ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ص١١٦

١٨١ ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ص٤٣

٣٩ - الزمر

١٩ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ ص١٧١، ١٦٤

٦٠ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ص٨٣

٦١ ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ص٢٢٥

٦٢ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ ص٦٦، ٨٨

٦٧ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ص٧٧

٦٨ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ص٧١

٤٠ - غافر

١٨ ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ص١٦٨

٢٠ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ص٧٩

٤٦ ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ ص٢٢١

رقم الآية

٤١ ـ فصلت

١٧ ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ ص١٣٨، ١٣٩

٣٣ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ص٢٤٢

٤٢ ـ الشورى

١١ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ص٧٤، ٧٦، ٩٢، ٢٤٥

٤٣ ـ الزخرف

٦٧ ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ص٤٤، ١٦٩

٧١ ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ص٢٥٩

٤٨ ـ الفتح

٢٩ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ ص٨٣

٤٩ ـ الحجرات

٢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ص١٥٥

٧ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ ص١٤٠، ١٤١

١٠ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ص٤٤

١٢ ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ ص٢٣٣

رقم الآية

٥٠ ـ ق

١٦ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ص١١٨، ١٩٥

٢٩ ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ص١٦٠

٥٢ ـ الطور

٢١ ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ص٢٢٨

٥٥ ـ الرحمن

٦٠ ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ ص٩٤

٥٦ ـ الواقعة

٦٨ ـ ٦٩ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ ص١١٦

٥٨ ـ المجادلة

٧ ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ص٦٨، ٧٠

٦١ ـ الصف

٦ ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ ص٢٦٧

٧ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ص٢٤٤

٦٦ ـ التحريم

٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ ص١٩٠

٦٧ ـ الملك

١٣ ـ ١٤ ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۞ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ص١٩٥

١٦ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ ص٧١

رقم الآية

٦٨ ـ القلم

٣٤ ـ ٣٦ ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ص٢٢٧

٦٩ ـ الحاقة

١٧ ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ ص٨٩

٧٢ ـ الجن

٢٣ ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ ص١٦٠، ١٦٧، ١٧٢، ١٨٩، ٢٢٧

٧٣ ـ المزمل

٢٠ ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ ص٤٦

٧٤ ـ المدثر

٣٨ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ ص١١٦، ٢٠٣

٧٥ ـ القيامة

٦ ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ص٩٧

٢٢ ـ ٢٥ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ ص٨٢، ٨٣

٧٦ ـ الإنسان

٣ ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ص١٣٨

٨٠ ـ عبس

٣٤ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ ص٤٤

٣٨ ـ ٤١ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ ص٨٤

٨٢ ـ الانفطار

١٣ ـ ١٦ ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ ص١٦١، ١٦٢، ٢٢٧

رقم الآية

٨٣ ـ المطففين

٢٤ ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ ص٨٣

٨٤ ـ الانشقاق

١٩ ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ ص٦٥

٩٠ ـ البلد

١٠ ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ ص١٣٨

١١٢ ـ الإخلاص

١ ـ ٤ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ ص٧٤، ١٠١

١١٤ ـ الناس

٤ ـ ٦ ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ ص١٣٥

❁ ❁ ❁

فهرس الأحاديث النبوية

أ

- أتدرون ما الغيبة... ٢٣٣
- أتشهدين أن لا إله إلا الله... ٧٣
- ارحموا أهل الأرض... ٧٢
- ارحموا من في الأرض... ٧٢
- الأعمال بالنيات... ٢٢١
- إلا بحقها... ١٢٤
- أمرت أن أقاتل الناس.... ٧٢
- إن الحلال بين... ٢١١
- إن عادوا فعد... ١٩٣، ١٩٥
- إن كان فيه ما تقول... ٢٣٤
- إنك لن تجد ولن تؤمن... ١١٥
- إنما أنا بشر مثلكم تختصمون... ٢١٢
- إني أرى ما لا ترون... ٧٢
- أين الله... ٧٢

ب

- بهذا أرسلني ربي... ٥٥

ت

- تعلم أن ما أخطأك... ١١٥

ج

- جنتان من فضة... ٧٧، ٨١

د

- الدين النصيحة... ٤٦

ذ

- ذكرك أخاك بما يكره... ٢٣٣

ر

- الرياء يحبط العمل... ١٥٥

ش

- شفاعتي لأهل... ١٦٨

ع

- عذاب القبر حق... ٢٢٢

ف

- فإذا فعلوا ذلك... ١٢٤
- فإن أحدكم ليعمل... ١٤٤

ك

- كيف تجدُ قلبك... ١٩٣، ١٩٥

ل

- لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا... ٤٣
- لا يزني الزاني حين يزني... ١٥٥

م

- ما وراءك ١٩٢، ١٩٥
- من أصبح منكم آمنا... ٢٥٨، ٢٥٩
- من بدل دينه فاقتلوه... ٢٠٥
- من ترك صلاة العصر... ١٥٥

ن

- نور أنى أراه... ٧٧

و

- وما عملتَ من سوءٍ... ١٩١
- ويل لمن لم يعلم مرة... ١٢٩

ي

- يا معشر الشباب... ٢٠٧
- ينزل ربنا تبارك وتعالى ٧٣

فهرس أبيات الشعر

الألف

- إني حلبت الدهر شطريه فقد ... أمر لي حينا وأحيانا حلى ٢٦١
ابن دريد

- امنع بكيف لم وهل سؤالا ... من أي متى عن ربنا تعالى ٩٥
أين، ومن أين وكم، فكيفا ... عن هيئة وعلة لم تلفا
وهل لتصديق ومن عن جنس ... وأي لشركة وأجزا النفس
متى سؤال جاء عن زمان ... أين ومن أين عن المكان
وكم سؤال عدد وإنه ... فرد قديم قاهر سبحانه
الإمام السالمي

الباء

- أعز مكان في الدنى سرج سابح ... وخير جليس في الزمان كتاب ١١٦
المتنبي

- إذا كان أصلي من ترابٍ فكلها ... بلادي وكلُّ العالمين أقاربي ٤٤
أمية بن أبي الصلت الأندلسي

- ألا ليتَ الشباب يعود يومًا ... فأخبره بما فعل المشيبُ ٢٥٣
منسوب لأبي العتاهية

الحاء

• الحمد لله على ما أتاح من نعم أو نقم قد أزاح ٢٦
• أحمده حقًا وأشكره على الآلاء الظاهرات الوجاح

فتح بن نوح الملوشائي

الدال

• إذا ما غراب البين صاح فقل له ترفق رماك الله يا طير بالبعد ٢٥٣
• لأنت لدى العشاق أقبح منظر وأشنع للأبصار من رؤية اللحد
• تصيح ببين ثمّ تغمز ماشيا وتبرز في ثوب من الحزن مسود
• إذا صحت صاح البين وانقطع الرجا كأنك من يوم الفراق على عهد

مجهول

• إن ضيم مطرف الوصال فإننا نغدو ونصبح في وصال تالد ٤٤
• وإن يختلف ماءُ الغمام فماؤنا عذبٌ تصبب من غمام واحد
• أو يختلف نسب يؤلف بيننا دينٌ أقمناه مقام الوالد

منسوبة لأبي تمام

• فليت شبابا لا يزال ولم أقل بكاظمة ليت الشباب يعود ٢٥٤

مجهول

• والخير والشر من الحميد خلق وفعلان من العبيد ١٤٢

الإمام السالمي

• والخير والشر من الحميد خلق وفعلان من العبيد ١١٧
• لكن فعل العبد كسب منه وربنا الخالق فافهمنه

الإمام السالمي

الراء

• أركانها ندم مع استغفار والعزم والرجوع بانكسار ١٩٠

الإمام السالمي

- سما من سما بالعلم والجد والصبر وسهر الليالي والسُّرَى والتهجر ٢٦
- وغودر بالتسويف في اليوم أو غدا أخو العجز والكسل البطيء عن الخير

فتح بن نوح الملوشائي

- إذ ليس في العالم شيء يصدر إلا وربنا له مقدر ١١٤

الإمام السالمي

- القدح ليس بغيبة في ستة متظلم ومعرف ومحذر ٢٣٤
- ولمظهر فسقا ومستفت ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

مجهول

- مناي من الدنيا علوم أبثها وأنشرها في كل باد وحاضر ٢٥٨

منسوب لابن حزم الظاهري الأندلسي

- وفي المغرب أشياخ لنا وأكابر أئمة دين الله فيهم سرائر ٦
- بجربة الزهراء زهتها المفاخر وأهل نفوسا أخلصوا وتناصروا

لنصرة دين الله هم خيرُ معشرِ

- نواليهم في الله حقًّا ونقتدي بهم في أمور الدين يومًا ونهتدي
- فهم خلفاء الله من بعد أحمد على الأمر بالمعروف في كل مقصد

فما فيهمُ شكٌّ وطعنٌ لمن يزري

- هداةٌ تقاةٌ ليس في دينهم زللْ لقد زينوا القول الصحيح مع العملْ
- وقد خالفوا في الله قول أولي الجدلْ بغير مقال الحق كلهمُ كَمُلْ

عليهم سلامُ الله في الليل والفجرِ

- هُمُ عدتي في النائبات وشدتي ومبلغ آمالي وسؤلي ومنيتي
- بهم أهتدي في كل أمر لبغيتي لأنهم في الناس من خير أمتي

لأمرهمُ بالعرفِ والنهي عن النكر

- هُمُ أسسوا النهج الإباضي وأحسنوا معالمه حتى علا ثم بيّنوا
- طريقته بالقول منهم وأعلنوا بصحة ما فيه وفي الكتب دونوا

صحائف حقٍ كالشموس وكالبدر

الشيخ عبدالله بن عمر بن زياد البهلوي

• وخـذ بكتـاب الله حسـبك إنـه دليـل مبيـن للطريـق خفيـر ١٩٧
• فما ضـل مـن كان القـران دليله وما خاب من سـير القُران يسـير
• تمسك به في حالة السخط والرضا وطهـر بـه الآفـات فهـو طهور
• وحارب به الشيطان والنفس تنتصر فكافيـك منـه عاصـم ونصيـر

أبو مسلم البهلاني

• أقول ولا أعني سـوى ذي التذكر من أبناء جنسـي والعفا عن الغير ٢٦
• ألا فاسمعون ثم عوا قول ذي حجر تمـلأ حقبًـا باحتـلاب الأشـطر
وأربى على السبعين من العمر

فتح بن نوح الملوشائي

السين

• لـنـا كتب في كـل فـن كـأنها جنانٌ بهـا من كل ما تشـتهي النفسُ ٢٤٩
• جـرى حبها مني ومـن كل عـالم ذكي الحجى والفهم حيث جرى النفس
• فلا أبتغي ما عشـت خلاً مؤانسا سواهـا فنـعم الخـل لي وهـي الأنـس
• ولستُ أُرَجِّـي أن يفـوز بمثلـهـا علـى غـابـر الأيـام جـن ولا إنـس
• ثـلاث مـئين ثـم سبعون عـدهـا وتسعـة آلاف لـهـا ثمـن بخـس

الشيخ خلف بن سنان الغافري

العين

• مـا زال يحلب هذا الدهر أشـطره يكـون متبعـا طـورا ومتبعـا ٢٦١

منسوب للقيط بن يعمر

القاف

• سـهري لتنقيـح العلوم ألـذّ لي مـن وصل غانيـة وطيـب عناقي ١٩
• وتمايلـي طربًـا لحـلّ عويصـة أشـهى وأحلى من مدامة سـاقي
• وصريـر أقلامـي علـى أوراقهـا أحلـى مـن الـدوكاء والعشـاق

• وألــذّ مــن نقــر الفتــاة لدفّهــا نقري لألقــي الرّمل عــن أوراقي
• أأبيــت ســهران الدّجــا وتبيتــه نومًــا وتبغــي بعــد ذاك لحاقــي
منسوبة للزمخشري
• قــد اســتوى بشــر علــى العراق مــن غيــر ســيف ودم مهــراق ٩٠
مجهول
• شــــفاعة الرســـول للتقي من الــورى وليــس للشــــقــــي ١٧١
• كليــس للظالــــم من حمــيم ولا شــفيع مــن لظــى الجحيــم
• ومن عصى ولم يتــب يخــــلد في النــار دائمًا بهذا نشــــهد
الإمام السالمي

الكاف

• وكلّ مــا صورتــه ببالــك فــالله جــلّ بخــلاف ذلــك ٨٦
• فعلــم كنــه ذاتــه محــال ممــن ســواه، ولــذاك قالــوا
• العجــز عــن إدراكــه إدراك والخــوض فــي إدراكــه إشــراك
الشيخ الحاج صالح بن عمر اليزجني

اللام

• وبدلــت والدهــر ذو تبــدل هيفــا دبــورا بالصبــا والشــمأل ٤٩
أبو النجم
• تعبــدًا علينــا الامتثــال ومــا لنــا التنقيــر والجــدال ١٤٧
الإمام السالمي
• وجودك قبــل القبــل والبعد بعده فمن ثمَّ فيه ينطــوي البعد والقبلُ ٦٩
• وكنــتَ ولا كــونٌ لأنــك أولُ وما تــم ســبقٌ أو لحوقٌ لــه يتلو
• وكونتَ كل الكائنات بـــ(كن) وما هنالك لفظٌ أو حروفٌ ولا شــكلُ
• ومــا غيــرُك الباقــي لأنــك آخرٌ ويفنى جميع الخلق والجزء والكلُّ
الشيخ خلفان بن جميل السيابي

• تعاليت عن كيــفٍ وأين وعن متى ومالك كـفـء أو نظيـر ولا مثل ٩٦
• تعاليت عــن كيفٍ وكيفــت كيفنا تقدســت عن أين نعوتا لمن حلوا

الشيخ خلفان بن جميل السيابي

• وإن أتــى ذو اللام وهــو محتمل للجنــس والعهــد، فللجنس حمل ٧٨

الإمام السالمي

• متى كيف كم هل ما ومَن أي أين لمْ بذي التسع فاحفظها عن الله لا تسل ٩٦

أبو مسلم البهلاني

• قواعــد الديــن علــم بعــده عمل ونيــة ورع عــن كل مــا حظــلا ٢٠٠

الإمام السالمي

• وهو على العرش والأشيا استوى وإذا عدلت فهو اســتواء غيــر ما عقلا ٨٨
• وإنمــا الاســتوا ملــكٌ ومقــدرةٌ له علــى كلها اســتولى وقد عدلا
• كما يقال اســتوى ســلطانهم فعلا على البلاد فحاز الســهل والجبلا

الإمام السالمي

• أمــا القيــاسُ فهو حملُ مــا جُهل حكمًا على معلوم حكــمٍ قد عُقِل ١٦٥
• بجامــعٍ بينهمــــا فــــالأولُ أصــلٌ وأما الثاني فــرعٌ يُحملُ
• والجامــعُ الوصفُ الــذي به وُجِد في الأصــل حكمه فــإن زال فُقِد

الإمام السالمي

• كيــف البقــاء لطــرف زال ناظره حين اعترته بنات الدهر بالســمل ٢٦
• زر ساحة السفح واسفح عندها حزنا دمعا يزيد على التســكاب والهطلِ
• قبــر بجانبــه الغربــي أرقنــي من أجله بت أرعى النجم في التللِ
• ســقيا لســاكنه، رعيــا لقاطنــه سَــحّت عليه عيون المُزْنِ لم تَزَلِ
• أعني الولي أبا يحيى الذي حَيِيَتْ صُــوَى العلــوم بمحياه ولــم يألِ

فتح بن نوح الملوشائي

• ليت الشّباب هو الرّجيع إلى الفتى والشّــيب كان هو البــديء الأول ٢٥٤

مجهول

كــذاك في الشــرط ومَــن للعقلا وخصـــــصت إن أعقبـــــتها أولا ١٦٢
الإمام السالمي

الميم

• وبدلــت والدهــر ذو تبــدل هيفــا دبــورا بالصيــا والشــمأل ٤٩
أبو النجم
• تعبــدًا علينــا الامتثــال ومــا لنــا التنقيــر والجــدال ١٤٧
الإمام السالمي
• وجودك قبــل القبــل والبعد بعده فمن ثمَّ فيه ينطــوي البعد والقبلُ ٦٩
• وكنــتَ ولا كــونٌ لأنــك أولُ وما تــم ســبقٌ أو لحوقٌ لــه يتلو
• وكونتَ كل الكائنات بـــ(كن) وما هنالك لفظٌ أو حروفٌ ولا شــكلُ
• ومــا غيــرُك الباقــي لأنــك آخرٌ ويفنى جميع الخلق والجزء والكلُّ
الشيخ خلفان بن جميل السيابي
• تعاليت عن كيــفٍ وأين وعن متى ومالك كــفــء أو نظيــر ولا مثل ٩٦
• تعاليت عــن كيفٍ وكيفــت كيفنا تقدســت عن أين نعوتا لمن حلوا
الشيخ خلفان بن جميل السيابي
• وإن أتــى ذو اللام وهــو محتمل للجنــس والعهــد، فللجنس حمل ٧٨
الإمام السالمي
• متى كيف كم هل ما ومَن أي أين لمْ بذي التسع فاحفظها عن الله لا تسل ٩٦
أبو مسلم البهلاني
• قواعــد الديــن علــم بعــده عمل ونيــة ورع عــن كل مــا حظــلا ٢٠٠
الإمام السالمي
• وهو على العرش والأشيا استوى وإذا عدلت فهو اســتواء غيــر ما عقلا ٨٨
• وإنمــا الاســتوا ملــكٌ ومقــدرةٌ له علــى كلها اســتولى وقد عدلا
• كما يقال اســتوى ســلطانهم فعلا على البلاد فحاز الســهل والجبلا
الإمام السالمي

• أمــا القيــاسُ فهو حملُ مــا جُهل	حكمًا على معلوم حكــمٍ قد عُقِل	١٦٥
• بجامــعٍ بينهمـــا فـــالأولُ	أصــلٌ وأما الثاني فــرعٌ يُحملُ	
• والجامــعُ الوصفُ الــذي به وُجِد	في الأصــل حكمه فــإن زال فُقِد	

الإمام السالمي

• كيــف البقــاء لطــرف زال ناظره	حين اعترته بنات الدهر بالســمل	٢٦
• زر ساحة السفح واسفح عندها حزنا	دمعا يزيد على التســكاب والهطلِ	
• قبــر بجانبــه الغربــي أرقنــي	من أجله بت أرعى النجم في التللِ	
• ســقيا لســاكنه، رعيــا لقاطنــه	سَــحَّت عليه عيون المُزْنِ لم تَزَلِ	
• أعني الولي أبا يحيى الذي حَيِيَتْ	صُــوَى العلــوم بمحياه ولــم يألِ	

فتح بن نوح الملوشائي

• ليت الشّباب هو الرّجيع إلى الفتى	والشّــيب كان هو البــديء الأول	٢٥٤

مجهول

كــذاك في الشــرط ومَــن للعقلا	وخصــــــــت إن أعقبـــــــتها أولا	١٦٢

الإمام السالمي

النون

• وفســرت هدايــة الرحمــن	للخلــق بالتوفيــق والبيــان	١٤٥
• الجامعــان صفــة الإيمــان	وليــس للكفــار غيــر الثانــي	
• وتركــه وشــأنه خــذلان	فيأتــه مــن نفســه الحرمــان	
• وضــده التوفيــق فالموفــق	تــراه للخيــر معًــا يوفــق	
• وقيــل خلــق قــدرة العصيــان	هــو الــذي يعــرف بالخــذلان	
• وضده التوفيــق والأصــل اقتصر	عليــه والحــق أرى فيمــا غبــر	

الإمام السالمي

• والتــوب مثــل الذنب عــن نبينا	ســرا وجهــرا هكــذا قــد بينــا	١٩١

الإمام السالمي

الهاء

• اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله ٢٤٠
• كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله
منسوبة لعبد الله بن المعتز
• ثم عذاب القبر مما جاء به تواتر الأخبار معنًى فانتبه ٢٢١
• واعتقدنْ صدقه ولا تحل تعذيب ميتٍ لوجوه تحتمل
الإمام السالمي
• وفخم اللام من اسم الله عن فتح أو ضم كعبد الله ٦٥
ابن الجزري
• وما كان شكري وافيا بنوالكم ولكنني حاولت في الجهد مذهبا ١٠
الزمخشري

الياء

• ليت الشبابَ الذي ولت نضارتُهُ أعطانِي الحِلمَ فيما كان أعطاني ٢٥٤
منسوب لأبن مجير الأندلسي

✿ ✿ ✿

فهرسة المحتويات

إهداء ٥

شكر وتقدير ٩

مقدمة الشرح منهجيته ١١

الفصل الأول: التعريف بالمنظومة وناظمها ١٥

المبحث الأول: التعريف بالقصيدة النونية ١٧

المبحث الثاني: ترجمة مختصرة لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي (ناظم القصيدة) ٢٤

الفصل الثاني: شرح أبيات القصيدة ٣١

المبحث الأول: أبيات القصيدة كاملة ٣٣

المبحث الثاني: شرح أبيات القصيدة ٤٢

شرح المقدمة العامة للقصيدة ٤٢

الفصل الأول: في التحية والسلام والإهداء ٤٣
الفصل الثاني: في ذكر الغاية من نظم القصيدة ٥٢
الباب الأول: في التوحيد وخصاله ٥٧
الفصل الأول: ذكر ما يجب على المكلف اعتقاده ٥٧
الفصل الثاني: ذكر ما يليق وما لا يليق بالله ﷻ من الصفات ٦٣
الفصل الثالث: في ذكر الألفاظ الممتنع السؤال بها عن الله ﷻ ٩٤
الباب الثاني: في ذكر صفات الله تعالى ٩٨
الباب الثالث: في الولاية والبراءة ١٠٤
الباب الرابع: في الإيمان بالقضاء والقدر وخلق أفعال العباد ١١٤
الباب الخامس: في الفروض الموسعة والمضيقة ١١٩
الفصل الأول: في ما لا يسع جهله طرفة عين ١٢٠
الفصل الثاني: في ما يسع جهله بتقييد ١٢٢
القسم الأول: ما يسع جهله قبل حضوره وروده ١٢٢
القسم الثاني: ما يسع جهله قبل دخول وقته ١٢٣
القسم الثالث: ما يسع جهله للأبد ما لم يقصده بذاته ١٢٣
الباب السادس: في ذكر ما يجب على المكلَّف علمه من أحكام
مقترفي الحرام ١٢٨
الباب السابع: في ذكر الضلالة والهدى وأنواعهما
والتوفيق والعون والخذلان ١٣١

الباب الثامن: في ذكر الوعد والوعيد ١٤٦
الفصل الأول: في ذكر أنه لا منزلة بين المنزلتين ١٤٦
الفصل الثاني: في ذكر إحباط العمل الصالح بالإصرار على المعصية ١٥٤
الفصل الثالث: في ذكر الكبائر وتعريفها وعقوبة مرتكبها ١٥٩
الفصل الرابع: في ذكر وجوب معرفة أنواع الكبائر ١٧٥
الباب التاسع: في ذكر معرفة الملل الست ١٨٣
الباب العاشر: في ذكر الخوف والرجاء ١٨٦
الباب الحادي عشر: في ذكر التقية ١٩٢
الباب الثاني عشر: في ذكر قواعد الدين ١٩٨
الباب الثالث عشر: في ذكر مغريات ومكائد إبليس
وكيفية التخلص منها ٢٠٠
الباب الرابع عشر: في ذكر أنواع أعمال الإنسان والنجاة في علمها ٢٠٨
الباب الخامس عشر: في ذكر المراصد السبعة ٢١٤
الباب السادس عشر: في ذكر الميزان والصراط وعذاب القبر
وورود النار ٢١٧
الباب السابع عشر: في ذكر ثواب العمل والعقاب ٢٢٨
الباب الثامن عشر: في ذكر النهي عن الغيبة والنميمة والحسد والكذب ٢٣٢
خاتمة القصيدة: في ذكر أخلاقيات الناظم واعترافه بفضل الله عليه ٢٤٢
الخاتمة ٢٦٩

الفهارس العامة ٢٧١

فهرس المصادر والمراجع ٢٧٣

فهرس الآيات القرآنية ٢٨٣

فهرس الأحاديث النبوية ٣٠١

فهرس أبيات الشعر ٣٠٣

فهرس المحتويات ٣١٣

❁ ❁ ❁